

جمعیۃ الشیخ الاسلام زینب الخیرتیہ



الإمام
موسیٰ بن جعفر
الکاظم (ع)

زینب محمد عیسیٰ



الإمام

موسى بن جعفر

الكاظم

(عليه السلام)

زينب محمد عيسى

الإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع)	إسم الكتاب
زينب محمد عيسى	المؤلف
جمعية السيدة زينب الخيرية	الناشر
بيروت: شباط 2008م	الطبعة الأولى
إنعام محمد عيسى	صف وإخراج

الإهداء

في أضلعٍ مستعرةٍ
طويت جروحي..
وفي كبدٍ ممزق
دفنت أأمي..

فلا لهيبُ الضلوعِ كوى جروحي
ولا فتاتُ الكبدِ وارى أأمي...
سكيبُ الدمعِ أنتِ قلبي
مرتعُ الأحزانِ أنتِ دهري
ضاق صبري، وبقيتِ عبرتي
حتى تراءت لي سيرةُ الكاظمِ
كاظمٌ، خامرت قلبه مرار هموم
كاظمٌ، تحت لظى الجورِ مسبوك
رجا صبرٌ وأي اصطبار
على ضيقِ سجنِ عيشه كدراً...

إلى من طوى جرحي بعظيمِ جراحه، إلى من وارى ألمي بأليمِ أحزانه، إلى
من سكن دمعِي بهالةِ صبره، إلى من عرفني روعةِ الصبر، وجلالِ الصبر،
وعزِ الصبر في مواقفِ الشدةِ والقهر. إلى سيدي ومولاي الامامِ الكاظمِ،
كاظمِ الغيظِ (ع).

وإلى والدي واخلوتي وإلى والدتي الحاجةِ فاطمةِ أبو رضا رئيسةِ
جمعيةِ السيدةِ زينبِ الخيريةِ.

مَدِينَةُ بَيْتِ الْمَلِكِ الْجَوَادِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي تَالِبٍ
مُؤَسَّسَةُ الشَّيْخِ دِهْيَمَةِ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ

التَّاسِعُ
مَشْرِفٌ مَشْرِفٌ ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ م
مَنْعَةُ السَّكَّانِيَّةِ - الْبَغْدَادُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دعاء وتوسل بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المخلوق والمرسلين وعلى آله
الطيبين الطاهرين الميامين.

اللهم إني أسألك بدعوة موسى بن جعفر (عليه السلام) :

" اللهم بك أساور وبك أحاول وبك أجاور، وبك أصول وبك أنتصر
وبك أموت وبك أحيأ، أسلمت نفسي إليك وفوضت أمري إليك، ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، اللهم إنك خلقتني ورزقتني، وسترتني عن العباد
بلطف ما حولتني وأغنيتني، إذا هويت رددتني، وإذا عثرت قومتي، وإذا
مرضت شفيتني، وإذا دعوت أجبتني. يا سيدي أرض عنى فقد أرضيتني.

اللهم يا سامع كل صوت، يا سابق الفوت، وبأ كاسي العظام لحماً
ومشرها بعد الموت، أسألك بأسمائك الحسنی وباسمك الأعظم الأكبر المنزور
المكنون الذي لم يطلع علي أحد من المخلوقين، يا حليماً ذا أناة لا يقوى على
أناته، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أهدأ ولا يحصى عدداً، فرج عنى".

اللهم يا باسط اليدين بالرحمة، ارحمني بحق موسى بن جعفر (عليه السلام)،
بحق دمة موسى، وثقى موسى، وصبر موسى، وكل صلاة ودعاء كانت منه
إليك ورعاً وخشوعاً، وفرج عنى بحقك فرجاً عاجلاً غير آجل برحمتك يا أرحم

راحات دمع

قل للمغيّب في سجونِ الرشيدِ
قلبي صليّ جمراتِ إلى إمامِ
قلبي ذا مُهجةٍ حرّى لروى
قلبي مُحرقٌ جوى على صادقِ
رَمتهُ مصايِبُ الدهرِ وجورِ
وكاظمِ، له راحاتُ دمعٍ من ظلمِ
لُجينُ دمعِي على فاطمةِ وعليّ
روحي فِدَى باقرِ وصداقِ وكاظمِ
مُهجتِي على رضا وجوادِ ، بناتِ
لهفي على هادي وعسكري ومهدي
مثنانِ زانتها خمسونَ عاماً هي
هم أئمةُ الهدى ، أنوارُ الدجى
هم لطفُ الإلهِ سرُّ حكمتِهِ
أكرمُ بهم من سُراةٍ في شمائلهم
فيا زائراً أرضَ البقيعِ وبغدادَ
بلغ صَبَابَتِي وسلامي ، ويمينِ الله
سَادَاتِي منثورُ دمعِي في هواكمِ نظمتُهُ

نادتْكَ أضلّعي هل من مُجيبِ؟؟
سُكناهُ يثربَ معقدِ الطيّبِ
ديارِ هي نزلُ أحمدَ الحبيبِ
سهمُ المنونِ أرداهُ بسمِ صبيبِ
سفاحِ ومنصورِ بنصبِ مريبِ
منصورِ ومهدي وهادي ورشيدِ
وحسنِ وحسينِ وزينِ العلبينِ سكبِ
لله دُرّ صبرِهِم، صبرُ عجبِ
الدهرِ صَبَّتْ عليهما، بهولِ رهيبِ
طوَقْتَهُم دِياجِي دهرِ جَدِيبِ
سرُّ زهرِ الكواكبِ وطيبِي
كهفُ الوري غوثِ الكئيبِ
نَفَحَاتُ قُدسِ وَعِبْرَةُ لِييبِ
أملتُ فيهم حُسنَ رجا رَطِيبِ
وطفِ وكوفانِ وطوسِ مثنوى الغريبِ
عَرَجَ على العدنانِ ملجأ الكريبِ
ومالي مِنَ النُظمِ بعيدٌ ولا قَريبِ

زينب عيسى

سلام

إيه أيها الكاظم، سلام عليك

إيه سيدي...

هُنيه أو بعضها طويت فيها صفحات سيرتك. عرفتك فيها في حس قلبي، لقيتك فيها في نشوة جوارحي. فأبقيت لي فيها سقماً يمازج دوماً عبرتي، وبت أشعر وكأن عمري ما اتسع إلا لك، وبأن عمري سيضحى ما حيت بكاءً عليك...

سيدي أيها الكاظم، سلام عليك

أي نعم هي هنية، وكان عمري كله جاء في مقدار هنية. خواطر لبي ثوت بين أثناء الحشا منك لوعة، خامرت قلبي هموم تلظت نارها. هموم خفيت في الفواد ثم أذاعت لدموع؛ دموع هي الماء الزلال تحته يضطرم وجد جمر يتوقد...

أيها الكاظم، سلام عليك...

لم أع سيدي معنى الجهاد إلا على صفحات سيرتك، عرفت الجهاد هو ذاك الصبر المرير. هو ذاك الصبر على مرارات العذاب، هو السعي إلى هيكل الحياة في قساوتها، تمد فيها قيس هو لهيب الحياة، هو إرادة الحياة. قيس يكبر عن الانطفاء... فيا سيدي، لطالما تعيش صبابتي ويموت صبري؛

على البوح بصفات أنت تملك أكرمها، صفات ظفرت بأوفر حظها،
فكنت عليك السلام بدرأ يضيء الظلام العاكف، فردُّ المحاسن لا يقوم
بوصفها ابداً وإن بلغ النهاية واصف...

إيه سيدي، أيها الكاظم

سلام عليك...

هي محاولة قلب قُلِّتْ مدامعه فُبْحَنَ بسره. فالقلب لا ينلام على
الهوى ولا مقلتي. فيا سيدي! ها أنذا أوسع نفسي لنداءات لحظة خاشعة،
لأضع بين كفيك حبات طيب عقدها فضيض جمر جوانحي، هببتها مجامر
أضلعي. ظني بذاك الوفاء بجانباً ومقارباً. فرجعت بغصتين: غصة يوم
عرفت مقدار قهرك وغصة يوم أردت أحكي حكاية أسرك...

إيه سيدي، سلام عليك

بُلِّيتُ ببعض الحب والبعض موعدي مجاورة لك يوم حشري، فلطالما
تمنيت المنية يوم قالوا: يحشر المرء مع من يحب. فهانذا أشقى بالسُّهاد مقلة
صب، بات والجمر تحته يتوقد. ففي قلبي لذعٌ من هواك مبرحٌ، حتى القى
ضمان الله، وما عهدي منك أن أخسر!.. لك العهد عهد الله ألا أزال
بذكراك شاخصة، أو ألقى المنية شاغلاً...

تأخذي سيرة الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) على عميق الحياة في معنى القهر، وعلى عميق القهر في معنى الحياة. فإن كان المجد عمراً، فتاريخ الإمام الكاظم (ع) هو إختصار مجد عمر. لقد انطوى الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) على غيظ كظيم، تجرع الغصة أكوساً دهاقاً حتى بات كظم الغيظ بعض صفاته، إن لم يكن جُل صفاته. وبين هذا وهذا لم أر ذاك القهر، كما زعموا يمشي به نحو الفناء. بل رأيت شخصاً كريماً تعمل فيه الحياة. رأيت إنساناً مجللاً بالكمالات، مترعاً بالعطاءات. فلا بدع لمن مثله أن يشرع التاريخ له ألف باب وباب. فكان عليه السلام ذاك الإنسان الشلال؛ الشلال المتدفق من ينبوع ينهمر من معين قدس الله. فكان (ع) أكبر من محيط؛ له ها هنا شراع، وله هناك شراع. وكان له في الأفاق سكبات نور وإشعاع.

سنوات طوال من عمر الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) أمضاها مسجوناً على يد هارون الرشيد، الخليفة العباسي، الذي كانت خلافته امتداداً في الجور والظلم إلى من سبقه من خلفاء بني العباس الذين غابوا بين لذادة الحس ونشوة الاعتلاء. فاستوت فيهم الغرائز استواءً جديداً وراحت تعمل ساعية ناشطة في شهوة الروح، في مساقط الشهوات وحمأة الرغبات، لقد كشف النقاب عن خلافة بني العباس التي بدأت دعوتهم بأحلام وآمال بني طالب التي خدّ لها بني أمية الاخايد في إصرار مجرم؛ وقلب حقود. فبنو طالب أو بالأحرى شيعة علي بن أبي طالب عانوا أشد العوان الاضطهاد والعذاب خلال خلافة بني أمية التي امتدت لتسعين عاماً، والتي عمدت بتحدٍ

صارخ إلى محاولة احتواء النبوة واستخلافها وتحويلها إلى اسطورة لاغية. لقد تطاول كل من خلفاء بني أمية بنفسه وشمخ بسوء سريرته حتى وصل الأمر إلى ارتقاء الخليفة منزلة النبوة بل أصبح الخليفة أفضل من النبي على قول الحجاج لزوار قبر النبي (صلى الله عليه و آله وسلم):

"تبالهم إنهم يطوفون بأعواد ورمّة بالية، هلاً طافوا بقصر أمير المؤمنين، ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله (صلى الله عليه و آله وسلم)" (1).

وهاك الوليد بن يزيد وقد قرأ ذات يوم { واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد } (ابراهيم 16/15).

فدعا بالمصحف ونصبه للنشاب وأقبل يرميه وهو يقول:

أتوعدُّ كل جبار عنيد فما أنا ذاك جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشرٍ فقل يا رب مزقني الوليد⁽²⁾

ومرت الأيام والعقود، تزلزلت معها خلافة بني أمية، وارتسمت أخرى هبت تحت شعارات "الرضا من آل محمد" و "آل البيت" أقبلت بسراج وهاج وأمنيات فوق ما تشتهي النهى، أقبلت وقد ماجت بين حناياها شعلات وأحلام العلويين، ليطلُّ معها فجر جديد، حسبته الأمة جديداً.

(1) مناقب أهل البيت: حيدر الشرواني ص، 476/ الصحيح من سيرة النبي الأعظم: جعفر

مرتضى العامل، ج1، ص30.

(2) مروج الذهب للمسعودي، ج3، ص155.

فبنو العباس ما إن استتب لهم الأمر، وما إن توطدت لهم الخلافة، حتى أخذت بهم نشوة الملك في سكرة هدامة، راحت تأخذ مأخذها في مكان النفس ترمي من وراءها من ناصرها وشيد دعائم ملكها، فأحلام وشعلات العلويين انطفأت وانثرت في ظمأ التراب، وقد وجد العلويون أنفسهم تحت وطأة خلفاء يبحثون دوماً عن منهل يبردون به حرقة أنانيتهم. لقد شعر العلويون من جديد بجرجرة الأغلال تلف أعناقهم، تأخذ بهم إلى الفناء الرجيف، إلى العم النائي فالدعوة العباسية بات لها مثال المد البحري الذي يبتلع في أحشائه ما يشاءه، والبركان الثائر الذي يذيب بجمره ما يعترضه ويخلف كل منهما وراءه آثار سيرة من تاريخ.

لقد نسي بنو العباس أن أديم الأرض التي يسكنونها ليست إلا من أجساد العلويين وأجساد المناصرين لدعوتهم. فمضوا لا يحجزهم حاجز ولا يفض من طرفهم الجامح، حتى وصل بهم الأمر إلى مواجهة الإمامة، لا بل مسح الإمامة. فالإمامة مع الخلافة العباسية باتت في غربة وقد جرت في اقنية غير اقنيتهما وفي عروق غير عروقتها.

بدأت حكاية بني العباس مع الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) الذي عاصرت إمامته أول خلفاء بني العباس (أبي العباس السفاح وبعده أخوه أبو جعفر المنصور). وقد لاقى الإمام الصادق (عليه السلام) منهما أشد ألوان المرار، خاصة من المنصور الذي غشى جوارحه حب الملك والسلطة. فانطلق كشرارة ملتهبة وقيدة، وقد راحت طواحة جواحة تشعل بنيرانها كل ما يعترض طريقها؛ خاصة بني طالب الذين وجد المنصور فيهم

خطراً كبيراً على أمانيه الحالمة؛ ناهيك بالإمامة التي رأى فيها المنصور حاجزاً منيعاً في سير خطواته القاصدة الى حفظ الملك والتربع على كرسيه؛ فأقبل كالسيل ينحدر انحداراً كأن به جنّة أو في أحشائه أجنّة ولم يهدأ إلا بالقضاء على من مثل الإمامة آنذاك، الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) فكان أن مضى عليه السلام شهيداً مسموماً على يد أبي جعفر المنصور.

وجاء عهد الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) الذي عاصرت إمامته كل من الخلفاء (المنصور - المهدي - موسى الهادي - هارون الرشيد). لقد عاد التاريخ نفسه؛ فنظرية الخلافة والحكم كانت الموجه الأول لبني العباس؛ فالخلافة كانت تخامر قلوبهم منذ عهد النبوة، فحريّ بهذا للتوجه ان تكون الإمامة في نظريتهم، كما كانت مع بني أمية، ان تكون طيفاً مرعباً وقلقاً مهيباً.

وقد عانى الإمام الكاظم (عليه السلام) من ثقافة بني العباس التي انتظمت على القهر والغلبة وسفك الدماء، كما انتظمت على مجالس النقوش واللهاو؛ تلك الثقافة تجلت بكامل صورها مع هارون الرشيد الذي كان أكثر ممن سبقه تائهاً بين هينمات الوجدان وحفيف الروح، كان هائماً في شهوة الملك حتى عرف عنه مقولته لابنه المأمون " والله لو نازعتني هذا الأمر لأخذت الذي فيه عيناك، الملك عقيم".

على هذا النحو سارت ثقافة بني العباس التي لم تعد تنطق إلا بالانقباض والسأم؛ والأخطر من هذا كله ظهور الفرق الدينية على اختلاف مذاهبها وعلى مقدمتها الزندقة الملحدة. وقد شجعت الخلافة العباسية العديد من الفرق

واباحت لها حرية المناظرة، وما هذا إلا خوفاً من الإمامة التي وجد فيها بنو العباس الكثير من الخطر الذي يهددهم؛ لعلم بني العباس بأن الإمامة هي الخط الحق الذي رسم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) آفاقها. مع هذه الثقافة المتجهمه كانت مسيرة الإمام الكاظم (عليه السلام) ، هذه الثقافة التي بلغت ذروتها مع عهد هارون الرشيد الذي جهد إلى إقصاء وتشريد وقتل كل من يشعر فيه تهديداً لخلافته. وحيث أن الإمامة كانت مصدر التهديد الرئيسي بالنسبة إليه كان لا بد من اختلاق الأساليب والمعانير الى اغتيالها؛ هذا ما عبر عنه سلوك بغيض راسخ عن نفس بغيضة؛ سلوك جاء بمقدار مشاعر القلق الذي كان يورقه دهره كله، سلوك انفلت من الوعي؛ وهو اعتقال الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) ليبقى عليه السلام أسيراً يتنقل ولمدة أربع سنوات متعاقبة (179-183 للهجرة) في سجون الرشيد حتى مضى شهيداً مسموماً على يد السندي بن شاهك بأمر من الرشيد.

في هذه الأجواء أطل الامام الكاظم (عليه السلام) ينساب في اليبس الهامد، انسياب العصارة التي تمشي بالري والرواء، عصارة ما راعها المرار بل كان لها في كل حين عزم وثبات، كان لها دوماً انتصار للنور ضد الظلام، للخير ضد الشر، للخصب ضد الجذب. انتصار جاء مخاضاً للصبر، الصبر الذي واجه به الامام موسى بن جعفر (ع) كبرياء وعتو الخلفاء العباسيين الذين عاصروهم وإن كان الرشيد أكثرهم عتوا وبلاءً على الإمام الكاظم (عليه السلام).

صبر هو عصارة قرن ونيف من الظلم والقهر اكتتف حياة الأئمة عليهم السلام. وإذا شئت أن تمنع النظر أكثر فأكثر فتعال معي نفوس في محراب الزمن لنقف سوياً عند مناهل هذا الصبر، علك تنتهي معي في سهولة ويسر، أن الأئمة (عليه السلام) هم مدرسة رسالية تعلمنا كيف يتحطم صنم الزمن بعتوه وكبريائه أمام الثبات والعزم، فشد معي الرحال بصبر وروية لنرى صبر الإمام موسى (عليه السلام) من أين بدأت مناهله:

- أمِن سنوات طوال جللها الأمل الواعد بالاستشراق في غار حراء؟؟

- أم من الصوت الرخيم الممتد في الخطبة الشقشقية: "فرايت أن الصبر على هاتا أحجى، فصيرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا أرى ترائي نهياً"⁽¹⁾ (الإمام علي عليه السلام).

- أم من القطرة المتصلة بالري وقد انسابت في اليبس الهامد تنشر الري والرواء: "وإن معاوية قد دعا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة فإن أردتم الحياة قبلنا منه وأغضينا على القذى وإن أردتم الموت بذلنا في ذات الله"⁽²⁾ (الإمام الحسن عليه السلام).

- أم من رمضاء كربلاء والحسين (عليه السلام) صارخاً: "هل من ناصر ينصرنا؟ هل من مغيث يغيثنا؟ هل من ذاب عن حرم رسول الله؟

كربلاء الرجيعه الصدى لبكاء الحسين (عليه السلام) ابنه علي الأكبر ،
لندائه عليه السلام "قتل الله قوماً قتلوك ما أجراهم على الرحمن وعلى انتهاك

(1) شرح النهج: ابن أبي الحديد، ج1، ص 151.

(2) الامام الحسن: فواد الأحمد، ص 77.

حرمة رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم)".
كربلاء النافذة عمق المجهول، على شفيتها خبر يقصه كل من زانه
السمع والبصر، عن العباس (ع) محزوز الرأس وقطيع الكفين، على شفيتها
نداء الحسين (عليه السلام) :

تعديتم يا شر قوم ببغيكم وخالفتم دين النبي محمد

كربلاء النادبة نجوم السموات بأرض فلاة، ماتوا عطاشى على شط
فرات. كربلاء زينب (عليها السلام) الصارخة: "يا محمداه صلى عليك مليك
السماء، هذا حسين بالعراء مرمل بالدماء، مقطع الاعضاء، تسفي عليه ريح
الصبا، قتيل اولاد البغايا". فلهفي عليك يا سيدتي، يا زينب!!

- أم من الامام علي بن الحسين (عليه السلام) - زين العابدين - وقد اتخذ
لنفسه محراباً في الذكرى يبكى فيه أباه الحسين (عليه السلام) لعشرين عاماً
وهو يقول: "أنا أشكو بثي وحزني إلى الله تعالى واعلم ما لا تعلمون: إن
يعقوب (عليه السلام) كان له اثنا عشر ابناً فغيب عنه واحداً فابيضت عيناه
من كثرة بكائه وشاب رأسه من الحزن، وكان ابنه حيا في الدنيا.

وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمي وسبعة عشر رجلاً من أهل بيتي
مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني؟ إني لا أنكر مصرع بني فاطمة إلا
خنقتني العبرة، وإذا نظرت إلى عماتي واخواتي نكرت فرارهن من خيمة
إلى خيمة"⁽¹⁾.

- أم من الامام محمد بن علي (ع) - الباقر - من اطياف طفولته التي سمعت

(1) من حياة الأئمة الاطهار: مرتضى المطهري، ص 96.

لحن الموت وأنه الثكلي على كربلاء. لتبقى دمة اسي طيلة حياته يسترجع فيها صدى كربلاء، ومنطق كربلاء، منطق الحسين (عليه السلام) في الحق الباحث عن نقطة يتركز فيها: الحق الذي ما زال تائها، فكان زيد بن علي - أخو الامام الباقر (عليه السلام) - صريعه، صريع الغيظ المتأجج في أعماق هشام بن عبد الملك الذي ما استكفاه رأس زيد، حتى كانت أوامره بنبش جثة زيد وصلبه ومن ثم إحراقه وذريه في الرياح⁽¹⁾.

وبقي الحق تائهاً في أوار لهيب الغيظ، فكان الإمام الباقر (ع) صريعه على يد هشام بن عبد الملك الذي دس السم الى الباقر (ع)، وقيل على يد ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك⁽²⁾.

- أم من الإمام جعفر بن محمد (ع) الصادق رأس فقهاء وعلماء عصره صاحب الثورة؛ الثورة الفكرية، العلمية، المعرفية. والتي انطلقت من جامعته العلمية. لقد كان عصر الإمام الصادق (ع) نقطة تحول من عهد بنى أمية الذي شهد المفارقات الدينية والعقائدية، حتى وصل الأمر إلى ضياعها بين لذات الحكام، لتُسي مع بنى العباس أكثر ضياعاً مع خلفاء أتحننا سيرتهم بذاك الترف المترع باللذات، خلفاء أمست الحياة في النظرية خاصتهم ثمراً هو على الدوالي عناقيد لذات وفي الدن المُعتق أحلام نشوات.
فالقتل بات لذة، سفك الدماء بات لذة، أنه الثكلي باتت لذة؛ حتى قال قائل للمنصور: لقد هجمت بالعقوبة حتى كأنك لم تسمع بالعفو.

(1) مروج الذهب: المسعودي، ج 3، ص 234.

(2) بحر الأنوار: ج 43، ص 217.

قال: لأن بني مروان لم تبّل رممهم، وآل أبي طالب لم تغمد سيوفهم. ونحن بين قوم قد رأونا أمس سوقة واليوم خلفاء، فليس تتمهد هيبتنا في صدورهم إلا بنسيان العفو واستعمال العقوبة⁽¹⁾.

لقد شهدت إمامة الصادق (ع) أسوأ الخطوب والأهوال شهد ما لاقاه العلويون من صنوف التنكيل والتعذيب على يد الخلفاء العباسيين حتى إنه عليه السلام لم يسلم من أوار الحقد والغیظ؛ ليمضي (ع) شهيداً مسموماً بأمر من أبي جعفر المنصور.

فلا بدع من كان امتداد مورد صبره إلى ذاك الغار إلى أئمة ربطهم منطق واحد، منطق الرسالة والوحي، منطق هُضم في ضمائرهم فاعطاهم ثباتاً في ساحة التناوح والتطاوح التي شهدتها الأمة بدءاً من غياب صاحب الرسالة إلى عصر بني أمية، إلى بني العباس اللذين اعدوا غربلة التربة، ليزرعوا بذار دعوتهم لتثمر مرأً علقماً كان مذاقه مريراً على لسان الإمام الصادق وابنه الكاظم (عليهما السلام) اللذين سجد الصبر أمام عتبات صبرهما (عليهما السلام) وبقي هذا الصبر في وعي الخلد ملء عين الخلد.

(1) تاريخ الخلفاء: السيوطي ص 267.

الفصل الأول: طيبة رَوْح النبوة وروح الإمامة

- في ولادة الإمام موسى بن جعفر (ع)
- طيبة روح النبوة وروح الإمامة
- النسيم الشذا يروي طيب صفاته: مناقب الإمام موسى بن جعفر (ع)
- في فضائله (ع)
- في عبادته (ع)
- في جوده (ع)
- في علمه (ع)
- من دُر علم الإمام (ع) علم اللغات
- من طور سينين نور فطنته (ع)
- غوامض فكره تحكي الدراري
- في مكارم أخلاقه (ع)
- هذي ثمار نواله وأخلاقه (ع)
- النسيم الشذا يروي خلقه السامي (ع)
- في كراماته (ع)
- ذا ابن أبي تراب
- لمثله تليق المكرمات
- في معجزاته (ع)
- معجزة جرت من عين حكمته
- معجزة تنال بها الأمان والأمانى
- معجزة عجز الفهم عن تصورها
- ومن كل منقبة بالفضل معجزة

في ولادة الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)

تاريخ ولادة الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام):

ولد الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) في الأبواء (منزل بين مكة والمدينة) عام 128 للهجرة وهو المشهور⁽¹⁾. ومنهم من حدد يوم ولادته (عليه السلام) لسبع خلون من صفر عام 128 للهجرة⁽²⁾. ومنهم من قال بولادته عام 129 للهجرة⁽³⁾، إلى قائل بولادته (عليه السلام) في شهر ذي الحجة عام 127 للهجرة⁽⁴⁾.

وموسى بن جعفر (عليه السلام) هو سابع الأئمة عليهم السلام. وكادت الأشياء أن تكون سبعة: "السموات والأرضون والجبال والأقاليم والأسابيع، والأعضاء والوضوء والطواف والسعي ورمي الحجار وأسباع القرآن،

(1) الإرشاد: المفيد ص 215 ج2/ كشف الغمة: الإريلي، ج2 ص 237/ تاريخ بغداد: ج13، ص 29/ أصول الكافي: الكليني، ج1 ص 476/ إثبات الوصية: المسعودي ص 203/ الفصول المهمة: ابن الصباغ المالكي، ص 229/ تذكرة الخواص: ابن الجوزي ص 312/ الاتحاف بحب الإشراف: الشبراوي الشافعي، ص 150/ نور الأبصار: الثبيلنجي ص 164/ مجموعة نفسية، ص 182.

(2) المناقب: ابن شهر آشوب، ج4، ص 1186/ روضة الواعظين: ص 221/ أعلام الوري: الطبرسي، ص 294/ الأنوار النعمانية: ج1 ص 378.

(3) تاريخ بغداد ج13 ص 29/ تذكرة الخواص: ص 312/ إثبات الوصية: ص 203/ وفيات الأعيان: ابن خلكان 310/5.

(4) دلائل الإمامة: الطبري ص 144.

والمولود إذا بلغ سبعة أيام عُقَّ عنه، وإذا بلغ سبع سنين سقط سنه، ولا إله إلا الله محمد رسول الله سبع كلمات⁽¹⁾.

... عن أبي بصير قال: كنت مع أبي عبد الله (عليه السلام) في السنة التي ولد فيها ابنه موسى (عليه السلام). فلما نزلنا في الأبواء، وضع لنا أبو عبد الله (عليه السلام) الغداء، ولأصحابه وأكثره وأطابه. فبيما نحن نتغدى إذ أتاه رسول حميدة فقال: إن حميدة قالت له "إن الطلق قد ضربني"، وقد أمرتني "أن لا أسبقك بابنك هذا". فقام أبو عبد الله (عليه السلام) فرحاً مسروراً، فلم يلبث أن عاد إلينا حاسراً عن ذراعيه ضاحكاً سنه.

فقلنا: أضحك الله سنك وأقر عينك. ما صنعت حميدة؟

فقال: وهب الله لي غلاماً. وهو خير من برأ الله. ولقد خبرتني عنه بأمر كنت أعلم به منها.

قلت جعلت فداك وما أخبرتك حميدة.

قال: نكرت أنه لما وقع من بطنها وضع يديه على الأرض، رافعاً رأسه إلى السماء. فأخبرتها أن تلك إمارة رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) وإمارة الإمام من بعده⁽²⁾.

(1) المناقب: ابن شهر آشوب، ج4 ص 1155.

(2) مدينة معاجز: هاشم البحراني، ج3 ص 5 / نور الأبصار: المازندراني ص 127 / الدر النظيم: جمال الدين الشامي ص 650 / دلائل الإمامة: الطبري ص 144 / إثبات الوصية: المسعودي ص 202، مع اختلاف في الألفاظ في سرد الرواية / إثبات الهداة

فسلام على الينبوع الذي تفرق في الأبواء... سلام على بدر التّجى
 اللآء... عبير الروض له خاطب يروي له طيب الصفات... والعبق الزاهر
 تهادى ينشر عَرَف مسك مرسلات... سلام على من جاء آيه محكمة نسخت
 بالبينات ظلماً داجيات.. تقرأ الحُسن به سورة لها في وجهه عشرات... يفتق
 نواره نوراً تتلألاً به الرياض الناضرات... غصن في روضة الحُسن، نفحات
 الأريج في الوجنات... يا له من سرٍ أضرم الوجد والعبرات!! أولع قلب
 الصادق (عليه السلام) مذ رأى ذاك المحيا مشرقاً بالأنجم المطرزات...
 فارتشف الثغران من رشيف اللّمي لم يُعد عليها كاسات...

في كنيته (عليه السلام)

كان (عليه السلام) يكنى أبا الحسن وأبا إبراهيم وأبا علي⁽¹⁾.

في ألقابه (عليه السلام)

الكاظم وهو أشهر ألقابه، وكان يعرف بالعبد الصالح⁽²⁾ والوفى،
 والصابر، والأمين⁽³⁾ وزين المجتهدين والنفس الزكية والزاهر⁽⁴⁾ والمأمون

ج5 ص 475 الإمام موسى بن جعفر: عبد الله البحراني الأصفهاني ص 19 نقل عن
 بصائر الدرجات: ج4، ص 440.

(1) الإرشاد: ص 213/ المناقب: بن شهر آشوب، ج4، ص 1186/ كشف الغمة ج2 ص 212.

(2) تاريخ بغداد ج13 ص 29/ أجمع المؤرخون على هذا اللقب.

(3) كشف الغمة: ح2، ص 212/ دلائل الإمامة: الطبري، ص 146.

(4) المناقب ج4 ص 1185.

والطيب والسيد⁽¹⁾.

وقد سُمي عليه السلام بالكاظم، لأنه كان من المتوسمين يعلم من يقف عليه بعد موته، ويجحد الإمامة بعد إمامته، وكان يكظم غيظه عليهم، ولا يبدي لهم ما يعرفه منهم⁽²⁾.

وذكر ابن شهر آشوب سمي بالكاظم لما كظمه من الغيظ وغضَّ بصره عما فعله الظالمون به حتى مضى قتيلاً في محبسهم⁽³⁾.

وعن ابن حجر سمي الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج⁽⁴⁾.

وقال ابن الأثير: كان يلقب بالكاظم لأنه كان يُحسن إلى من يسيء إليه. وكان هذا من عادته أبداً⁽⁵⁾.

وقال الشيخ المفيد: وسمي بالكاظم لما كظمه من الغيظ، وصبر عليه من فعل الظالمين به حتى مضى قتيلاً في حبسهم ووثاقهم⁽⁶⁾.
نقش خاتمه:

... عن أبي الحسن بن موسى الرضا (عليه السلام): كان نقش خاتم أبي الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) حسبي الله⁽⁷⁾

(1) تذكرة الخواص: ابن الجوزي، ص 312.

(2) علل الشرائع: الصدوق، ج 1 ص 315 باب 170 / إثبات الهداة: محمد بن الحسن الحر العاملي، ج 5 ص 518.

(3) المناقب: ج 4، ص 1185.

(4) مناقب أهل البيت: الشرواني، ص 275.

(5) الكامل في التاريخ: 164/6، طبعة صابر.

(6) الإرشاد: ص 235 ج 2.

(7) عيون أخبار الرضا: الصدوق، ج 2 ص 61.

وقيل "الملك لله وحده"⁽¹⁾.

والدته (عليه السلام)

أمه أم ولد يقال لها حميدة البربرية⁽²⁾، ويقال حميدة المصفاة، كما يقال إنها أندلسية تكنى لؤلؤة⁽³⁾.

... عن أبي جعفر بن علي السلمغاني رفعه إلى جابر قال: قال أبو جعفر: قدم رجل من المغرب معه رقيق قد وصف لي خلقه جارية معه، وأخبرني بابتياعها بصرة دفعها إليّ فمضيت إلى الرجل فعرض علي ما كان عنده من الرقيق. فقلت بقي عندك غير ما عرضت علي؟ فقال بقيت جارية عليّة. فقلت أعرضها علي. فعرض علي حميدة فقلت بكم تبيعها؟ فقال: سبعين ديناراً. فأخرجت الصرة إليه. فقال النخاس: لا إله إلا الله رأيت البارحة في النوم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد ابتاع مني هذه الجارية بهذه الصرة بعينها.

فتسلمت الجارية وهربت بها إلى أبي جعفر. فسألها عن اسمها؟ فقالت: حميدة.. فقال: حميدة في الدنيا ومحمودة في الآخرة. ثم سألها عن خبرها فعرفته أنها بكر. فقال لها: أنى يكون ذلك وأنت جارية كبيرة. فقالت: كان مولاي إذا أراد أن يقرب مني أتاه رجل في صورة حسنة فيمنعه أن يصل إلي.

فدفعها أبو جعفر إلى أبي عبد الله وقال: حميدة سيدة الإمام، مصفاة من

(1) نور الأبصار: الشيلنجي، ص 164/ الفصول المهمة: ص 229.

(2) الإرشاد: ص 214/ دلائل الطبري: ص 146.

(3) المناقب: ابن شهر آشوب، ج 4/ 1186.

الأرجاس كسبيكة الذهب . فما زالت الأملاك تحرسها حتى أذنت إلي كرامة الله⁽¹⁾.

فليهنها السعد حميدة! قد كانت خفرة من الخفرات، مصنونة من المصونات، عفة، بكرٌ غراء. عمود الصبح منها كان يحتشم. ما ضمها قط إلا خدر يسترها، جلال الخلق كان دوماً يحرسها. والرفق يمنعها والدين والشيم؛ كأنها درة ما فارقت صدفاً، وكلّ ذا يعصمها عما يُشين مزاياها فتتعصم...

والده (عليه السلام):

الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع)، أقلام مرجان كتبت بعنبر بصحيفة البلور خمسة أسطر:

● جعفرٌ عالمٌ قد شرف العلم به، بحرٌ لجّه من باقرٍ، وقبس شعلته من نور أحمد...

● جعفرٌ حليف مكرّمات، بروضات الصحائف له من كل منقبة بالفضل معجزة، بها عطّل بئر الجهل والظلم، ومحا بالحق شبه الباطل...
جعفرٌ تلاقى فيه مجمع البحرين، تولّد من حيدرٍ وبضعة أحمد، فكان له شرف النجوم على حصي الأرضين. فعنه نقل نقات العلم روايات صدق، كانت كنثر اللآلئ في المسامع...

(1) دلائل الإمامة : الطبري، ص 146/ أصول الكافي الكليني ج 1 ص 476 مع اختلاف في سرد مقدمة الرواية/ إثبات الوصية المسعودي ص 201.

• جعفرٌ تكهّل في علم العُلا وهو يافع، وحاز بلوغ الحلم وهو وليد، إلى باقرٍ مرجع علمه، إلى زين العابدين أسُّ بنائه، وإلى حيدر وطه طين تربته. فساد بذاك على سادات الوري وتناهى...

• جعفرٌ مقولة صدقٍ كتبت بنور: أربعة آلاف راوٍ اقتبسوا من نور هذيه ناراً، ومذاهب أربع تصفحت غوامض فكره: أبو حنيفة ومالك وابن حنبل وشافعي، فكان لهم من عقود فقهه مدرسة ومرجع... فلولاك سيدي لم يصف الغدير من القذى، بقي ماؤه أسنا أجناً؛ فأفضت عليه من صفاء علمك، فأضحى طيب الورد مشرباً. فإليك سلامي سيدي علّك ترد السلام على البعد...

طيبة رُوح النبوة ورُوح الإمامة:

... عن منهل القصاب قال: خرجت من مكة وأنا أريد المدينة، فمررت بالأبواء وقد ولد لأبي عبد الله (عليه السلام)، فسبقته إلى المدينة. ودخل بعدي بيوم فأطعم الناس ثلاثاً⁽¹⁾.

ويا طيبة أنعمي قد حباك الله بسابع جنانه... ويا طيبة اشرفي بروية وجه حمل النسيم المسك في أردانه... فثم عرسٍ أبداً ترينه، قد جاءك وليد في ورده الوجنات وعلى رياضك انتشرت عقود جمانه...

ويا طيبة زغردي أذاك رُوح الإمامة، كهف الوري، غيث الصريخ... أذاك تحمله صفائحُ أجفان المهي، ومن أخرس البلغاء في تبيانته... ذاك موسى

(1) الامام موسى بن جعفر: عبد الله البحراني، ص 22 نقلاً عن البرقي: المحاسن 418/2 ح 187 .

(عليه السلام) نوراً بدا ، فأبان عن فلق الهدى سنى برهانه... وهذا جعفر
(عليه السلام) إن قيل علمٌ فهو حامل مناره، أو قيل فقه فهو في عنوانه.
ويا طيبة أبشري واسعدي قد أتاك من أوصى بهم أحمد النبي (صلى الله
عليه و آله وسلم): أنه لا برُّ في الحب يا أهل الهوى إلا المودة في
القربى!!... فكانا أحد الثقلين عند الله في أوزانه... وكانا ممن قرن التوحيد
بهم فكانا "اللهم صلي على محمد وآله"... رعى الله طيبة بمن فيها وحياتها
بِمَنْسَمِ (النسيم)... فقد كساها الله وجهين: موسى وجعفر (عليهما السلام)،
فأشرقَت الأرض بهالات عسجد (ذهب)... غرُّ من الدرُّ طوقاً ديار طيبة لم
تَفُضِّلْ سجايهما إلا سجايا رسول الله النبي أحمد الأكرم (صلى الله عليه وآله
وسلم).

رب اجعلني شاكراً حامداً لألائك حيث ألهمتني ولاية كاظم، أجرى
مسيل دمعي صبره وحلمه على مرّ العذاب وعلقم الدهر. فاجعل اللهم لي من
صبره وحلمه، حديقة أسها التسبيح، نرجسها التهليل، أداوي فيها الغم بالنغم.
فتلطف اللهم ربّ فإنتي:

عساني أبلغ بالصبر خير المثوى	ذقت من الدنيا طعم البلوى
فرجائي منك ربّ جنة المأوى	وما الدنيا إلا نعيم زائل
أصحاب الكساء أهل المغفرة والتقوى	بمحمدٍ وعلي وفاطمة والحسين
أن الأبى بحبل الله يبقى معتصماً	فسيرة الكاظم لي منها عبر

النسيم الشدا يروي طيب صفاته: مناقب الإمام موسى بن جعفر (ع)
في فضائله (عليه السلام):

أيا سائلي إن أردت أخبار الكرام عرّج على الكاظم (ع). وفيه تصحّف
صُحف المعالي تجد به وبآله النور، وعمّ، وهل أتى شرف البيان... كريم من
سلالة أكارم ما زال فيهم شهاب الطور متقدماً على الدوام.

هو نجل الكرام، أخو الغمام، وصاحب الفضل التمام. أين طين الوري
من طين عنصره؟؟... إذا نسب للأكرمين كان بمنزلة السبع المثاني من
الذكر... أو نسب إلى الميامين كان حواميم رُشدٍ فصلت للورى هدى... أو
قل آيات فتح أنزلت ليلة القدر.

كاظم سلام عليه، هو ملاك إلا أنه بشر. فإن كان الناس من ماء مهين
قد خلقوا، فهو عليه السلام من ماء معين مطهر... أنى يناظره الورى بشمائل
وفيه مكارم تريك أنها خلق، تريك روح السماح وقلبه وزنده والمرفق...
سليل أباء مطهرة غرّ خلاصة النهى والهدى والحلم... حليف الحق والعدل
والإحسان والعفو والبر... كوكب دري، نور زجاجة المختار بل مصباح
ذرياته... إذا زينت الأفلاك حلية مفخر، ففيه وفي آياته زينة الفخر... أو إذا
مر نكرُ الفاخرين فنكره كفاتحة القرآن في أول الذكر...

سيدي عذراً، إن كان اليراع فيك مقصر.. فما قدر البيان في الثناء على
من أثنى الله عليه في قرآنه. فويح نفسي ويا خجلي! إن فقدت منك الرجاء
وحاشا لمثل نذاك أن يحرم!... طلبتي مولاي منك شفاعة تجيرني من عذاب

الله يوم النقم... إني مولاي ما مرّ عليّ نكرك إلا وأكثر مني نثر دمعي كالديم!! فيا ليت عطفك سيدي يأذن وضع خدي حيث توطىء القنم...

فليهنك المجد سيدي... فليهنك حرّاً؛ في طيب النبوة شذا صفاتك. فلئن عبق الروض بحسن حديثك، فليطيب ما ترويه ألسن رواتك... فلا زلت سيدي طراز مكرمة وزينة منبر...

قال كمال الدين الشافعي: أبو الحسن موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام). هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشأن، المجتهد الجاد في الاجتهاد. المشهور بالعبادة المواظب على الطاعات، المشهور بالكرامات، يبيت الليل ساجداً، ويقطع النهار متصدقاً وصائماً، ولفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين دعي كاظماً.

وكان يجازي المسيء بإحسانه، ويقابل الجاني بعفوه عنه، ولكثرة عبادته كان يسمى بالعبد الصالح. ويُعرف في العراق بباب الحوائج لنجح طلب المتوسلين إلى الله تعالى.

كراماته تحار منها العقول وتقضي بأن له عند الله قدم صدق لا تزل ولا تزول⁽¹⁾.

وقال ابن الصباغ: قال بعض أهل العلم: الكاظم هو الإمام الكبير القدر والأوحد، الحجة، الحبر الساهر ليله قائماً، القاطع نهاره صائماً، المسمى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظماً، وهو المعروف عند أهل العراق بباب

(1) كشف الغمة: ج 2 ص 212.

الحوائج وذلك لنجح قضاء حوائج المسلمين⁽¹⁾.

وعن ابن حجر: موسى الكاظم وهو وارثه - أي جعفر بن محمد (عليه السلام) - علماً ومعرفة وكمالاً وفضلاً⁽²⁾.

وذكر اليافعي: السيد أبو الحسن موسى الكاظم (عليه السلام) ولد جعفر الصادق (عليه السلام) كان صالحاً عابداً جواداً حليماً كبير القدر. وهو أحد الأئمة الإثنا عشر المعصومين في اعتقاد الإمامية. وكان يدعى بالعبد الصالح من عبادته واجتهاده⁽³⁾.

وقال المفيد: وكان موسى بن جعفر (عليه السلام) أجلاً ولد أبي عبد الله (عليه السلام) قدراً وأعظمهم محلاً، وأبعدهم في الناس صيتاً. ولم ير في زمانه أسخى منه، ولا أكرم نفساً وعشرة. وكان أعبد أهل زمانه وأورعهم وأجلهم وأفقههم، واجتمع جمهور شيعة أبيه على القول بإمامته والتعظيم لحقه والتسليم لأمره (عليه السلام)⁽⁴⁾.

وقال الخطيب: وكان موسى بن جعفر يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده.. وكان سخياً كريماً. وكان يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث إليه بصرة فيها ألف دينار⁽⁵⁾.

(1) الفصول المهمة: ص 228/ نور الأبصار: الشبلنجي ص 164.

(2) مناقب أهل البيت: الشرواني، ص 275.

(3) مرآة الجنان: 394/1 .

(4) الإرشاد: ج 2 ص 214.

(5) تاريخ بغداد: ج 13 ص 29.

وقال ابن الجوزي وكان موسى جواداً حليماً إنما سُمي الكاظم لأنه كان إذا بلغه عن أحد شيء بعث إليه بمال⁽¹⁾.

وقال ابن شهر آشوب: وكان أجلّ الناس شأناً وأعلامهم في الدين مكاناً، وأسماهم بناناً، وأفصحهم لساناً، وأشجعهم جناناً وقد خصّ بشرف الولاية، وحاز إرث النبوة، وبؤى محلّ الخلافة، سليل النبوة، وعقيد الخلافة⁽²⁾.

وقال الطبرسي: قد اشتهر في الناس أن أبا الحسن موسى (عليه السلام) كان أجلّ ولد الصادق (عليه السلام) شأناً وأعلامهم في الدين مكاناً، وأفصحهم لساناً وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأفقههم⁽³⁾.

روى المرتضى عن... أيوب بن الحسين الهاشمي قال كان نفيح رجلاً من الأنصار حضر باب الرشيد، وكان عريفاً، وحضر عبد العزيز، وحضر موسى بن جعفر (عليه السلام) على حمار له فتلقاه الحاجب بالبشر والإكرام، وأعظمه من كان هناك وعجل له بالإذن. فقال نفيح لعبد العزيز: ما رأيت أعجز من هؤلاء القوم يفعلون هذا برجل يقدر أن يزيلهم عن السرير أما لئن خرج لأسومه. (لأسونه).

فقال له عبد العزيز: لا تفعل إن هؤلاء أهل بيت قلّ من تعرض لهم بالخطاب إلا وسموه في الجواب سمة تبقى عارها عليه مدى الدهر. قال: وخرج موسى (ع) فقام إليه نفيح الأنصاري فأخذ بلجام حماره ثم قال من أنت؟

(1) تنكرة الخواص: ص 312.

(2) مناقب آل بني طالب، ج 4، ص 1186.

(3) الطبرسي: ص 305.

فقال: هذا إن كنت تريد النسب فأنا ابن محمد حبيب الله بن اسماعيل نبيح الله بن ابراهيم خليل الله.

فإن كنت تريد البلد: فهو الذي فرض الله عزّ وجلّ على المسلمين وعليك إن كنت منهم الحج إليه.

وإن كنت تريد المفاخرة فوالله ما رضي مشركوا قومي مُسلمي قومك أكفاء لهم، حتى قالوا: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قريش.

وإن كنت تريد الصيت والإسم: فنحن الذين أمر الله بالصلاة علينا في الصلوات المفروضة يقول: "اللهم صلي على محمد وآل محمد" فنحن آل محمد.

خل عن الحمار. فخلى عنه ويده ترعد وانصرف مخزياً، فقال له عبد العزيز: ألم أقل لك؟⁽¹⁾.

في عبادته (عليه السلام)

ويا سائلي عن الورع والتقوى عرّج على محراب الإمام موسى بن جعفر(ع)... وأخلع النعل في ثراه احتراماً... وأطل فيه السجود خشوعاً... فأنت في روضة قدس من رياض الله؛ في رياض يعبق فيها طيب النبوة، بشهاب الطور تتصل...

عرّج واستخبر المحراب عن ترتيله ودعواته. تنبئك المضاجع عن

(1) أعلام الوري: ص 307/ دلائل الإمامة: الطبري ص 154 نكر أم بن عبد العزيز شاعراً طريفاً/ مناقب آل بني طالب ج 4 ص 1180 وقال عبد العزيز بن عمر.

تجافي جنوبه وطول هجر منامه.... تخبرك عن أعين ذرفت الدمع شوقاً من
سُورِ رُبِّتِ قِيَاماً فِي خَشْوَعِهِ، حَتَّى يَشُقَّ الْفَجْرَ لَيْلِ الْعَنْبَرِ... لَهِ عَظَمَتِ ذَاتِ
تَنَزَّهَتْ عَنِ كُلِّ رَجَسٍ، وَلِلَّهِ دُرَّهَا وَرَسُولُ اللَّهِ وَاسْطَةُ لِعَقْدِهَا وَسِرَاجُ فِي
مِحْرَابِهَا... وَلِيُهِنَهَا ذَاتِ تَحَدَّرَتْ مِنْ قَوْمِ ذَاتِ اللَّطْفِ صَاغَ عَنَصَرَهَا وَرَحْمَةً
لِلْعَالَمِينَ سِوَاهَا...

قال الخطيب: كان موسى يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده.
روي أنه دخل مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فسجد سجدة في
أول الليل وسمع وهو يقول في سجوده: {عظم الذنب عندي فليحسن العفو
من عندك، يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة}. فجعل يرددتها حتى أصبح⁽¹⁾.

وذكر ابن شهر آشوب: كانت لموسى بن جعفر بضع عشرة سنة كل يوم
سجدة بعد ابيضاض الشمس إلى وقت الزوال. وكان (عليه السلام) أحسن
الناس صوتاً بالقرآن. فكان إذا قرأ يحزن وبكى السامعون لتلاوته. وكان
يبكي من خشية الله حتى تخضل لحيته بالدموع⁽²⁾.

وعن أحمد بن عبد الله عن أبيه قال: دخلت على الفضل بن الربيع وهو
جالس على سطح فقال لي: أشرف على هذا البيت وانظر ما ترى؟ فقلت ثوباً
مطروحاً. فقال: انظر حسناً. فتأملت فقلت: رجلٌ ساجد.
فقال لي تعرفه؟ هو موسى بن جعفر أتفقدته الليل والنهار فلم أجده في

(1) تاريخ بغداد: ج 13 ص 29 / وفيات الأعيان: ابن خلكان ج 5 ص 308 / دلائل الإمامة:
الطبري ص 147

(2) مناقب آل بني طالب: ج 4 ص 1181.

وقت من الأوقات إلا على هذه الحالة إنه يصلي الفجر فيعقب إلى أن تطلع الشمس، ثم يسجد سجدة فلا يزال ساجداً حتى تزول الشمس. وقد وكل من يترصد أوقات الصلاة فإذا أخبره وثب يصلي من غير تجديد وضوء. وهذا دأبه فإذا صلى العتمة أفطر. ثم يجدد الوضوء ثم يسجد. فلا يزال يصلي في جوف الليل حتى يطلع الفجر.

وقال بعض عيونه: كنت أسمعه كثيراً يقول في دعائه: "اللهم إني كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك، اللهم وقد فعلت ولك الحمد" (1).

عرج لتري كاظماً (عليه السلام) هو من قوم رأوا الدنيا وإن عظمت وجلت هي لديهم أقل من شسع النعل. من قوم يراوحن بين جباههم وخدودهم، يقفون على مثل الجمر. بين أعينهم مثل ركب المعزى من طول سجودهم، وقد نكروا هادم اللذات وقاطع الأمنيات.

من قوم إذا ذكروا الله همّلت أعينهم حتى تَبَلَّ جيوبهم. قوم استعدوا لضنك المقام، اتقوا ناراً ساطع لهيبها، متغيظ زفيرها، متأجج سعيرها، بعيد خمودها، ذاك وقودها، فظيعة أمورها، فأعدوا لها قبل فوات الأجل وانقضاء المهل، خوفاً من العقاب ورجاءً للثواب.

قال الطبرسي: وكان أعبد أهل زمانه، وإنه كان يصلي نوافل الليل ويصلها بصلاة الصبح، ثم يعقب حتى تطلع الشمس. ثم يخرُّ ساجداً، فلا يرفع رأسه من الدعاء والتحميد حتى يقرب زوال الشمس. وكان يقول في سجوده: "قبح الذنب من عبدك فليحسن العفو والتجاوز من عندك".

(1) مناقب آل بني طالب ج 4 ص 1181 / عيون أخبار الرضا: الصدوق ج 1 ص 98.

وكان من دعائه: "اللهم إني أسألك الراحة عند الموت والعفو عند الحساب". وكان يبكي من خشية الله حتى تخضلت لحيته بالدموع⁽¹⁾.

حدّث أبو بكر محمد بن علي... حدثني الثوباني قال: كانت لأبي الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) بضع عشرة سنة كل يوم سجدة بعد انقضاء الشمس إلى وقت الزوال. فكان هارون ربما صعد سطحاً يشرف منه على الحبس الذي فيه أبو الحسن (عليه السلام). فكان يرى أبا الحسن (عليه السلام) ساجداً فقال للربيع: يا ربيع ما ذاك الثوب الذي أراه كل يوم في ذلك الموضع؟

فقال: يا أمير المؤمنين ما ذاك بثوب وإنما هو موسى بن جعفر (عليه السلام) له كل يوم سجدة بعد طلوع الشمس إلى وقت الزوال. قال الربيع: قال لي هارون: أما أن هذا من رهبان بني هاشم. قلت: فمالك قد ضيقت عليه في الحبس! قال: هيهات لا بد من ذلك⁽²⁾.

وقال المازندراني: وفي حديث طويل عن المأمون يصف فيه موسى بن جعفر (عليه السلام) ويذكر وروده على أبيه الرشيد بالمدينة يقول: إذ دخل شيخ مسجد قد أنهكته العبادة، كأنه شئٌ بال قد كلم السجود وجهه وأنفه. وكان له غلام أسود يأخذ اللحم من جبينه وعرنين أنفه من كثرة السجود⁽³⁾.

(1) أعلام التوري: ص 306/ الإرشاد: المفيد ج 2 ص 231.

(2) عيون أخبار الرضا: الصنوق ج 1 ص 88.

(3) نور الأبصار: ص 131.

وقال ابن كثير: كان كثير العبادة والمروءة⁽¹⁾.

عرج على الكاظم (عليه السلام) تراه سراجاً لمع ضووه، وشهاب سطر نوره... بزهده الأعلام جارية، وعن عبادته الصحف ناشرة... فقد أجاب دعوة الداعي، عمل ليوم تذخر له الذخائر، وتبلى فيه السرائر... زهد في الدنيا، يبكى قلبه وإن ضحك، يشتد حزنه وإن فرح... تبصر وعرف أن تقوى الله هي الزاد وبها المعاذ... فيها ألزم قلبه حتى أسهر ليلاليه، وأنصب جوارحه، فأخذ الراحة بالنصب، والري بالظما. فاستقرب الأجل وبادر العمل. وكفى بذلك واعظاً لمن عقل. ومعتبراً لمن جهل... إلزم سمته واتبع أثره، فإنه لن يخرجك من هدى، ولن يردك في ردى... فسلام عليك سيدي نحن كما أردت فأجعلنا كما أحببت.

... عن عمّار بن أبان قال: حبس أبو الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) عند السندي، فسألته أخته أن تتولى حبسه - وكانت تتدين ففعل. فكانت تلي خدمته. فحكى لنا أنها قالت: كان إذا صلى العتمة حمد الله ومجدة ودعاه، فلم يزل كذلك حتى يزول الليل؛ فإذا زال الليل قام فصلى الصبح. ثم يذكر قليلاً حتى تطلع الشمس، ثم يقعد إلى ارتفاع الضحى. ثم يتها ويستاك ويأكل. ثم يرقد إلى قبل الزوال. ثم يتوضأ ويصلي حتى يصلي العصر، ثم يذكر في القبلة حتى يصلي المغرب. ثم يصلي ما بعد المغرب والعتمة فكان هذا دأبه. وكان عبداً صالحاً⁽²⁾.

(1) البداية والنهاية: 197/10.

(2) تاريخ بغداد: ج 13 ص 31/30.

وذكر الشبلنجي: كان موسى الكاظم (رض) أعبد أهل زمانه⁽¹⁾.
وروى المسعودي: أن الناس كثيراً ما يرونه ساجداً فيظنونونه ثوباً ملقى
في صفة الدار، حتى ثارا في وقت من الأوقات، فسألوا عنه، فقيل لهم: هذا
موسى بن جعفر إذا صلى الغداة جلس يعقبا حتى تطلع الشمس يقرأ ويسبح
ويدعو، ثم يسجد إلى أن تزول الشمس⁽²⁾.
في جوده (عليه السلام):

يا سائلي عن الجود والندی عرّج على الامام موسى بن جعفر (عليه
السلام)... تا الله ما الزهر غبّ القطر أحسن منه حين جوده... كريم إذا ما
زرته زرت روضة يفتح فيها غيثه حدق الزهر... يفوق المزن إن هي
ساجلته، وإذا ضنّ الغمام على الوري توالى يداه بالغيوت الهواطل...
كريم في أنامل راحتيه بشر، وفي رؤية وجهه نيل الأمان... ما اشغلته
طاعة عن طاعة، فصلاته مشفوعة بصلاته. فلا بُرحت يماناه هامية؛ إن زاره
سائل عافٍ يُعظمه، أو أتاه مقتّر مديون تراه الندب لا يلحق... لا تعرف
الجدب إلا عند غيبته، ولا ترى الغيث إلا حين تبصره... لا زالت طلاب
الندی ترجوه لكل نازلة، إذا ما كشر الدهر عن أنيابه العُضَل... ولا زلت أبا
الحسن عليك السلام غيث الفقير، غوث المستجير، وجابر المقتّر الكسير،
دوما طوال الدهر...

(1) نور الأبصار: ص 166.

(2) إثبات الوصية: ص 212.

ولا زال الخير يرجى في طي أنامله... من جنى روضه، وثمار نواله
يقطف المستغيث حاجاته... عزيزاً (عليه السلام): لا يذُلُّ عنده نزيل، ولا
بخشى لديه البائس الفقير. يبدي الندى سمحة يتبع الأولى بثانية... فراحتة نفع
للدى من روحها في ميت الآمال روح رجاء... يحدث عنه فضله وهو
صامت وإن أخفى نداه فهو في الخلق ظاهر... فيارعى الله زمنا حلت فينا به
بركات مولانا الإمام الكاظم (عليه السلام)، باب الحوائج، المرجى لكل نائبة،
غيث الندى الهطل...

يا ابن الميامين، لمتك يليق الجود والكرم... يا ابن الذين على الورى
بالفضل قد أخذوا العهودا وبويعوا... تهمة وتهمة المعصرات وديمة راحتك
لا تُلغ. وكيف بها تُلغ وصرار موسى بشرى لكل سعود؟؟

- نكر ابن الصباغ: "كان موسى بن جعفر (عليه السلام) أعبد أهل
زمانه وأعلمهم وأسخاهم كفاً وأكرمهم نفساً. وكان يتفقد فقراء المدينة، ويحمل
إيهم الدنانير إلى بيوتهم والنفقات ولا يعلمون من أي جهة وصلهم ذلك، ولم
يعلموا بذلك إلا بعد موته (عليه السلام) (1).

- نكر أن أبا الحسن (عليه السلام) كان يصل بالمائتي دينار إلى
الثلاثمائة دينار، وكانت صرار أبي الحسن موسى مثلاً (2).

- ... حدثنا محمد بن عبد الله البكري قال: قدمت المدينة أطلب بها
دينا، فأعياني. فقلت: لو ذهبت إلى أبي الحسن موسى (عليه السلام) فشكوت

(1) الفصول المهمة: ص 234/ نور الأبصار: الشبلنجي، ص 166.

(2) الارشاد: ج 2، ص 234/ مقاتل الطالبين: ص 332.

إليه، فأتيته في ضيعته. فخرج الي ومعه غلام معه منشف فيه قديد مجزّع ليس معه غيره. فأكل وأكلت معه. ثم سألتني حاجتي فذكرت له قصتي. فدخل ولم يقم إلا يسيراً حتى خرج الي. فقال لغلامه: "اذهب. ثم مد يده الي فدفع الي صرة فيها ثلاثمائة دينار. ثم قام فولى. ففقت وركبت دابتي وانصرفت⁽¹⁾.

ونكر ابن خلكان: وكان موسى سخيّاً كريماً، وكان يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه فبيعت إليه بصرة فيها ألف دينار، وكان يصر الصرر ثلاثمائة دينار وأربعمائة دينار ومائتي دينار ثم يقسمها بالمدينة⁽²⁾.

- قال جمال الدين الشامي: وكان عليه السلام كريماً، بهياً. وعتق ألف مملوك. وكانت صرة موسى (عليه السلام) إذا جاءت الإنسان فقد استغنى⁽³⁾.

- وحدث عيسى بن محمد بن مغيث القرطبي. قال: زرعت بطيخاً وقتاء، فلما استوى رعى الجراد. فبينما أنا جالس، إذ طلع موسى بن جعفر (عليه السلام) فسلم ثم قال: ايش حالك؟ فقلت اصبحت كالصريم. قال: وكم غرمت فيه؟ قلت مائة وعشرين ديناراً مع ثمن الجملين. فقال يا عرفة زن له مائة وخمسين ديناراً نربحك ثلاثين ديناراً والجملين. فقلت: يا مبارك ادخل وادع لي فيها. فدخل ودعا وجلس. وجعل الله فيها البركة وزكت. فبيعت منها بعشرة آلاف⁽⁴⁾.

(1) الارشاد: ص 232/ روضة الواعظين: النيسابوري، ص 215/ تاريخ بغداد: ج 13، ص 29

(2) وفيات الأعيان: ج 5، ص 308 / الدر النظيم: ص 652.

(3) الدر النظيم، ص 651 - 652.

(4) المرجع السابق، ص 662/ تاريخ بغداد: ج 13، ص 30.

في علمه (عليه السلام):

يا سائلي عن العلم وبيانه عرّج على الامام الكاظم (عليه السلام)،
يطالعك درّه وجمانه. بحر علم لجه من جعفر، شعلته من نور النبي محمد
(صلى الله عليه و آله وسلم)... فيا واردي لج البحار خذوا به فسبعثها في لبّ
جنانه... فلو كان بحراً، وحده الخبير يدري إذا ما خاض علمه أي البحور
الجواري في صدره... ولو كان شمساً لم يسعه مشرق، ولضاق عن كتم
الشعاع المغرب... بلغ الكمال وما تجاوز عمره خمساً وحاز الإمامة في
العشرين...

- روى أن أبا حنيفة النعمان بن ثابت صار إلى باب أبي عبد الله (عليه
السلام) ليسأله عن مسألة، فلم يأذن له فجلس لينتظر الإذن فخرج أبو الحسن
موسى (عليه السلام) وله خمس سنين فقال له: يا فتى أين يضع المسافر خلاه
في بلدكم هذا؟ فاستند إلى الحائط وقال: يا شيخ تتوقى (في) شطوط الأنهار،
ومساقط الأثمار، ومنازل النزال، ومحجة الطرق، وأقبلة المساجد، وأقنيتها،
ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها، ويتوارى حيث لا يرى، ويضعه حيث شاء.
فانصرف أبو حنيفة ولم يلق أبا عبد الله⁽¹⁾.

وأضاف الطبرسي أن أبي حنيفة قال: "لما سمعت هذا القول نبيل في
عيني وعظم في قلبي وقلت له: جعلت فداك ممن المعصية؟ فنظر الي ثم قال:
أجلس حتى أخبرك؟ فجلست.

(1) اثبات الوصية: المسعودي، ص 203/ دلائل الإمامة: الطبري، ص 159، المناقب،
ج 4، ص 1178.

مكتبة بيتنا
مؤسسة السيد هبة الدين الحسيني

التعمير
تأسست سنة ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ م
عجالة مطبعة - بيروت

فقال: إن المعصية فإن كانت من الرب فهو اعدل وأنصف من أن يظلم عبده ويأخذه بما لم يفعله، وإن كانت منهما جميعاً فهو شريكه، فالقوي أولى بانصاف عبده الضعيف. وإن كانت من العبد وحده فعليه وقع الأمر، وإليه توجه النهي وله حق الثواب والعقاب. ولذلك وجبت له الجنة والنار. فلما سمعت ذلك قلت: { ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم } (آل عمران: 34)⁽¹⁾.

روى ابن شهر آشوب عن عيسى بن شلمغان قال: دخلت على أبي عبد الله وأنا أريد أن أسأله عن أبي الخطاب، فقال مبتدئاً من قبل أن أجلس: يا عيسى ما يمنعك من تلقاء ابني فتسأله عن جميع ما تريد؟ فقال عيسى: فذهبت إلى العبد الصالح وهو قاعد وعلى شفتيه أثر المداد فقال مبتدئاً: يا عيسى إن الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق النبي على النبوة، فلم يتحولوا عنها أبداً، وأعار قوماً الإيمان، ثم سلبهم إياه. وإن أبا الخطاب ممن أعير الإيمان، ثم سلبه الله إياه. فقلت: { ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم } (آل عمران: 34)⁽²⁾.

- دخل أبو حنيفة على أبي عبد الله (عليه السلام) فقال له: رأيت ابنك موسى يصلي والناس يمرون بين يديه. فقال أبو عبد الله (عليه السلام): ادع لي موسى، فدعاه، فقال له في ذلك. فقال: نعم يا أبة، إن الذي كنت أصلي له كان أقرب إلي منهم يقول تعالى: { ولنحن أقرب إليه من حبل الوريد } (ق: 16). فضمه أبو عبد الله إلى نفسه، ثم قال: بأبي أنت وأمي يا مودع الأسرار⁽³⁾.

(1) اعلام الوری: ص 308.

(2) مناقب آل بنی طالب، ج 4، ص 1162/ دلائل الامامة: الطبري، ص 161.

(3) المرجع السابق، ص 1176.

من ذر علم الإمام (ع): علم اللغات:

- روى أحمد بن مهرا ن.. عن أبي بصير قال: قلت لأبي الحسن موسى جعلت فداك بم يعرف الإمام؟ قال: بخصال: أما أولاهن فإنه بشيء قد تقدم فيه من أبيه، وإشارته إليه ليكون حجة، ويسأل فيجيب، وإذا سكت عنه ابتداءه، ويخبر بما في غد ويكلم الناس بكل لسان.

ثم قال: يا أبا محمد أعطيك علامة قبل أن تقوم، فلم ألبث أن دخل عليه رجل من أهل خراسان يكلمه، فكلمه الخراساني بالعربية فأجابه أبو الحسن بالفارسية. فقال الخراساني: والله ما منعتني أن أكلمك بالفارسية إلا أنني ظننت أنك لا تحسنها. فقال: سبحان الله إذا كنت لا أحسن أن أجيبك فما فضلي عليك فيما استحق.

ثم قال: يا أبا محمد أن الإمام لا يخفى عليه كلام أحد من الناس، ولا منطق الطير ولا كلام شيء فيه روح. وأضاف المسعودي - فمن لم يكن فيه هذه الخصال فليس هو إمام⁽¹⁾.

- روى علي بن حمزة عن أبيه: (وكان قد تعجب من كلام الإمام (عليه السلام) بالحبشية) فقال الإمام (عليه السلام): لعلك عجبت من كلامي بالحبشية لا تعجب فما يخفى عليك من أمر الحجة أكثر من ذلك وأعجب، وما هذا من الحجة في علمه إلا كطائر أخذ بمنقاره من البحر قطرة من ماء. أفترى الذي

(1) أعلام الوري: ص 304/ اثبات الوصية: ص 210، الخراج والجرائح: ج 1، ص 333/ دلائل الامامة: الطبري، ص 166/ روضة الواعظين: النيسابوري، ص 212/ كشف الغمة: ص 224.

أخذ بمنقاره أنقص من البحر شيئاً؟ إن الإمام بمنزلة البحر لا ينفد ما عنده
وعجائبه أكثر من ذلك⁽¹⁾.

- روى أحمد بن محمد المعروف بغزال قال: كنت جالساً مع أبي
الحسن في حائط له إذ جاء عصفور فوق بين يديه وأخذ يصيح ويكثر
الصياح ويضطرب. فقال تدري ما يقول هذا العصفور؟ قلت الله ورسوله
ووليه أعلم. فقال يقول يا مولاي أن حية تريد أن تأكل فراخي في البيت فقم
بنا ندفعها عنه وعن فراخه فقمنا ودخلنا البيت، فإذا حية تجول في البيت
فقتلناها⁽²⁾.

من طور سينين نور فطنته (ع)

لله بين بيانه وعلمه كنز أفاد السائلين بذكره... نور الزجاجية، مصباح توقد
من نار الكليم، فاهتدى منه من يسري لمشرق يسره... أي من البيان إذا سئل
يطفو دره... إلى حيدرة فصلت آيات محكم علمه، وإلى داوود فصل خطابيه.
فطن المعنى إذا حققته أبصرت نور الله في مشكاته... كثير الصمت وإن أبدى
مقالاً ففي الأحكام والفصل... مضمار الفصاحة لا يجارى، تكوكب في
المعالي واستتاراً. دار في الأفاق طيب نشره ففاق عين الشمس نوراً
واشتهاراً. وفي علم الأحكام أبان فضلاً، كما حوى حكماً غزاراً...
... عن الريان بن شبيب قال المأمون: استأذن الناس على الرشيد، فكان
آخر من أذن له موسى بن جعفر، فلما نظر إليه الرشيد تحرك ومد بصره

(1) دلائل الامامة: ص 167/ الخرائج والجرائح: الراوندي، ج 1، ص 313.

(2) دلائل الامامة: ص 170.

وعنقه إليه حتى دخل البيت الذي كان فيه، فلما قرب منه جثا الرشيد على ركبتيه وعانقه، ثم أقبل يسأله عن أحواله وأبو الحسن يقول: خير خير.. فلما قام عانقه وودعه. فقلت: يا أمير المؤمنين لقد رأيتك عملت بهذا الرجل شيئاً ما عملته مع أحد قط فمن هذا الرجل؟ فقال:

"يا بني هذا وارث علم النبي، هذا موسى بن جعفر بن محمد، إن اردت العلم الصحيح فعند هذا".

قال المأمون: فعند ذلك انغرس في قلبي حبهم⁽¹⁾.

- حج المهدي، فلما صار في فتق العبادي⁽²⁾. ضج الناس من العطش فأمر أن يحفر بئر، فلما بلغوا قريباً من القرار هبت عليهم ريح من البئر فوقت الدلاء ومنعت من العمل فخرجت الفعلة خوفاً على أنفسهم، فأعطى علي بن يقطين لرجلين عطاء كثيراً ليحفرا فنزلا فأبطنا، ثم خرجا مرعوبين لا ذهبت ألوانهما، فسألتهما عن الخبر فقالا: إنا رأينا أثراً وأثناً ورأينا رجلاً ونساءً فكلما أومأنا إلى شيء منهم صار هباء. فصار المهدي يسأل عن ذلك ولا يعلمون. فقال موسى بن جعفر عليه السلام: هؤلاء أصحاب الأحقاف غضب الله عليهم فساخت بهم ديارهم وأموالهم⁽³⁾.

- دخل موسى بن جعفر عليه السلام بعض قرى الشام متكرراً هارباً فوقع في غار وفيه راهب يعظ في كل سنة يوماً، فلما رآه الراهب دخله منه

(1) مناقب آل بني طالب، ج 4، ص 1175/ عيون أخبار الرضا: الصدوق، ج 1، ص 87.

(2) منزل في طريق مكة من القادسية إلى العذيب.

(3) مناقب آل بني طالب، ج 4، ص 1176/ الدر النظيم، ص 666.

هيبة، فقال: يا هذا أنت غريب؟ قال: نعم، قال: منا أو علينا؟ قال: لست منكم.
أنت من الأمة المرحومة؟ قال: نعم، قال: أفمن علمائهم أنت أم من جهالهم؟
قال: لست من جهالهم.

فقال: كيف طوبى أصلها في دار عيسى وعندكم في دار محمد
وأغصانها في كل دار؟ فقال عليه السلام: الشمس قد وصل ضوءها إلى كل
مكان وكل موضع وهي في السماء.

قال: وفي الجنة لا ينفد طعامها وإن أكلوا منه ولا ينقص منه شيء؟
قال: السراج في الدنيا يقتبس منه ولا ينقص منه شيء..

قال: وفي الجنة ظل ممدود؟ فقال عليه السلام الوقت الذي قبل طلوع
الشمس كلها ظل ممدود قوله: {ألم تر إلى ربك كيف مد الظل} (الفرقان: 45).
قال: ما يؤكل ويشرب في الجنة لا يكون بولاً ولا غائطاً؟ قال عليه
السلام: الجنين في بطن أمه.

قال: أهل الجنة لهم خدم يأتونهم بما أرادوا بلا أمر؟ فقال عليه السلام:
إذا احتاج الإنسان إلى شيء عرفت أعضاؤه ذلك ويفعلون بمراده من غير
أمر.

قال: مفاتيح الجنة من ذهب أو فضة؟ قال: مفاتيح الجنة لسان العبد لا إله
إلا الله، قال: صدقت وأسلم والجماعة معه⁽¹⁾.

(1) مناقب آل بني طالب: ج 4، ص 1176.

غوامض فكره تحكي الدراري:

فيا ابن رسول الله والسيد الذي حوت جنباته علماً وسودداً، وابن من ساد الأنام بعلمه وفقهه، جئت في زمن ضنين تفصل للأمة الأحكام والدين والتفسير. أقيمت قواعد الإرشاد والتبيين. فصنوان انتما في شرف البيان والتبيين. من علي حيدرة وسيد المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) ورثتما العلم والعلا... من زهر يُضوع إذا فضّ ختامه، يعطر الأكوان نشر كبابه... مل يجيبك علا ومجد محقق، وواضح آيات رشد فصّلت وعزّ معتق...

- عن الفضل بن الربيع، ورجل آخر، قالوا: حج هارون الرشيد وابتدأ بالطواف ومنعت العامة من ذلك لينفرد وحده، فبينما هو في ذلك إذ ابتدر أعرابي البيت وجعل يطوف معه، وقال الحجاب: تتح يا هذا عن وجه الخليفة فانهزم الأعرابي وقال: إن الله ساوى بين الناس في هذا الموضع، فقال: {سواء العاكف فيه والباد} (الحج، 25)، فأمر الحجاب بالكف عنه، فكلما طاف الرشيد طاف الأعرابي أمامه.

فنهض إلى الحجر الأسود ليقبله فسبقه الأعرابي إليه والنثمه، ثم صار الرشيد إلى المقام ليصلي فيه فصلى الأعرابي أمامه، فلما فرغ الرشيد من صلاته استدعى الأعرابي فقال الحجاب: أجب أمير المؤمنين، فقال: ما لي إليه حاجة فأقوم إليه، بل إن كانت الحاجة له فهو بالقيام إلي أولى. قال: صدق، فمشى إليه وسلم عليه فرد عليه السلام، فقال هارون: اجلس يا أعرابي؟ فقال: ما الموضع لي فتستأنني فيه بالجلوس إنما هو بيت الله نصبه لعباده، فإن أحببت أن تجلس فاجلس، وإن أحببت أن تنصرف فانصرف.

فجلس هارون وقال: فإني سألتك فإن عجزت أنيتك قال: سؤالك هذا سؤال متعلم أو سؤال متعنت؟ قال: بل متعلم، قال: اجلس مكان السائل من المسؤول وسل وأنت مسؤول، فقال: أخبرني ما فرضك؟ قال: إن الفرض رحمك الله واحد، وخمسة وسبعة عشر، وأربع وثلاثون، وأربع وتسعون، ومائة وثلاث وخمسون على سبعة، ومن اثني عشر واحد، ومن أربعين واحد، ومن مائتين خمس، ومن الدهر كله واحد وواحد بواحد. قال: فضحك الرشيد وقال: ويحك أسألك عن فرضك وأنت تعد علي الحساب؟ قال: أما علمت أن الدين كله حساب، ولو لم يكن الدين حساباً لما اتخذ الله للخلائق حساباً، ثم قرأ {وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين} (الأنبياء: 47).

قال: فبين لي ما قلت وإلا أمرت بقتلك بين الصفا والمبروة، فقال الحاجب: تهبه لله ولهذا المقام. قال: فضحك الأعرابي من قوله، فقال الرشيد: مما ضحكت يا أعرابي؟ قال تعجباً منكما إذ لا أدري من الأجهل منكما الذي يستوهب أجلاً قد حضر أو الذي استعجل أجلاً لم يحضر. فقال الرشيد: فسر ما قلت، قال: أما قولي الفرض واحد فدين الإسلام كله واحد، وعليه خمس صلوات وهي سبع عشرة ركعة وأربع وثلاثون سجدة وأربع وتسعون تكبيرة ومائة وثلاث وخمسون تسبيحة. وأما قولي: من اثني عشر واحد فصيام شهر رمضان من اثني عشر شهراً، وأما قولي: من الأربعين واحد فمن ملك أربعين ديناراً أوجب الله عليه ديناراً، وأما قولي من مائتين خمسة فمن ملك

مائتي درهم أوجب الله عليه خمسة دراهم، وأما قولي: فمن الدهر كله واحد
فحجة الإسلام، وأما قولي: واحد من واحد فمن أهرق دماً من غير حق وجب
إهراق دمه قال الله تعالى: {النفس بالنفس} (المائدة: الآية 45).

فقال الرشيد: لله درك، وأعطاه بكرة فقال: فبم استوجب منك هذه البكرة
يا هارون بالكلام أو بالمسألة؟ قال: بل بالكلام قال: فإني مسألتك عن مسألة
فإن أنت أتيت بها كانت البكرة لك تصدق بها في هذا الموضع الشريف، فإن
لم تجبني عنها أضفت إلى البكرة بكرة أخرى لأتصدق بها على فقراء الحي
من قومي، فأمر بإيراد أخرى وقال: سل عما بدا لك، فقال: أخبرني عن
الخنفساء تزق أم ترضع ولدها؟

فخرد هارون وقال: ويحك يا أعرابي مثلي من يسأل عن هذه المسألة!
فقال: سمعت ممن سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من ولي
أقواماً وهب له من العقل كعقولهم" وأنت إمام هذه الأمة يجب أن لا تسأل عن
شيء من أمر دينك ومن الفرائض إلا وأجبت عنها، فهل عندك له الجواب؟
قال هارون: رحمك الله لا، فبين لي ما قلته وخذ البدرتين، فقال: إن الله تعالى
لما خلق الأرض خلق دبابات الأرض من غير فرث ولا دم، خلقها من
التراب وجعل رزقها وعيشها منه، فإذا فارق الجنين أمه لم تزقه ولم ترضعه
وكان عيشها من التراب، فقال هارون: والله ما ابتلي أحد بمثل هذه المسألة.

وأخذ الأعرابي البدرتين وخرج، فتبعه بعض الناس وسأله عن اسمه فإذا
هو موسى بن جعفر بن محمد عليه السلام، فأخبر هارون بذلك فقال: والله لقد

ركنت أن تكون هذه الورقة من تلك الشجرة (1).

- سأل هشام بن الحكم موسى بن جعفر عليه السلام: لأي علة صار التكبير في الافتتاح سبع تكبيرات؟ ولأي علة يقال في الركوع سبحان ربي العظيم وبحمده؟ وفي السجود سبحان ربي الأعلى وبحمده؟ قال عليه السلام: إن الله تعالى خلق السماوات سبعاً والأرضين سبعاً، فلما أسرى النبي صلى الله عليه وسلم وصار من ملكوت الأرض كقاب قوسين أو أدنى رفع له حجاباً من حجبه، فكبر رسول الله وجعل يقول الكلمات التي تقال في الافتتاح، فلما رفع الثاني كبر فلم يزل كذلك حتى رفع سبع حجب وكبر سبع تكبيرات، فلهذه العلة يكبر في الافتتاح سبع تكبيرات، فلما نكر ما رأى من عظمة الله ارتعدت فرائصه فابتدأ على ركبتيه وأخذ يقول: سبحان ربي العظيم وبحمده، فلما اعتدل من ركوعه قائماً نظر إلى تلك العظمة في موضع أعلى من ذلك الموضع خر على وجهه وهو يقول: سبحان ربي الأعلى وبحمده، فلما قالها سبع مرات سكن ذلك الرعب، فلذلك جرت به السنة (2).

حكى أن الرشيد سأل أبا موسى يوماً: كيف قلتم نحن ذرية رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) وأنتم بنو علي، وإنما ينتسب الرجل إلى جده لأبيه دون جده لأمه؟.

(1) مناقب آل بني طالب، ج 4، ص 1176/ الدر النظيم: جمال الدين الشامي

ص 660/ بحار الأنوار، ج 48، ص 141

(2) مناقب آل بني طالب: ج 4، ص 1179.

فقال الكاظم: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: {ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس} (الأنعام: 84-85) وليس لعيسى أب وإنما الحق بذرية الأنبياء من قبل أمه، وكذلك ألقنا بذرية النبي من قبل أمنا فاطمة الزهراء. وزيادة أخرى يا أمير المؤمنين قال الله عز وجل: { فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل } (آل عمران: 61) ولم يدع صلى الله عليه وآله غير علي وفاطمة والحسن والحسين وهما الأبناء⁽¹⁾.

سأل يوسف ومحمد بن الحسن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) فقالا: قد علمنا أنك قد أدركت العلم في الحلال والحرام. فمن أين أدركت أمر هذا الرجل الموكل بك أنه يموت في هذه الليلة؟

قال: من الباب الذي أخبر بعلمه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن أبي طالب (عليه السلام) فلما أورد عليهما هذا بقيا لا يحيران جواباً⁽²⁾.

من وصية الامام الكاظم (عليه السلام) لهشام بن الحكم:

وصية هي دستور فكري، تربوي، نفسي، اجتماعي، أخلاقي، اقتصادي، مالي؛ وصية تتناول جوانب الحياة في أبعادها التكاملية.

(1) الفصول المهمة: ص 235/ نور الابصار: الشبلنجي، ص 164/ الاتحاف بحب الأشراف: ص 148.

(2) الخرائج والجرائح: ج 1، ص 323.

قال (ع): إن الله تبارك وتعالى بشرُ أهل العقل والفهم في كتابه فقال
{فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله
وأولئك هم أولوا الألباب} (الزمر: 17-18)

يا هشام: إن لقمان قال لابنه: "تواضع للحق تكن أعقل الناس. يا بني إن
الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله وحشوها
الإيمان، وشراعها التوكل، وقيمها العقل، ودليلها العلم وسكانها الصبر".

يا هشام: ما من عبد إلا وملك أخذ بناصيته، فلا يتواضع إلا رفعه الله
ولا يتعاضم إلا وضعه الله.

يا هشام: الصبر على الوحدة علامة قوة العقل، فمن عقل عن الله تبارك
وتعالى اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها ورجب فيما عند ربه (وكان الله)
أنسه في الوحشة وصاحبه في الوحدة، وغناه في العيلة ومُعزّه في غير
عشيرة.

يا هشام: إن العاقل رضي بالدون من الدنيا مع الحكمة، ولم يرض
بالدون من الحكمة مع الدنيا، فلذلك ربحت تجارتهم.

يا هشام: من صدق لسانه زكى عمله، ومن حسنت نيته زيد في رزقه،
ومن حسن بره بإخوانه وأهله مد في عمره.

يا هشام: من كف نفسه عن أعراض الناس أقاله الله عثرته يوم القيامة،
ومن كف غضبه عن الناس كف الله عنه غضبه يوم القيامة.

يا هشام: الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة والبذاء من الجفاء
والجفاء في النار.

يا هشام: الغضب مفتاح الشر. وأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً. وإن خالطت الناس فإن استطعت أن لا تخالط أحداً منهم إلا من كانت يدك عليه العليا فافعل.

يا هشام: عليك بالرفق، فإن الرفق يمن والخرق شوم، إن الرفق والبر وحسن الخلق يعمر الديار ويزيد في الرزق.

يا هشام: إن مثل الدنيا مثل الحية مسّها لين وفي جوفها السّم القاتل.

يا هشام: مثل الدنيا مثل ماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله.

يا هشام: إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا. فكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر الجبار.

يا هشام: ما أقبح الفقر بعد الغنى. وأقبح الخطيئة بعد النسك. وأقبح من ذلك العابد لله ثم يترك عبادته.

يا هشام: من أكرمه الله بثلاث فقد لطف له: عقل يكفيه مؤونة هواه. وعلم يكفيه مؤونة جهله وغنى يكفيه مخافة الفقر.

يا هشام: احذر هذه الدنيا واحذر أهلها، فإن الناس فيها على أربعة أصناف: رجل متردي معانق لهواه. ومتعلم مقري كلما ازداد علماً ازداد كبراً، يستعلى بقراءته وعلمه على من هو دونه. وعابد جاهل يستصغر من هو دونه في عبادته يحب أن يعظم ويوقر. وذو بصيرة عالم عارف بطريق الحق يحب القيام به، فهو عاجز أو مغلوب ولا يقدر على القيام بما

يعرف (هـ) فهو محزون، مغموم بذلك، فهو أمثل أهل زمانه وأوجههم عقلاً⁽¹⁾.

ومن حكمه عليه السلام:

وأفضل العبادة بعد المعرفة انتظار الفرج. والتدبير نصف العيش، والتودد إلى الناس نصف العقل، وكثرة الهم يورث الهرم، والمصيبة لا تكون مصيبة يستوجب صاحبها أجرها إلا بالصبر.

ومن كلامه عليه السلام مع الرشيد:

دخل الإمام (ع) إليه وقد عمد على القبض عليه، لأشياء كذبت عليه عنده، فأعطاه طوماراً طويلاً فيه مذاهب وشنعة نسبها إلى شيعته (فقرأه) ثم قال له: يا أمير المؤمنين نحن أهل بيت منينا بالتقول علينا، وربنا غفور ستور، أبي أن يكشف أسرار عباده إلا في وقت محاسبته {يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم} (الشعراء: 88-89)

ثم قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن علي، عن النبي صلوات الله عليهم: الرحم إذا مستت الرحم اضطربت ثم سكنت، فإن رأى أمير المؤمنين أن تمسّ رجلي رحمة ويصافحني فعل. فتحوّل عند ذلك عن سريره ومدّ يمينه إلى موسى (عليه السلام) فأخذ بيمينه، ثم ضمه إلى صدره، فاعتنقه وأقعدته عن يمينه وقال: أشهد أنك صادق وأبوك صادق وجدك صادق ورسول الله (صلى الله عليه وآله) صادق. ولقد دخلت أنا أشدّ الناس عليك حنقاً وغضباً لمارقي

(1) تحف العقول: الحسن بن شعبة الحراني، ص 283-297

إليّ فيك فلما تكلمت بما تكلمت وصافحتني سرّي عني وتحول غضبي عليك رضى. وسكت ساعة ثم دار بينهما مناظرة سأل فيها الرشيد، ولما انتهى قال الرشيد للإمام الكاظم(ع) بحق أبائك لما اختصرت كلمات جامعة لما تجاريناها فقال عليه السلام: نعم. وأوتي بدواة وقرطاس فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم: جميع أمور الأديان أربعة: أمر لا اختلاف فيه وهو إجماع الأمة على الضرورة التي يضطرون إليها الأخبار المجمع عليها وهي الغاية المعروض عليها كل شبهة والمستنطب منها كل حادثة وهو إجماع الأمة. وأمر يحتمل الشك والإنكار، فسبيله استيضاح أهله لمنتحليه بحجة من كتاب الله مجمع على تأويلها، وسنة مجمع عليها لا اختلاف فيها، أو قياس تعرف العقول عدله ولا يسع خاصة الأمة وعامتها الشك فيه والإنكار له. وهذان الأمران من أمر التوحيد فما دونه وأرشد الخدش فما فوقه. فهذا المعروض الذي يعرض عليه أمر الدين فما ثبت لك برهانه اصطفيته، وما غمض عليه صوابه نفيته. فمن أورد واحدة من هذه الثلاث فهي الحجة البالغة التي بينها الله في قوله لنبيه: ﴿قل فلله الحجة البالغة فلو شاء هديكم أجمعين﴾ (الأنعام: 149) يبلغ الحجة البالغة الجاهل فيعلمها بجهله كما يعلمه العالم بعلمه، لأن الله عدل لا يجور، يحتج على خلقه بما يعلمون، ويدعوهم إلى ما يعرفون لا إلى ما يجهلون وينكرون. فأجازة الرشيد ورده⁽¹⁾.

(1) تحف العقول: الحسن بن شعبة الحراني، ص 298 - 300.

وروي عنه عليه السلام في قصار المعاني:

قال عليه السلام: المؤمن مثل كفتي الميزان كلما زيد في إيمانه زيد في بلائه.

وقال عليه السلام: عند قبر حضره إن شيئاً هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوله. وإن شيئاً هذا أوله لحقيق أن يخاف آخره.

وقال عليه السلام: ليس حسن الجوار كف الأذى. ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى.

وقال عليه السلام: لا تذهب الحشمة بينك وبين أخيك. وابق منها، فإن ذهابها ذهاب الحياء.

وقال عليه السلام: لعلي بن يقطين: كفارة عمل السلطان الاحسان إلى الاخوان.

وقال عليه السلام: ينادي مناد يوم القيامة: ألا من كان له على الله أجر فليقم، فلا يقوم إلا من عفا وأصلح فأجره على الله⁽¹⁾.

في مكارم أخلاقه (عليه السلام):

هذه ثمار نواله وأخلاقه:

أخبر الشريف أبو محمد الحسن بن محمد عن...: أن رجلاً من ولد عمر بن الخطاب كان بالمدينة يؤذي أبا الحسن موسى (عليه السلام) ويسببه

(1) المرجع السابق، ص 301 - 305.

إذا رآه ويشتم علياً (عليه السلام). فقال له بعض جلسائه يوماً: دعنا نقتل هذا الفاجر، فنهاهم عن ذلك أشد النهي وزجرهم أشد الزجر. وسأل عن العمري، ففكر أنه يزرع بناحية من نواحي المدينة. فركب فوجده في مزرعة، فدخل المزرعة بحماره، فصاح به العمري، لا توطئ زرعنا، فتوطأه أبو الحسن (عليه السلام) بالحمار حتى وصل إليه فنزل وجلس عنده وباسطه وضاحكه. وقال له: "كم غرمت في زرعك هذا؟" فقال له: مائة دينار.

قال: "وكم ترجو أن تصيب فيه؟" قال: لست أعلم الغيب. قال: "إنما قلت لك: كم ترجو أن يجينك فيه؟" قال: أرجو فيه مائتي دينار. قال: فأخرج له أبو الحسن (عليه السلام) صرة فيها ثلاث مائة دينار وقال: "هذا زرعك على حاله، والله يرزقك ما ترجو". قال فقام العمري فقبل رأسه وسأله أن يصفح عن فارطه، فتبسم إليه أبو الحسن (عليه السلام) وانصرف.

قال: وراح إلى المسجد فوجد العمري جالساً، فلما نظر إليه قال: الله يعلم حيث يجعل رسالاته.

قال: فوثب أصحابه إليه فقالوا: ما قصتك؟ قد كنت تقول غير هذا.

قال: فقال لهم: قد سمعتم ما قلت الآن، وجعل يدعو لأبي الحسن (عليه السلام) فخاصموه وخاصمهم.

فلما رجع أبو الحسن إلى داره قال لجلسائه الذين سألوه في قتل العمري: "أيا كان خيراً ما أردتم أو ما أردت؟ إنني أصلحت أمره بالمقدار الذي عرفتم وكفنيته به شره"⁽¹⁾.

(1) الارشاد: ص 333/ تاريخ بغداد، ج 13، ص 30/ اعلام الوري: ص 306/ مقال الطالبين: أبو الفرج الاصفهاني، ص 332، دلائل الامامة الطبري، ص 148.

النسيم الشذا يروي خلقه السامي (ع):

روى شعيب العرقوبي: بعثت مباركاً مولاي إلى أبي الحسن (عليه السلام) ومعه مائتا دينار وكتبت معه كتاباً، فذكر لي مبارك أنه سأل عن أبي الحسن (عليه السلام) فقيل: قد خرج إلى مكة، فقلت: لأسيرن بين مكة والمدينة بالليل، وذا هاتف يهتف بي: يا مبارك مولى شعيب العرقوبي، فقلت: من أنت يا عبد الله؟ فقال: أنا معتب، يقول لك أبو الحسن هات الكتاب الذي معك. وواف بالذي معك إلى منى. فنزلت من حملي ودفعت إليه الكتاب، وصرت إلى منى فأدخلت عليه وصيبت الدنانير التي معي قدامه، فجر بعضها إليه ودفع بعضها بيده.

ثم قال: يا مبارك ادفع هذه الدنانير إلى شعيب وقل له: يقول لك أبو الحسن ردها إلى موضعها الذي أخذتها منه. فإن صاحبها يحتاج إليها. فخرجت من عنده وقدمت على سيدي وقلت ما قصة هذه الدنانير؟

قال: إني طلبت من فاطمة خمسين ديناراً لأتم بها هذه الدنانير فامتعت عني وقالت: أريد أن أشتري بها قراح فلان ابن فلان، فأخذتها منها سرّاً ولم التفت إلى كلامها. ثم دعا شعيب بالميزان فوزنها فإذا هي خمسين ديناراً⁽¹⁾.

- قال العلامة الحلي في منهاج الكرامة: وعلى يده (ع) تاب بشر الحافي، لأنه (ع) اجتاز على داره ببغداد فسمع الملامي واصوات الغناء

(1) مناقب آل بني طالب: ابن شهر آشوب، ج 4، ص 1162 / دلائل الإمامة: ص

163 / الدر النظيم،: ص 667 مع تفصيل في مقدمة الرواية.

والقصب تخرج من تلك الدار. فخرجت جارية وببيدها قمامة النقل. فرمت بها في الدرب، فقال لها: يا جارية صاحب هذا الدار حر أم عبد؟ فقالت: حر، فقال: صدقت لو كان عبداً خاف من مولاه، فلما دخلت قال مولاه وهو علي مائدة السكر: ما أبطأك علينا؟ فقالت: حدثني رجل بكذا وكذا، فخرج حافياً حتى لقي مولانا الكاظم فتاب على يده⁽¹⁾.

روي عن زكريا الأعور أنه قال: رأيت أبا الحسن (ع) يصلي قائماً وإلى جانبه رجل كبير يريد أن يقوم ومعه عصاً له، فأراد أن يتناولها، فانحط أبو الحسن (ع) وهو قائم في صلاته فناول الرجل العصا ثم عاد إلى صلاته⁽²⁾.

في كراماته (عليه السلام):

ذا ابن أبي تراب:

قال حسام بن حاتم الأصم: قال لي حاتم: قال شقيق البلخي خرجت حاجاً في سنة تسع وأربعين ومائة، فنزلت القادسية، فبينما أنا أنظر الناس في مخرجهم إلى الحاج وزينتهم وكثرتهم إذ نظرت إلى شاب حسن الوجه، شديد السمرة، نحيف فوق ثيابه ثوب صوف مشتمل بشملة في رجليه نعلان، وقد جلس منفرداً، فقلت في نفسي: هذا الفتى من الصوفية ويريد أن يخرج مع الناس فيكون كلاً عليهم في طريقهم، والله لأمضين إليه ولأوبخنه، فدنوت

(1) منتهى الآمال: القمي، ص 299/ سيرة الأئمة الأطهار: المطهرى، ص 151.

(2) منتهى الآمال: القمي، ص 299.

منه، فلما رأني مقبلاً نحوه قال: يا شقيق اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم، فتركني وولى، فقلت في نفسي: إن هذا الأمر عظيم تكلم على ما في خاطري ونطق باسمي، هذا عبد صالح لألحقنه وأسأله الدعاء وأن يحلطني مما ظننته به، فغاب عني ولم أراه.

فلما نزلنا واقصة فإذا هو واقف يصلي، فقلت: هذا صاحبي أمضي إليه واستحلله، فصبرت حتى فرغ من صلاته، فالتفت إلي وقال: يا شقيق {وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى} (طه: 82) ثم قام ومضى وتركني. فقلت: هذا الفتى من الأبدال، قد تكلم على سري مرتين.

فلما نزل زبالا وإذا أنا بالفتى قائم على البئر وأنا أنظر إليه وبيده ركوة يريد أن يستقي فيها الماء، فسقطت الركوة من يده في البئر فرمق إلى السماء بطرفه وسمعته يقول: أنت ربي إذا ظمئت وأنت قوتي إذا طلبت طعاماً، ثم قال: اللهم إلهي وسيدي ما لي سواك فلا تعدمنيها. قال شقيق: فوالله لقد رأيت الماء ارتفع إلى رأس البئر والركوة طافية عليه، فمد يده وأخذها ثم ملئ فتوضأ منها وصلى أربع ركعات ثم مال إلى كتيب رمل فجعل يقبض بيده ويجعل في الركوة ويحركها ويشرب، فأقبلت نحوه وسلمت عليه فرد علي السلام، فقلت: أطعمني من فضل ما أنعم الله عليك. فقال: لا تزل نعم الله على ظاهره وباطنه فأحسن ظنك بربك، ثمناولني الركوة، فشربت منها فإذا هو سويق سكر فوالله ما شربت قط أذ منه ولا أطيب، فشبعت ورويت وقمت أياماً لا أشتهي طعاماً ولا شراباً، ثم لم أراه حتى حططنا بمكة، فرأيته ليلة إلى جنب قبة السراب في نصف الليل وهو قائم يصلي بخشوع وأنين وبكاء، فلم

يزل كذلك إلى طلوع الفجر.

فلما أصبح جلس في مصلاه يسبح الله تعالى، ثم قال إلى حاشيته الطواف فركع الفجر هناك، ثم صلى فيه الصبح مع الناس، ثم دخل الطواف فطاف إلى بعد شروق الشمس، ثم صلى خلف المقام ثم خرج يريد الذهاب، فخرجت خلفه أريد السلام عليه وإذا بجماعة قد طافوا به يمينا وشمالا، ومن خلفه ومن قدامه، وإذا له حاشية وخدم وحشم وموالي وأتباع قد خرجوا معه، فقلت لهم: من هذا الفتى؟ فقالوا: هو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام فقلت: لا يكون هذا إلا لمثل هذا، ثم إنني انصرفت وهذه الحكاية⁽¹⁾.

لمثله تليق المكرمات:

روي عن حماد بن عيسى الجهيني قال: دخلت على أبي الحسن موسى (عليه السلام) فقلت له: جعلت فداك ادع الله أن يرزقني داراً وزوجة وولداً وخادماً وأن أحج في كل سنة. فرقع يديه ثم قال: اللهم صل على محمد وآل محمد وارزقه داراً وزوجة وولداً وخادماً والحج خمسين سنة.

ثم قال حماد فحججت ثمانية وأربعين حجة وهذه زوجتي وبراء الستر تسمع كلامي، وهذا ابني وهذه داري، وهذا خادمي. وحج بعد هذا الكلام حجتين ثم خرج بعد الخمسين. فزامل أبا العباس النوفلي فعرفنا أن صار في

(1) الفصول المهمة، ص 230/ تذكرة الخواص، ص 312/ كشف الغمة، ج 2، ص 213/ نور الأنصار الشبلنجي، ص 164/ الاتحاف يجب الاشراف الشبراوي، ص 150 مختصر / دلائل الامامة الطبري، ص 152/ الدر النظيم، ص 663.

موضع الإحرام. دخل يغتسل فجأة مدّ الوادي فغرق ودفن بالسيالة⁽¹⁾.

قال أبو جعفر حدثنا... عن الاعمش قال: رأيت كاظم الغيظ عند الرشيد وقد خضع له. فقال له عيسى بن أبان: يا أمير المؤمنين لم تخضع له؟ قال رأيت من ورائي أفعى تضرب بنايها وتقول أجبه بالطاعة وإلا بلعتك فزعت منها فأجبتّه⁽²⁾.

وحدث أبو جعفر عن... محمد بن غالب قال: كنا في حبس الرشيد فأدخل موسى بن جعفر فأنبع الله له عيناً ما أنبت له شجرة فكان منها يأكل ويشرب وكان إذا دخل بعض اصحاب الرشيد غابت حتى لا ترى⁽³⁾.

وحدث أبو جعفر عن... موسى بن همام قال: رأيت موسى بن جعفر (عليه السلام) في حبس الرشيد وتنزل عليه المائدة من السماء ويطعم أهل السجن كلهم ثم يصعد بها من غير أن ينقص منها شيء⁽⁴⁾.

عن علي بن يقطين: استدعى الرشيد رجلاً يبطل به أمر أبي الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) ويقطعه ويخجله في المسجد. فانتدب له رجل معزم (العزائم الرقي وهي جمع رقية). فلما احضرت المائدة عمل ناموساً (وهو اسم يكتب على القطعة من الخبز بحيث لا يمكن لأحد أن يتناوله إلا طار من بين يديه). على الخبز، فكان كلما رام أبو الحسن (عليه السلام)

(1) ثبوت الوصية، ص 211، مناقب آل طالب، ج 4، ص 1172، دلائل الامامة، ص 160.

(2) دلائل الامامة: الطبري، ص 155.

(2) المرجع نفسه، ص 155.

(4) المرجع السابق، ص 155.

تأول رغيف من الخبز طار من بين يديه، واستفز هارون من الفرح والضحك لذلك.

فلم يلبث أبو الحسن (عليه السلام) أن رفع رأسه إلى أسد مصور على بعض الستور فقال له: يا أسد خذ عدو الله.

قال: فوثبت تلك الصورة كأعظم ما يكون من السباع فطارت عقولهم خوفاً من هول ما رأوه فلما أفاقوا من ذلك، قال هارون لأبي الحسن (عليه السلام): سألتك بحقي عليك لما سألت الصورة أن ترد الرجل.

فقال: إن كانت عصا موسى ربت ما ابتلعتة من حبال القوم وعصيتهم، فإن هذه الصورة ترد ما ابتلعتة من هذا الرجل⁽¹⁾.

في معجزاته (عليه السلام):

معجزة جرت من عين حكيمته:

روى عبد الله بن إدريس، عن ابن سنان، قال: حمل الرشيد في بعض الأيام إلى علي بن يقطين ثياباً أكرمه بها، وكان في جملتها دراعة خز سوداء من لباس الملوك متقلة بالذهب، فأنفذ علي بن يقطين جلّ تلك الثياب إلى موسى بن جعفر وأنفذ في جملتها تلك الدراعة، وأضاف إليها ما لا كان عنده على رسم له فيما يحمله إليه من خمس ماله.

فلما وصل ذلك إلى أبي الحسن عليه السلام قبل المال والثياب، ورد الدراعة على يد الرسول إلى علي بن يقطين وكتب إليه: "احتفظ بها، ولا

(1) عيون أخبار الرضا: الصدوق، ج 1، ص 90.

تخرجها عن يدك، فسيكون لك بها شأن تحتاج إليها معه* فارتاب علي بن يقطين بردها عليه، ولم يدر ما سبب ذلك، واحتفظ بالدراعة.

فلما كان بعد أيام تغير علي بن يقطين على غلام كان يختص به فصرفه عن خدمته، وكان الغلام يعرف ميل علي بن يقطين إلى أبي الحسن موسى عليه السلام، ويقف على ما يحملة إليه في كل وقت من مال وثياب والطاقف وغير ذلك، فسعى به إلى الرشيد فقال: إنه يقول بإمامة موسى ابن جعفر، ويحمل إليه خمس ماله في كل سنة، وقد حمل إليه الدراعة التي أكرمه بها أمير المؤمنين في وقت كذا وكذا. فاستشاط الرشيد لذلك وغضب غضباً شديداً، وقال: لأكشفن عن هذه الحال، فإن كان الأمر كما تقول أزهقت نفسه.

وأنفذ في الوقت بإحضار علي بن يقطين، فلما مثل بين يديه قال له: ما فعلت الدراعة التي كسوتك بها؟ قال: هي يا أمير المؤمنين عندي في سقف مختوم فيه طيب، قد احتفظت بها، كلما أصبحت فتحت السقف ونظرت إليها تبركاً بها وقبلتها ورددتها إلى موضعها، وكلما أمسيت صنعت بها مثل ذلك.

فقال: أحضرها الساعة، قال: نعم يا أمير المؤمنين. واستدعى بعض خدمه فقال له: إمض إلى البيت الفلاني من داري، فخذ مفتاحه من خازنتي وافتحه، ثم افتح الصندوق الفلاني فجئني بالسقف الذي فيه بخته. فلم يلبث الغلام أن جاء بالسقف مختوماً، فوضع بين يدي الرشيد فأمر بكسر ختمه وفتحه.

فلما فتح نظر إلى الدراعة فيه بحالها، مطوية مدفونة في الطيب، فسكن الرشيد من غضبه، ثم قال لعلي بن يقطين: ارددها إلى مكانها وانصرف

راشداً، فلن أصدق عليك بعدها ساعياً. وأمر أن يتبع بجائزة سنوية، وتقدم بضرب الساعي به ألف سوط، فضرب نحو خمسمائة سوط فمات في ذلك⁽¹⁾.

معجزة تنال بها الأمان والأمان:

وروى محمد بن إسماعيل، عن (محمد بن الفضل) قال: اختلفت الرواية من بين أصحابنا في مسح الرجلين في الوضوء، أهو من الأصابع إلى الكعبين، أم من الكعبين إلى الأصابع؟ فكتب علي بن يقطين إلى أبي الحسن موسى عليه السلام: جعلت فداك، إن أصحابنا قد اختلفوا في مسح الرجلين، فإن رأيت أن تكتب إلي بخطك ما يكون عملي بحسبه فعلت إن شاء الله.

فكتب إليه أبو الحسن عليه السلام: "فهمت ما ذكرت من الاختلاف في الوضوء، والذي أمرك به في ذلك أن تتمضمض ثلاثاً، وتستشق ثلاثاً، وتغسل وجهك ثلاثاً، وتخلل شعر لحيتك (وتغسل يدك إلى المرفقين ثلاثاً) وتمسح رأسك كله، وتمسح ظاهر أذنك وباطنهما، وتغسل رجليك إلى الكعبين ثلاثاً، ولا تخالف ذلك إلى غيره".

فلما وصل الكتاب إلى علي بن يقطين، تعجب مما رسم له فيه مما جميع العصابة على خلفه، ثم قال: مولاي أعلم بما قال، وأنا ممثل أمره، فكان

(1) الارشاد، ج 2، ص 225/ روضة الواعظين النيسابوري، ص 213/ كشف الغمة الاربلي، ج 2، ص 224/ الفصول المهمة: ص 233/ نور الابصار: الشبلنجي، ص 165/ أعلام الوري: ص 302/ المناقب ج 4، ص 1159/ دلائل الامامة، ص 156/ الخرائج والجرائح، ص 334.

يعمل في وضوئه على هذا الحد، ويخالف ما عليه جميع الشيعة، امتثالاً لأمر أبي الحسن عليه السلام.

وسعي بعلي بن يقطين إلى الرشيد وقيل له: إنه رافضي مخالف لك، فقال الرشيد لبعض خاصته: قد كثر عندي القول في علي بن يقطين، والقرف (الاثهام) له بخلافنا، وميله إلى الرفض، ولست أرى في خدمته لي تقصيراً، وقد امتحنته مراراً، فما ظهرت منه على ما يقرف به، وأحب أن أستبرئ أمره من حيث لا يشعر بذلك فيتحرز مني. فقيل له: إن الرافضة - يا أمير المؤمنين - تخالف الجماعة في الوضوء فتخففه، ولا ترى غسل الرجلين، فامتحنه من حيث لا يعلم بالوقوف على وضوئه. فقال: أجل، إن هذا الوجه يظهر به أمره.

ثم تركه مدة وناطه بشيء من الشغل في الدار حتى دخل وقت الصلاة، وكان علي بن يقطين يخلو في حجرة في الدار لوضوئه وصلاته، فلما دخل وقت الصلاة وقف الرشيد من وراء حائط الحجرة بحيث يرى علي بن يقطين ولا يراه هو، فدعا بالماء للوضوء، فتمضمض ثلاثاً، واستنشق ثلاثاً، وغسل وجهه، وخلل شعر لحيته، وغسل يديه إلى المرفقين، ثلاثاً، ومسح رأسه وأذنيه، وغسل رجله، والرشيد ينظر إليه، فلما رآه قد فعل ذلك لم يملك نفسه حتى أشرف عليه بحيث يراه، ثم ناداه: كذب - يا علي بن يقطين - من زعم أنك من الرافضة. وصلت حاله عنده.

وورد عليه كتاب أبي الحسن عليه السلام: "ابتدئ من الآن يا علي بن يقطين، توضأ كما أمر الله، اغسل وجهك مرة فريضة وأخرى إسباغاً،

واغسل يديك من المرفقين كذلك، وامسح بمقدم رأسك وظاهر قدميك من
لفل نءاوة وضوءك، فقل زال ما كان يخاف عليك، والسلام⁽¹⁾.

معجزة عجز الفهم عن تصورها:

روى علي بن أبي حمزة البطائني، قال: خرج أبو الحسن موسى عليه
السلام في بعض الأيام من المدينة إلى ضيعة له خارجة عنها، فصحبته أنا
وكان راكباً بغلة وأنا على حمار لي، فلما صرنا في بعض الطريق اعترضنا
أسد، فأحجمت خوفاً وأقدم أبو الحسن موسى عليه السلام غير مكترث به،
فرايت الأسد يتنل لأبي الحسن عليه السلام ويهمهم، فوقف له أبو الحسن
عليه السلام كالمصغي إلى هممته، ووضع الأسد يده على كفل بغلته، وقد
همتني نفسي من ذلك وخفت خوفاً عظيماً، ثم تتحى الأسد إلى جانب الطريق
وحول أبو الحسن وجهه إلى القبلة وجعل يدعو، ويحرك شفثيه بما لم أفهمه،
ثم أوما إلى الأسد بيده أن امض، فهمهم الأسد هممة طويلة وأبو الحسن
يقول: "أمين أمين" وانصرف الأسد حتى غاب من بين أعيننا.

ومضى أبو الحسن عليه السلام لوجهه واتبعته، فلما بعدنا عن الموضع
لحقته فقلت له: جعلت فداك، ما شأن هذا الأسد؟ فلقد خفته - والله - عليك،
وعجبت من شأنه معك. فقال لي أبو الحسن عليه السلام: "إنه خرج إلي يشكو
عسر الولادة على لبوءته وسألني أن أسأل الله أن يفرج عنها ففعلت ذلك،
وألقي في روعي أنها تلد ذكراً له، فخبرته بذلك، فقال لي: امض في حفظ

(1) الارشاد: ص 227 / كشف الغمة، ص 226 / أعلام الوري: ص 303 / المناقب: ابن
شهر آشوب: ج 4، ص 1158 مختصر / الخرائج والجرائح، ج 1، ص 335.

الله، فلا سلط الله عليك ولا على ذريتك ولا على أحد من شيعتك شيئاً من السباع، فقلت: آمين»(1).

- روى اسحق بن عمار قال: سمعت أبا الحسن (عليه السلام) قد نعى إلى رجل نفسه فقلت في نفسي: وأنه ليعلم من يموت الرجل من شيعته، فالتفت الي شبه المغضب وقال: يا اسحاق قد كان رشيد - رشيد الهجري - من المستضعفين فعلم علم المنايا والبلايا، والامام أولى بذلك. يا إسحاق اصنع ما أنت صانع فعمرك قد فنى، وأنت تموت إلى سنتين واخوتك وأهل بيتك لا يلبثون بعدك حتى تفترق كلمتهم ويخون بعضهم بعضاً ويشمت بهم عدوهم. فلم يلبث اسحاق بعد ذلك إلا سنتين حتى مات. وقام بنو عمار بأموال الناس وأفلسوا أقبح إفلاس(2).

وروي عن علي بن أبي حمزة قال: كنت عند أبي الحسن (عليه السلام) إذ أتاه رجل من أهل الرأي يقال له جندب، فسلم عليه وجلس. فسأله أبو الحسن (عليه السلام) فأخفى مسأله. ثم قال له: ما فعل أخوك.

قال: بخير جعلني الله فداك، وهو يقرؤك السلام.

فقال: يا جندب اعظم الله اجرک في أخيك.

فقال: يا سيدي ورد علي كتابه قبل ثلاثة عشر يوماً بالسلامة.

(1) الارشاد: ص 229/ مناقب آل بني طالب: ج 4، ص 1166.

(2) ثبات الوصية: ص 309/ اعلام الوری: الطبرسي، ص 305 واختلاف بسيط لم الالفاظ/ مناقب آل بني طالب: ابن شهر آشوب، ج 4، ص 1158/ دلائل الإمامة الطبري، ص 158/ أصول الكافي: الكليني، ج 1، ص 484، الخرائج والجرائع الرلوندي، ج 1، ص 310.

فقال: يا جندب إنه قد مات بعد كتابه بيومين ودفع إلى امرأته مالاً.

فقال: ليكن هذا عندك، فإذا قدم أخي فادفعه إليه، وقد أودعته الأرض في البيت الذي كان فيه مبيته، فإذا أنت لقيتها فتلطف لها، وأطمعها في نفسك، لأنها ستدفعه إليك، قال علي بن حمزة: فلقيت جندباً بعد ذلك بسنين وقد عاد حاجاً. فسألته عما كان قاله أبو الحسن (عليه السلام). فقال: صدق والله سيدي ما زاد ولا نقص⁽¹⁾.

ومن كل منقبة بالفضل معجزة:

وروي عن هشام بن سالم قال: دخلت على عبد الله بن جعفر فسألته عن مسائل فلم يكن عنده جواب. فذهبت إلى باب أبو الحسن (عليه السلام)، فلم يأن لي فجننت إلى قبر رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فجلست أدعو وأبكي، وجعلت أقول في نفسي: إلى من أمضى إلى المرجئة، إلى القدرية، إلى الزيدية، إلى الحرورية.

فأنا في هذا إذ جاعني مصاف الخادم فأخذ بيدي فأدخلني إليه، فلما نظر إلي قال: يا هشام لا إلى المرجئة ولا إلى القدرية ولا إلى الزيدية ولا إلى الحرورية، ولكن إلينا.

فقلت به وسلمت لأمره⁽²⁾.

- وذكر الشيخ المفيد والطبرسي أن هشام بن سالم وجماعة معه سألوا عبد الله بن جعفر عن الزكاة في كم تجب؟ قال: في مائتي درهم خمسة دراهم.

(1) اثبات الوصية: ص 209/ دلائل الامامة: ص 159/ الخرائج والجرائح: ج 1، ص 317.

(2) اثبات الوصية، ص 209/ دلائل الطبري، ص 157.

قلنا: ففي مائة؟ قال: درهمان ونصف. قال: فخرجنا ضللاً ما ندري إلى أين نتوجه وإلى من نقصد، نحول إلى المرجئة إلى القدرية، إلى المعتزلة، إلى الخوارج، إلى الزيدية⁽¹⁾.

- عن ابن بابويه أن موسى (عليه السلام) دعا المسيب وذلك قبل وفاته بثلاثة أيام، وكان موكلاً به. فقال له: يا مسيب إني ظاعن في هذه الليلة إلى المدينة مدينة جدي رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) لأعهد إلى علي ابني ما عهدته إلي أبي واجعله وصي وخليفتي وأمره بأمري.

فقال المسيب: كيف تأمرني أن افتح لك الابواب وعليها أقفالها والحرس معي على الابواب؟

فقال يا مسيب ضعف يقينك في الله عز وجل وفينا؟ قلت لا يا سيدي، قال: فمه. فسمعتة يدعو، ثم فقدته عن مصلاه فلم أزل قائماً على قدمي حتى رأيتة قد عاد إلى مكانه وأعاد الحديد إلى رجليه. فخررت لله ساجداً شاكراً على ما أنعم علي من معرفته.

فقال لي: ارفع رأسك يا مسيب واعلم أني راحل إلى الله عز وجل. في ثالث هذا اليوم، لاتبك يا مسيب فإن عليا ابني هو إمامك ومولاك بعدي، فانتة فتمسك بولايته فإنك لن تضل ما لزمته⁽²⁾.

(1) اعلام الوري: الطبرسي، ص 300/ الارشاد، ص 223، ج 2.

(2) عيون أخبار الرضا، ج 1، ص 95 / المناقب: ص 1170، ج 4/ بحار الأنوار: ج 48، ص 224.

الفصل الثاني: هذا التُّر من ذاك العباب: في رحاب الإمامة

- تعريف الإمامة
- مستلزمات الإمامة
- أركان الإمامة
- النص على إمامة موسى بن جعفر (ع)

في رحاب الإمامة

ورد في الحديث الشريف من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية⁽¹⁾.

شكل مفهوم الإمامة المنطلق الأساسي لدعوة أئمة أهل البيت (ع) من السنوات الأولى التي أعقبت رحيل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من حيث كونها امتداداً رسالياً لمواصلة القيادة الإسلامية في بناء الأمة.

الإمامة في هذا المعنى قيادة الأمة في شؤون دينها وما يرتبط بذلك من تنظيم للحياة الاجتماعية والسياسية وأيضاً شؤون التعليم والإرشاد والتوجيه المعنوي والروحي وحل المشاكل الفكرية وتبيين الأيديولوجية الإسلامية⁽²⁾.

تعريف الإمامة:

"هي رئاسة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص نيابة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). الدليل على ثبوتها هو الدليل على ثبوت النبوة، فإذا كان لا بد للناس من نبي يبين لهم الأحكام وحفظ بيضة الإسلام وإقامة الحدود وحفظ الشريعة من الزيادة والنقصان.

وصفات الإمام أن يكون معصوماً من الذنوب والخطأ والنسيان كالنبي، وأن يكون متصفاً بجميع الكمالات منزهاً عن النقائص وأن يكون أفضل أهل

(1) كلمات مكنونة من علوم أهل العلم والمعرفة: تصنيف الكاشاني: ص 205.

(2) الدروس العظيمة من سيرة أهل البيت: الخامنئي، ص 58.

زمانه وأن يكون منصوباً من قبل الله تعالى بواسطة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

والدليل على وجوب عصمة الإمام هو الدليل على وجوب عصمة النبي بعينه فإذا لم يكن معصوماً لم يكن مأموناً على الشريعة ولا يبقى وثوق به⁽¹⁾. ومن تعاريف الإمامة هي "الولاية والسلطنة الإلهية على العباد، وتشمل بهذا المعنى الولايتين التكوينية والتشريعية التي منها الأمانة والخلافة الظاهرية. أنها أصل من أصول الدين. والمرجع في تعيين الإمام يكون بالنص من الله تعالى على لسان رسوله وإما بنص الإمام السابق على الإمام اللاحق، كما أن الإمام يجب أن يتحلى بالعلم والعصمة⁽²⁾".

والإمامة كما بيّن السيد حيدري هي "موهبة إلهية وهي بتعبير المتكلمين لطف إلهي. وهذه الموهبة لا يلقاها إلا الذين صبروا عند الامتحان والبلاء الإلهي. كما لا يلقاها إلا من كان من الموقنين ولا يحصل اليقين الذي ينسجم مع مرتبة الإمامة إلا بروية الملكوت. ويترتب على اليقين الحاصل من رؤية الملكوت، علم خاص يختلف عن العلم الحسولي المتداول وهو الذي يطلق عليه علم الإمام⁽³⁾".

" والإمامة عند الشيعة هي امتداد لإمامة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في جانبها الديني والسياسي:

(1) الدر الثمين: محسن الأمين، ص 17.

(2) الفوائد البهية: محمد جميل حمود، ج2، ص 13/ للتوسع راجع الباب 19 من المرجع عينا

(3) بحث حول الإمامة: كمال حيدري، ص 95-96

ففي الجانب الأول: الإمامة في الدين، فعنه يأخذون معالم دينهم وشرائعه
لحكامه، وهو الحافظ له من الضياع والتحريف والبدع والضلالات.
وإلى ذلك يشير مثل قوله تعالى { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ
لَهُمْ } (النحل، الآية 44).

وفي الجانب الثاني: الإمامة في شؤون الدنيا، وهي الإمامة السياسية،
التي هي عبارة عن كونه السلطان الحاكم عليهم، الذي يتولى شؤونهم، ويدير
نورهم، وينظر في صلاحهم، وينطق عنهم، ويجبي خراجهم، ويقسم فيئهم،
يطبق الإسلام فيهم عملياً بإقامة فرائضه، وإجراء حدوده، وفصل
الخصومات على ضوء أحكامه، والدعوة له، والجهاد في سبيله، والدفاع
عنه... إلى غير ذلك كما هو مقتضى الآية الكريمة { النبي أولى بالمؤمنين من
أنفسهم } (الأحزاب: 6) وغيرها من الآيات. (1).

مستلزمات الإمامة:

على ضوء التعاريف السابقة هناك مستلزمات للإمامة يمكننا إجمالها في
خطوط أساسية وهي:

- الإمامة هي قانون هداية تكويني عام وهي تستلزم موقفاً شخصياً.
- الإمامة مجعولة من قبل الله منصوصة على الشخص الإمام منه سبحانه
وتعالى.
- أن يكون الإمام معصوماً لكي يمكنه أن يمارس دوره الوجودي.

(1) أصول العقيدة: السيد محمد سعيد الطيبطباتي الحكيم، ص 229-230.

- الإمامة هي دائمة الى قيام الساعة، لا تخلو الأرض من إمام أبداً يمتد وجوده بامتداد الانسانية ذاتها.
 - الإمام مؤيد بلطف الله وتسديده. وأعمال العباد غير محجوبة عنه.
 - كما لا بد أن يكون عالماً بجميع ما يمس شؤون البشر في معاشهم ومعادهم.
 - وأن لا يوجد في البشر من هو أفضل منه⁽¹⁾..
- أركان الإمامة:**

من تلك المقدمات يتبين أن النص والعصمة والعلم والصبر أركان أربعة تقوم عليها الإمامة، هم ضرورة عقلية وضرورة نقلية أثبتها القرآن الكريم وأكدها الروايات والأحاديث.

1- أما النص في الكتاب فقوله تعالى: { إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون } (المائدة: 55)

وقد أجمعت التفاسير على أن الآية الكريمة نزلت في علي بن أبي طالب (ع) عندما تصدق بخاتمه على المسكين وهو في الصلاة بمحضر من الصحابة⁽²⁾.

أخرج الخطيب عن أبي عباس قال: تصدق علي بخاتمه وهو راكع فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للسانك من اعطاك هذا الخاتم؟ قال ذاك الراكع.

(1) راجع بحث في الإمامة: كمال الحيدري، ص 111-120

(2) المراجعات: عبد الحسين شرف الدين، ت: محمد جميل حمود، ص 125.

فأنزل الله إنما وليكم الله ورسوله.. الآية.

وأخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ وابن مردويه
عن عمار بن ياسر.. فنزلت على النبي فقرأها رسول الله(صلى الله عليه وآله
وسلم) على أصحابه ثم قال: " من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه
وعاد من عاداه".

وأخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن عساكر عن سلمة بن كهيل،
وأخرجه ابن جرير عن مجاهد (1).

وقوله تعالى: { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما
بلغت رسالتك } (المائدة 67)

اتفق المفسرون أنها نزلت في يوم غدير خم في رجوع النبي صلى الله
عليه وآله وسلم في حجة الوداع، وقد مضى على تولية علي قائلاً: .. من
كنت مولاه فعلي مولاه.. (2).

النص على الإمامة في الحديث:

أسند عن أنس قول النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) " أنا خير الأنبياء وأنت
خير الأوصياء سبطاك خير الأسباط ومن صلبهما يخرج الأئمة التسعة
مطهرين معصومين قوامين بالقسط، والأئمة من بعدي عند نقباء بني
إسرائيل هم عترتي من لحمي ودمي" (3).

(1) الدر المنثور: السيوطي، ج2، ص293.

(2) للمرجعت: ص126/ أسد الغابة: الجزري، ج6، ص126-127، ح5933.

(3) الصراط المستقيم: زين الدين النباطي البياضي، ج2، ص113.

وأسند صاحب كفاية الأثر قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبي هريرة حين سأله عن قوله: { وجعلها كلمة باقية في عقبه } (الزخرف : 28)

قال صلى الله عليه وآله وسلم: "جعل الإمامة باقية في عقب الحسين يخرج من صلبه تسعة منهم مهدي هذه الأمة" (1).

قال أبو جعفر (ع) لجابر بن يزيد الجعفي: "إن الله اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً، واتخذه نبياً قبل أن يتخذه رسولاً، واتخذه رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً، واتخذه خليلاً قبل أن يتخذه إماماً. فلما جمع له هذه الأشياء وقبض يده قال له: { إني جاعلك للناس إماماً } (البقرة: 124)

فمن عظمها في عين إبراهيم { قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين } (البقرة : 124)

2- أما العصمة: العصمة هي: "التنزه عن الذنوب والمعاصي صغائرها وكبائرها وعن الخطأ والنسيان، بل يجب أن يكون منزهاً عما ينافي المروءة وكل عمل يستهجن فعله عند العرف العام" (2).

والعصمة اصطلاحاً كما قال الشيخ المفيد: "لطف يفعله الله سبحانه بالمكلف بحيث يمتنع منه وقوع المعصية وترك الطاعة مع قدرته عليهما" (3).

وقال العلامة الطباطبائي: "إنها قوة تمنع الإنسان من الوقوع في الخطأ وتردعه عن فعل المعصية واقتراف الخطيئة" (4).

(1) كفاية الأثر: الخزاز، ص 86-87.

(2) الفوائد البهية: ج 1، ص 485.

(3) المرجع السابق، ص 484.

(4) المرجع السابق: ص 485.

وهناك درجة من العلم والمعرفة واليقين يصل إليها الإنسان تحجزه عملياً من أن يعصي الله. فالعصمة منشؤها علم. وهذا الضرب من العلم هو الذي يمنع صاحبه من الاتيان بما يخالف أوامر الله في السلوك والعمل⁽¹⁾.. وبهذا يتضح أن أحد أهم جذور العصمة هو العلم.

3- أما العلم الذي هو أحد أركان الإمامة،: هو ما نراه في البعد العلمي للعصمة وهو أن " للمعصوم نحو من القوة والتأثير بحيث لا ينفك عن العمل المترتب عليه وبتعبير السيد الطباطبائي في الميزان " ان هذه القوة القدسية (العصمة) هي من قبيل العلوم والمعارف لا من قبيل العمل وإلا فالعمل مترتب على ذلك العلم"⁽²⁾.

وحقيقة العصمة أن الإنسان وصل الى اليقين حيث يرى حقائق الأشياء على ما هي عليه، وبذلك فإن الأساس في نظرية العصمة أنها تدور مدار اليقين، مدار العلم وليس العمل بل يكون العمل مترتباً على هذا⁽³⁾.

وهناك قسم من العلم من تحقق به يستطيع التصرف بالتكوين أي بنظام الكون وهذا العلم المتمثل باليقين ويتوقف هذا العلم على رؤية الملكوت وهذا العلم هو ما يحتاج إليه الإمام لكي ينهض بدوره الوجودي وهو الذي يضمن له العصمة التامة⁽⁴⁾..

(1) بحث في الامامة: الحيدري، ص 170.

(2) بحث في الامامة: الحيدري، ص 199.

(3) المرجع السابق، ص 208.

(4) المرجع السابق: ص 189.

البعد التكويني للعصمة:

في طبيعة المبادئ التصديقية والتي لا ينازع فيها أحد، أن الولاية التشريعية والتكوينية هي مطلقة لله تعالى.

وقد تكون الولاية التكوينية لغيره وذلك بلطف وإشارة منه تعالى كما في قوله عز وجل عن الملائكة: { فالمدبرات أمراء } (النازعات : 5)

وقوله { قل يعرفاكم ملك الموت } (السجدة: 11)

وقد تكون للأنبياء عليهم السلام كعيسى(ع) { وأبرىء الأكمة والأبرص وأحي الموتى بإذن الله وأنبتكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم } (آل عمران: 49)

وقد تكون للجن كما في قوله تعالى: { قال عفريت من الجن أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين } (النمل: 39)

وقد تكون للإنسان دون أن يكون نبياً كما حصل مع آصف بن برخيا وصي النبي سليمان(ع) لقوله تعالى:

{ قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك } (النمل: 40)

وذلك استجابة لطلب النبي سليمان(ع) من الملائكة من حوله بمن يستطيع الاتيان بعرش ملكة سبا بلقيس قبل أن يأتوه مسلمين { أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين } (النمل : 38)

فإذا كان الذي عنده علم من الكتاب يستطيع أن يؤثر في التكوين فكيف

الذي عنده "علم الكتاب" وهو علي بن أبي طالب (ع) كما ورد في تفسير الآية
الكريمة: { ويقول الذين كفروا لست مرسلًا قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم
ومن عنده علم الكتاب } (الرعد: 43)

لقد روي أن هذه الآية نزلت في عبد الله بن سلام" أورده السيوطي في
الدر المنثور وكذا البيضاوي في تفسيره.

كما روي أن هذه الآية قد نزلت في ميمون بن بنيامين في قصة شبيهة،
بالقصة المنقولة عن ابن سلام تقريباً.

ولقد ورد عن الشعبي أنه قال: "ما نزل في عبد الله بن سلام شيء من
القرآن".

وقد أنكر ذلك أيضاً كل من عكرمة والحسن والشعبي ومحمد بن سيرين
وسعيد بن جبير استناداً إلى أن السورة مكية وإسلام ابن سلام كان بعد".
ولقد صرح الطحاوي بأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يصرح بنزولها
في ابن سلام وإنما مالك هو الذي استنبط ذلك⁽¹⁾.

وهناك روايات متواترة تنص على أن المقصود بـ"من عنده علم الكتاب"
هو أمير المؤمنين علي (ع) .. وهذه الرويات مروية عن أبي سعيد الخدري
وابن عباس ومحمد بن الحنفية والإمام محمد الباقر (ع) والسدي، وزيد بن
علي والإمام موسى بن جعفر (ع) وأبي صالح⁽²⁾.

(1) الصحيح من سيرة النبي الأعظم: جعفر مرتضى، ج4، ص148-149.

(2) المرجع السابق: ص149-150/ راجع شواهد التنزيل، للحسكاني، ج1، ص308-310/

مناقب ابن الغزالي: ح361/ ينابيع المودة: ص102-105.

وقد جاء عن أبي صالح في قوله عز وجل: "ومن عنده علم الكتاب" قال رجل من قريش هو علي ولكن لا نسميه⁽¹⁾.

يشير السيد الحيدري بإشارة استمدها من السيد الطباطبائي أن الآية "ومن عنده علم الكتاب" نزلت في علي (ع)⁽²⁾.

ويُعطف على الآية الكريمة حديث الثقلين لسيد البرية (صلى الله عليه وآله وسلم) "إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض"⁽³⁾.

فعلم الكتاب مختص بآل البيت عليهم السلام بدليل الآية والحديث، فالبيت عليهم السلام هم عدل القرآن لا يفترقون عنه أبداً وعدل القرآن لا بد أن يكون معصوماً لكي تصح طاعته كما أمر بذلك النبي (ص). ويكون معصوماً عصمة مطلقة في حالات التبليغ وخارجها قبل البلوغ وبعده على مستوى العمد وغير العمد من جميع ضروب السهو والخطأ والنسيان⁽⁴⁾.

عصمة علي مستوى الملكات والعقائد بل على مستوى التعلقات القلبية؛ هي عصمة على المستوى المادي والمعنوي.

(1) المرجع السابق، ج 4، ص 150.

(2) بحث في الامامة: الحيدري، ص 185.

(3) المراجعات: ص 96 = أخرجه الحاكم في المستدرک ج 3، ص 148.

(4) بحث في الامامة: الحيدري، ص 213.

البعد التشريعي للعصمة:

بملاحظة الآيات القرآنية والأحاديث التي تدل مباشرة على عصمة العترة الطاهرة عليهم السلام فقد ورد في الآية الكريمة { إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا } (الأحزاب: 33)

أكثر المفسرين قالوا أن هذه الآية نزلت في محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. وقد أخرج أحمد عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت في خمسة: النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

وأخرجه ابن جرير مرفوعاً بلفظ: أنزلت في خمسة: فيّ وفي علي والحسن والحسين وفاطمة.

وأخرجه الطبراني أيضاً. ولمسلم أنه (ع) أدخل أولئك تحت الكساء وقرأ هذه الآية وصح أنه(ع) جعل علي هؤلاء كساء وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وحاميتي(أي خاصتي) أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. فقالت أم سلمة وأنا معهم قال: إنك على خير⁽¹⁾.

تلك العصمة المطلقة أعطتهم حق الاتباع والتمسك بهم كما ورد في حديث الثقلين على لسان النبي(صلى الله عليه وآله وسلم).

(1) راجع الصواعق المحرقة: ابن حجر، ص143/ الدر المنثور: السيوطي، ج5، ص198/ مختصر تأويل الآيات الطاهرة: الاستربادي، ص457/ مختصر تفسير ابن كثير: الصابوني، ص94/ شواهد التنزيل: الحسكاني ج2، ص40.

وقد صرح القرآن الكريم بوجوب إطاعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم):
{ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا } (الحشر: 7)

وقال تعالى { وأطيعوا الله وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحموا } (آل عمران: 132)
وقال تعالى: { ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين
أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك
رفيقاً } (النساء: 69)

لقد أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالتمسك بالعترة الطاهرة كونها
عدل القرآن والرسول الكريم لا يصح عنه، أنه يأمر بشيء يخالف حكم الله
إنما أمره هو عين ما أمر به الله تعالى: { وما ينطق عن الهوى إن هو إلا
وحيٌ يوحى } (النجم: 3-4)

وفيما سبق دلالة عن أن الأرض لا تخلو من حجة إلى يوم القيامة. قال
الإمام الباقر (ع):

"والله ما ترك الله أرضاً منذ قبض آدم (ع) إلا وفيها إمام يهتدى به إلى الله
وهو حجته على عباده ولا تبقى الأرض بغير إمام حجة الله على عباده"⁽¹⁾.

وفي زماننا فإن حجة الله على خلقه هو الإمام المهدي محمد بن الحسن
(ع) فهو حي يرزق إلى أن يقيم العدل والقسط في الأرض.

عن عبد الغفار الجازي عن أبي عبد الله (ع) قال: "سمعتَه يقول: نحن
ورثة الأنبياء وورثة كتاب الله ونحن صفوته"⁽²⁾.

(1) أصول الكافي: ج1، ص178-179.

(2) بصائر الدرجات: الحلبي، ص63.

وعن الخضر عن أبي عبد الله بن عطا قال: سمعت أبا جعفر يقول: "نحن لولو الذكر ونحن أولو العلم وعندنا الحلال والحرام" (1).

4- أما الصبر: الذي هو أحد أركان الإمامة والمراد به أن الإمامة لا تعطى إلا لمن ابتلى وصبر، أما من لم يصبر فلا يعطى هذه الموهبة ولن يحظى بهذا المقام الوجودي التكويني ثم لا يستطيع أن يضطلع بهذه المهمة والمسؤولية في نظام الوجود.

ويُصرح القرآن الكريم أن الإمامة لا تعطى إلا لمن صبر بقوله تعالى: {وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا} (السجدة: 24) فلم توهب لهم الإمامة جزافاً بل لما صبروا.

ويذهب السيد الطباطبائي في الميزان للقول " ثم إنه تعالى بين سبب موهبة الإمامة بقوله: { لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون} (السجدة: 24) فبين أن الملاك في ذلك صبرهم في جنب الله - وقد أطلق الصبر - فهو في كل ما يبلى ويمتحن به عبد في عبوديته".

لهذا ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه كان يقول: ما أودى نبي مثلما أوديت ولكن مع ذلك لم يدع على قومه كما فعل يونس (ع) بل قال (صلى الله عليه وآله وسلم): " اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون".

هذه المقامات بين الرسل هي التي يشير إليها القرآن بقوله: {تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض} (البقرة: 253)

والذي يتضح من الآية المباركة أن التفضيل لم يكن جزافاً بلا قانون

(1) المرجع السابق: ص 67.

وسنة بل أن منشأ تلك المصائب والابتلاءات التي مروا بها وصبروا عليها⁽¹⁾.

ويرى العلامة محمد جميل حمود العاملي في بحوثه: إلى أن الملاك في هبة الإمامة هو اليقين بالله تعالى وآياته على نحو العلة التامة أو الكاملة، والصبر من توابع تلك العلة.

ويرى في تعليقه على الآية المباركة {لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون} أن الله تعالى نصّب الأئمة عليهم السلام هداة للناس حين صبروا في الدين وكانوا قبل ذلك موقنين بآياته، وهذا الايقان سابق على الصبر المتفرع من الايقان، وهو في حالة اعتقادية سابقة على العمل، أي الصبر على البلاء، مما يوحي بأن أئمتنا عليهم السلام كانوا موقنين ليس في عوالم التكوين فحسب بل يقينهم سابق في العوالم الأولى، إذ هم أول ما خلق الله تعالى، ولأجلهم كان الخلق {لولاكم لما خلقت الأفلاك}.

وعليه فيما أن الصبر متفرع عن اليقين، فالصبر يدور مدار اليقين، فإذا لا يقين لا صبر، والملاك في نعمة الإمامة ليس الصبر فحسب، بل بسبب أنهم اقتضى اكرامهم بنعمة الولاية والإمامة دون أن يكون العمل علة تامة لذلك، بل هو جزء علة مكملاً أو مؤكداً للجزء الآخر وهو الايقان بآيات الله تعالى.

(1) راجع بحث في الإمامة: كمال الحيدري، من ص 89 إلى 93

ولا بد من التأكيد على أن الصبر بقسميه العلمي والعملية من توابع اليقين، لا أنه حالة أخرى أو قسيم له⁽¹⁾.

النص على إمامة موسى بن جعفر (ع):

وكان الإمام بعد أبي عبد الله ابنه أبا الحسن موسى ابن جعفر العبد الصالح عليه السلام، لاجتماع خلال الفضل فيه والكمال، ولنص أبيه بالإمامة عليه وإشارته بها إليه.

روى محمد بن يعقوب الكليني عن معاذ بن كثير عن أبي عبد الله (ع) قال: قلت له أسأل الله الذي رزق أباك منك هذه المنزلة أن يرزقك عن عقبك قبل الممات مثلها فقال: فعل الله ذلك، قلت: من جعلت فداك؟ فأشار إلى العبد الصالح وهو راقد فقال: هذا الراقد وهو يومئذ غلام⁽²⁾

- عن أحمد بن مهرا، عن محمد بن علي بن موسى الصيقل، عن المفضل بن عمر قال: كنا عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل أبو إبراهيم وهو غلام فقال لي أبو عبد الله عليه السلام: استوص به وضع امره عند من تثق به من أصحابك⁽³⁾.

... عن محمد بن علي بن عبد الله القلا عن الفيض بن المختار قال قلت لأبي عبد الله (ع): خذ بيدي من النار من لنا بعدك؟ فدخل علينا أبو إبراهيم

(1) بحوث في الولاية: مخطوط محمد جميل حمود.

(2) الارشاد: ص 217/ اعلام الوري: ص 296/ كشف الغمة، ج 2، ص 220/ روضة الواعظين: ص 213

(3) الارشاد: ص 217/ اعلام الوري: ص 296/ كشف الغمة، ج 2، ص 220/ روضة الواعظين: ص 213

فقال: هذا صاحبكم فتمسك به⁽¹⁾.

- عن علي بن إبراهيم، عن ابيه، عن ابن ابي نجران، عن صفوان الجمال عن ابي عبد الله (ع) قال قال له منصور بن حازم: بأبي أنت وأمي أن الأنفس يغدى عليها ويراح فإذا كان ذلك فمن؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا كان ذلك فهو صاحبكم وضرب على منكب ابي الحسن الأيمن، وكان يومئذ خماسياً وعبد الله بن جعفر جالس معنا⁽²⁾.

- عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب (ع) عن ابي عبد الله (ع) قال قلت له: أن كان كون - ولا أراني الله ذلك - فبمن أنتم؟ قال: فأوما إلى ابنه موسى، قلت له: فإن حدث بموسى حدث فبمن أنتم؟ قال: بولده، قلت: فإن حدث بولده وترك اخأ كبيراً وابناً صغيراً؟ قال: بولده، ثم هكذا ابداء، قلت: فإن لم اعرفه ولم اعرف موضعه؟ قال: تقول: "اللهم اني اتولى من بقي من حججك من ولد الامام الماضي"⁽³⁾.

- ... عن محمد بن يحيى، وأحمد بن ادریس، عن محمد بن عبد الجبار، عن الحسن بن الحسين، عن احمد بن الحسن الميثمي عن فيض بن المختار في حديث طويل في امر ابي الحسن حتى قال له ابو عبد الله عليه السلام هو صاحبكم الذي سألت عنه فقم إليه فأقر له بحقه، فقامت حتى قبلت رأسه ويده ودعوت الله له.

(1) الارشاد ص 217/ الفصول المهمة: ابن الصباغ، ص 228-229/ كشف الغمة، ج 2، ص 220.

(2) الفصول المهمة: ص 229/ اعلام للورى: الطبرسي، ص 297/ كشف الغمة: ج 2، ص 220.

(3) اثبات الوصية: ص 204/ الارشاد، ص 218/ للطبرسي: ص 297.

قال أبو عبد الله (ع): أما أنه لم يؤذن لنا في ذلك، فقلت: جعلت فداك فأخبر به أحداً؟ قال: نعم اهلك وولدك ورفقاءك، فكان معي اهلي وولدي، وكان معي من رفقائي يونس بن ظبيان فلما أخبرته حمد الله تعالى وقال: لا والله حتى اسمع منه ذلك وكأنت به عجلة، فخرج فأتبعته فلما انتهيت إلى الباب سمعت ابا عبد الله (ع) يقول له - وكان سبقني إليه - : يا يونس الأمر كما قال لك فيض، فقال: سمعت وأطعت، فقال لي أبو عبد الله عليه السلام: خذ اليك يا فيض⁽¹⁾.

- عن الحسين بن محمد عن معلى عن صفوان الجمال قال: سألت ابا عبد الله عن صاحب هذا الأمر، فقال: إن صاحب هذا الأمر لا يلهو ولا يلعب، فأقبل أبو الحسن علي وهو صغير ومعه عناق مكية، وهو يقول لها اسجدي لربك، فأخذه أبو عبد الله فضمه إليه ثم قال: بأبي وأمي من لا يلهو ولا يلعب⁽²⁾.

- وروي يعقوب بن جعفر الجعفري قال: حدثني اسحاق بن جعفر الصادق عليه السلام قال: كنت عند ابي يوماً فسأله علي بن عمر بن علي فقال جعلت فداك إلى من نزرع ويفزع الناس بعدك؟ قال: إلى صاحب هذين الثوبين الأصفرين والغديرتين - يعني الذوابتين - وهو الطالع عليك من الباب، فما لبثنا أن طلعت علينا كفتان أخذتان بالبابين حتى انفتحتا ودخل علينا أبو ابراهيم وهو صبي وعليه ثوبان أصفران⁽³⁾.

(1) اعلام الوری: الطبرسي، 297-298

(2) المرجع السابق، ص 298

(3) الارشاد، ص 220 / كشف الغمة، ج 2، ص 221

- وروى أبو علي الأرجاني عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: دخلت على جعفر بن محمد عليهما السلام في منزله، فإذا هو في بيت كذا من داره في مسجد له، وهو يدعو وعلى يمينه موسى بن جعفر عليهما السلام يؤمن على دعائه، فقلت له: جعلني الله فداك، قد عرفت انقطاعي إليك وخدمتي لك، فمن ولي الأمر بعدك؟ قال: "يا عبد الرحمن، إن موسى قد لبس الدرع واستوت عليه" فقلت له: لا أحتاج بعدها إلى شيء⁽¹⁾.

- وروى الفضل، عن طاهر بن محمد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: رأيت يلموم عبد الله ابنه ويعظه ويقول له: "ما يمنعك أن تكون مثل أخيك؟! فوالله إنني لأعرف النور في وجهه" فقال عبد الله: وكيف؟ أليس أبي وأبوه واحداً، وأصلي وأصله واحداً؟ فقال له أبو عبد الله عليه السلام: "إنه من نفسي وأنت ابني"⁽²⁾.

- وروى ابن مسكان، عن سليمان بن خالد قال: دعا أبو عبد الله أبا الحسن عليهما السلام يوماً ونحن عنده فقال لنا: "عليكم بهذا بعدي، فهو والله صاحبكم بعدي"⁽³⁾.

وروى محمد بن الوليد قال: سمعت علي بن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول: سمعت أبي - جعفر بن محمد - يقول لجماعة من خاصته وأصحابه: "استوصوا بابني موسى خيراً، فإنه أفضل ولدي ومن أخلف من بعدي، وهو القائم مقامي، والحجة لله تعالى على كافة خلقه من بعدي"⁽⁴⁾.

(1) الفصول المهمة، ص 228/الارشاد، ص 217

(2) كشف الغمة، ص 220/الطبرسي، ص 298/الارشاد/ج 2، ص 218.

(3) كشف الغمة، ص 221/الطبرسي، ص 298/الارشاد، ص 219

(4) كشف الغمة، ص 222/الارشاد، ص 220

- وروي عن مرزوم عن داود الرقي قال، قلت لأبي عبد الله (ع): جعلني الله فداك إن كان كون وأعانني الله منه فيك فألي من؟ قال: إلى ابني موسى. قال داود: فلما حدثت الحادثة بأبي عبد الله ما شككت فني موسى طرفة عين، ثم مكث نحو ثلاثين سنة، ثم قصدته فقلت له: إني دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت: إن كان كون فألي من؟ فنص عليك وأنا أسألك كما سألته إن كان كون فألي من؟ قال لي: إلى علي ابني، قال: فمضى أبو الحسن موسى (ع) فوالله ما شككت في الرضا عليه السلام طرفة عين⁽¹⁾.

- وحدثنا أبو المفضل محمد بن عبد الله، قال حدثني أبو النجم بدر بن عمار الطبرستاني، قال حدثنا أبو جعفر محمد بن علي رفعه إلى أبي عبد الله قال: إن حميدة أخبرتني بشيء ظننت أنني لا أعرفه وكنت أعلم به منها، قلنا له وما أخبرتك به قال ذكرت أنه لما سقط من الاحشاء سقط واضعاً يديه على الأرض رافعاً رأسه إلى السماء فأخبرتها أن ذلك أمانة رسول الله والوصي إذا خرج من بطن أمه أن تقع يده على الأرض ورأسه إلى السماء يقول أشهد الله أن لا إله إلا هو (الآية) أعطاه الله العلم الأول والعلم الآخر واستحق زيارة الروح في ليلة القدر وهو أعظم خلق من جبرئيل⁽²⁾.

- يزيد بن أسباط قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام في مرضته التي مات فيها، فقال لي: يا يزيد أتري هذا الصبي إذا رأيت الناس قد اختلفوا فيه فاشهد علي بأني أخبرتك أن يوسف إنما كان ذنبه عند إخوته حتى

(1) اثبات الوصية: المسعودي، ص 206

(2) دلائل الإمامة، ص 145

طرحوه في الجب الحسد له، حين أخبرهم أنه رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر هم له ساجدون، وكذلك لا بد لهذا الغلام من أن يحسد، ثم دعا موسى، وعبد الله، وإسحاق، ومحمداً، والعباس، وقال لهم: هذا وصي الأوصياء وعالم علم العلماء، وشهيد على الأموات والأحياء، ثم قال: يا يزيد ستكتب شهادتهم ويسألون⁽¹⁾..

- ولما نص الصادق على موسى وهو غلام قال فيض بن المختار: جعلت فداك أخبر به أحداً؟ قال: نعم أهلك وولدك ورفاقك، قال: فأخبرت يونس بن ظبيان فقال: لا والله حتى أسمع ذلك منه، فلما انتهى إلى الباب سمعت الصادق عليه السلام يقول له: الأمر كما قال لك فيض، ثم دخلت فقال لي: يا فيض رزقه رزقه، أي احتفظ به بالنبطية⁽²⁾.

وروى صريح النص عليه بالإمامة من أبيه ثقات منهم: أخوه علي، وإسحاق، والمفضل بن عمر الجعفي، ومعاذ بن كثير، وعبد الرحمن بن الحجاج، والفيض بن المختار، ويعقوب السراج، وسليمان بن خالد، وصفوان بن مهران الجمال، وحران بن أعين، وأبو بصير، وداود الرقي، ويزيد بن سليط، ويونس بن ظبيان⁽³⁾.

(1) مناقب آل بني طالب، ج4، ص1184

(2) المرجع السابق، ص1184

(3) مناقب آل بني طالب، ص1184

الفصل الثالث: بنو العباس والخلافة

- بدايات الثورة
- طلائع أبي العباس (السفاح)
- بهلوانية بني العباس
- خلافة أبي العباس السفاح
- خلافة أبي جعفر المنصور
- خلافة المهدي
- خلافة موسى الهادي
- خلافة هارون الرشيد

بنو العباس والخلافة

أولى الاسباب التي أدت إلى توطيد خلافة بني العباس، هي الثورة على الحكم الأموي، الذي كان عصره أسي وموت وفناء. عصر مادت فيه ظلمة بين موجيها ترى شقاء الابرياء وتحف التعساء. عصر باتت الظلمة تحدو أختها، يطلع الشر في أقطاره نافثاً في طيه كل بلاء. بلاء جاوز حدوده وأسواره كخليج من نماء. عصر زفير امرائه وولاته شرر يتأجج في ظلام الدجى فتحسبه نكاء. عصر راح يبني مجده في التاريخ، يصب على الرؤوس مذاب جمر تجرف في مداها كل شيء من جمادات وأحياء. عصر فيه الويل ثم الويل إن كنت من أو مع آل بني طالب أو أتيت على ذكر علي بن أبي طالب عليه السلام...

شعلة الثورة بدأت ها هنا من الظلم الجائر، لتتطلق جواحة طواحة، تشيع على كل شيء، تتناول كل شيء، ولم تنطفأ إلا وقد حصدت بنيرانها كيان أمة. أمة هي "بني أمية" التي تزلزلت وتفتت في "معركة الزاب" سنة 132هـ في الموصل، بمقتل آخر خليفة أموي - مروان بن محمد الجعدي - المعروف بمروان الحمار.

بدايات الثورة:

1- الاضطهاد العلوي: بدأت شعلة الثورة مع صرخة العلويين وشيعتهم منادية بالعدل واحقاق الحق، والخلص من الظلم والأخذ بثارات من قُتل وقهر على امتداد قرن من الزمن وعلى رأس من قتل وقهر من آل بني طالب، الأئمة عليهم السلام بدءاً من:

- الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام): وقد عانى ما عاناه من أذى ودهاء معاوية بن أبي سفيان حتى كانت معركة الجمل التي قادتها عائشة بنت أبي بكر، زوجة النبي محمد (صلى الله عليه و آله وسلم) وقد خرجت مطالبة بثأر الخليفة عثمان بن عفان، وقد ساندها طلحة والزبير، وبتحريض من معاوية. وبعدها معركة صفين مع معاوية حسمت بمكيدة أشار بها عمرو بن العاص على معاوية برفع المصاحف والتحكيم. إلى معركة النهروان مع الخوارج الذي خرجوا على علي إثر التحكيم. إلى أن لقي عليه السلام حتفه بضربة سيف غاشمة من يد عبد الرحمن بن ملجم. وكان ذلك في العام 40 للهجرة. ويرى المحقق باقر القرشي... "أن للأمويين ضلعاً كبيراً في اغتيال علي بن أبي طالب (عليه السلام)"⁽¹⁾.

- إلى الامام الحسن بن علي (عليه السلام): الذي سقط على أيدٍ يعبث بها الهوى، يتقاذفها في أودية الشهوات الضاجة بالمكر والغدر ليلاقي حتفه مسموماً على يد زوجته جعدة بنت الأشعث بترغيب لها من معاوية بن أبي سفيان. وكان ذلك في العام (50 للهجرة). الامام الحسن (عليه السلام) الذي كان ضحية مسرحية خيالية، أخرجها معاوية من زيف الأمانى، مسرحية كان أبطالها قادة جيش الامام الحسن (عليه السلام) وعلى رأسهم ابن عمه عبيد الله بن العباس. فاضطر الامام عليه السلام إلى أحد الخيارين: إما القتال وإما الصلح" فاختار الصلح" وكان ذلك عام 41هـ على أصح الروايات وعرف

(1) حياة الامام موسى بن جعفر: باقر القرشي، ج1، ص 288.

هذا العام "بعام الجماعة". وما هو بجماعة إنما هو عام تفرقه!!

- إلى الامام الحسين بن علي (عليه السلام): الذي كان ضحية معاوية بن أبي سفيان، ضحية بيعة معاوية لابنه يزيد - الفاسق، الشاب للخمر، القاتل النفس المحترمة، يزيد الذي لم يتشف بقتل الحسين (عليه السلام) وحز رأسه ورؤوس آل بيته وأصحابه وسبي نسائه. حتى أباح مدينة رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم)، وفي عامه الثالث ضرب الكعبة بالمنجنيق⁽¹⁾، تلك البيعة ليزيد شكلت أعلى درجات الاستلاب، وفيه تبني المجتمع كل الأساطير والأكاذيب التي حاكها معاوية. كما اجتاف كل أحكامه الجائرة ورضي بها حتى باتت تشكل جزءاً من طبيعته. وأي مقاومة وتغيير لتلك الأحكام يعتبر خروجاً عن طبيعة هذا المجتمع.

فقد نجح معاوية بسياسة المكر والدهاء إلى اقناع من حوله بتفوقه وسيطرته، وأحقية منهجه، وطمس كل إمكانات الوعي والرغبة في التغيير حيث جعل المجتمع رهين السيطرة والخضوع.

وكحل هروبي من هذا المأزق الوجودي، والتخفيف من الشعور من انعدام الامن وانعدام القيمة، لجأ المجتمع إلى ما يعبر عنه بالتماهي بالمتسلط، من خلال التشبه به وتمثل عدوانيته وطغيانه ونمط حياته وقيمه المعيشية، إلى حد التتكرر الكلي للذات ولانتماءاتها التاريخية، ومال إلى الشطط والتطرف، وارتقى في أحضان المتسلط وانصاع لأوامره.

(1) راجع ترجمة يزيد في تاريخ الخلفاء السيوطي ص 205/ مروج الذهب، تحقيق شارل بلا ج 3 ص 247، رسائل الجاحظ، ص 10 ما بعدها/ للبداية والنهاية: ابن كثير، ج 8، ص 248.

فكان الخروج على الامام الحسين بن علي (عليه السلام) نموذجاً لخطورة الاستلاب الذي وطده وأرسى معالمه معاوية ونهج عليه من بعده ابنه يزيد وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد ومن تبعهم في حكومة الجور والطغيان، حتى وصل الأمر إلى قتل الحسين (عليه السلام) في وقعة كربلاء وكان ذلك في العام 61 للهجرة.

- إلى الامام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام): سيد الساجدين ذي الثغفات القائم الليل والنهار، المُجد في الذكر والدعاء، وقد عاصرت أمامته (عليه السلام) من حكام بني أمية، ابن الزرقاء مروان بن الحكم طريد رسول الله ولعينه، وابنه عبد الملك أعرق الناس بالكفر^(*) وقد قيل لابنه الوليد ما تقول في عبد الملك؟ قال: ما أقول في رجل الحجاج خطيئة من خطايا⁽¹⁾. إلى الوليد بن عبد الملك وكان من المسرفين في الدماء. كان جباراً ظالماً وقد قال عمر بن عبد العزيز " وكان الوليد بالشام والحجاج بالعراق وعثمان ابن جبارة بالحجاز وقرّة بن شريك بمصر، امتلأت الأرض والله جوراً⁽²⁾. وكفى الوليد إثماً وجُرماً ما جنّته يداه، بدس السم للإمام زين العابدين (عليه السلام). وكان ذلك في العام 95 للهجرة.

- إلى الامام محمد بن علي (عليه السلام) (الباقر): وقد ناله من جور بني أمية مقتل أخيه زيد، ثم أمر بنبش قبره وصلبه، ثم أحرقت جثته وذري بها في

(*) راجع النزاع والتخاصم: المقرئزي ص 15.

(1) معالم الفتن: سعيد أيوب، ج 2، ص 366.

(2) تاريخ الخلفاء: السيوطي، ص 223.

الرياح.

الامام الباقر (عليه السلام) كان جهاده حركة علمية فكرية، توجه إلى تصحيح الخواء العقائدي والاختلال الفكري اللذين ميزا عصره عليه السلام، إلى جانب تميزه بانغماس الخلفاء والناس في المادة والشهوات اللهم إلا الخليفة عمر بن عبد العزيز.

وكفى الباقر (ع) ما ناله من عتو وظلم بني أمية، شرارة لهيب الغيظ والحق من هشام بن عبد الملك الذي دس السم للباقر (عليه السلام) وقيل أن الذي دس السم هو ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك⁽¹⁾ وكان ذلك في العام 114 للهجرة.

- إلى الامام جعفر بن محمد (الصادق) (ع): الذي كان نقطة استقطاب حركة الجهاد العلمية التي أسسها جده زين العابدين (ع) وتابعتها أبوه الباقر (عليه السلام). فكان عليه السلام محورها الجديد.

لقد توجه الامام الصادق (ع) من خلال جامعته العلمية وبحكم دوره كإمام إلى كشف ليلة الغمة والظلم، حاملاً في يمينه شعلة لقناديل مكوكبة يأوي إليها كل كوكب حيران. وفي يسراه زهرة غرسها رياض الأمل يحي بعرف مسكها أنفُسٍ نبلت، يهدي بعرف طيبها من ضلُّ سبيل الهدى. زهرة سقاها ظلُّ وندى فأورقت وأزهرت حتى غدت يثرب منها بساط ورد، فازهر فيها السعد، وهل على رباها مجد.

(1) بحار الانوار، ج 46، ص 217.

فالقلوب كانت ظمأى إلى منهل روي يعيد إليها سابق عهد وذكرى. عهد النبوة في أصالتها. وذكرى الرسالة في توقدها. فاشتد عليه السلام بمقتضى - دوره الرسالي المنبثق من عهد النبوة - يصقل نفوس عقدها الجحد، يهذب أفكاراً غشاها الجهل، يُرقي الوجدان وبدوات الشعور. يجعل منها لمعات إلهام تأخذها إلى الرقي الفكري والحضاري. لقد كانت أهمية دور الإمام الصادق (عليه السلام) في ذلك الزمان؛ أهمية عقائدية رسالية في ظل التيه والضياع السياسي والمرتكز الديني. في زمن أصرّ بكل قواه إلى محو الإمامة وإلغائها لكن الله يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

هذا الدور العلمي الشامخ للإمام الصادق (ع) جعله في منأى عن أذى أبي العباس السفاح. في حين أن المنصور ما هابه نبوة، ولا حركته صلة قرابة، فأقدم على سجن وتشريد وقتل أبناء عمومته، حتى وصل الأمر إلى اغتيال الإمام الصادق (ع) فمضى شهيداً مسموماً بأمر من أبي جعفر المنصور، وذلك في العام 148 للهجرة.

على هذا النحو كانت سياسة بني أمية وقد وصفها الإمام الباقر (عليه السلام) "وقتلنا شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنه. وكان من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره⁽¹⁾."

2- النزاع بين اليمانية والقرارية: وتعدان من أعظم سكان الجزيرة العربية عدداً ونفوذاً. لقد شكل النزاع بينهما عاملاً هاماً في سقوط الحكومة الأموية.

(1) حياة الإمام موسى بن جعفر: باقر القرشي، ص 290، ج 1.

حيث انضمت اليمانية إلى العباسيين، وقد نشط هذا الانضمام العلويون بواسطة عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

في حين تعصب الخليفة الأموي مروان بن محمد الجعدي، للزاريين. وكان من نتيجة هذا النزاع "تغلغل الأمر إلى انتقال الدولة من بني أمية إلى بني هاشم"⁽¹⁾.

3- مقتل عبد الله بن محمد ابن الحنفية (أبي هاشم): أبا هاشم الزعيم البارز في الثورة العلوية ومن أهم دعواتها. شاء القدر أن يكون علي وعي أو علي غير وعي منه - المؤسس الأول لحكومة بني العباس.

الثورة العلوية التي كانت تشق طريقها صعباً، هادئة حيناً وهادئة حيناً آخر. وهي بين قوى هديرها ووعي من هدونها، باتت تثير مخاوف وقلق أهل الحكم الأموي. فكان لها مع كل خليفة حكاية. وكان لها مع سليمان بن عبد الملك حكاية "إن لله جنوداً من عسل". جنوداً تردي أهاب الخوف والقلق المهيب الذي يكتنف صدر سليمان. وكانت مقدمة الحكاية باستمالة أبي هاشم، واستدعاء لجوج له إلى الشام. وأجاب أبو هاشم الدعوة، وقوبل بمزيد من التبجيل والتقدير، حتى خلت سلوكك سليمان روحاً تسمو بالنفس وتضيء القلب. وفي حقيقته وغايته البعيدة تيار جارف، سيل من البغض والحقد.

وتكشفت الغاية، فسليمان دبر قتل أبي هاشم، دس له السم وهو في طريقه إلى الحميمة التي يقطن فيها العباسيين. ولما شعر أبو هاشم بالهلاك

(1) مروج الذهب: المسعودي، ج 4، ص 70 تحقيق شارل بلا.

أطلع - محمد بن علي بن عبد الله بن العباس - على اسرار الدعوة وقلده رياستها. وكتب إلى شيعته يخبرهم الأمر والامتنال إلى محمد بن علي العباسي وإلى ولده من بعده⁽¹⁾.

وذهب بعض المؤرخين إلى أن أبا هاشم لم يعهد بأمره إلى محمد بن علي، ولكنه حل عنده ورأى ما فيه من ثقل حاله، فأخذ يستدرجه حتى أخبره ما عنده. ولما توفي عثر على الملفات التي كانت فيها اسراره الدعوة، وأسماء الدعاة⁽²⁾.

وكانت الإنطلاقة الأولى لتثبيت دعائم خلافة بني العباس. وقد جهد محمد بن علي في تحريك الثورة والدعوة إليها، تحت شعارات "الرضا من آل محمد" "وآل البيت". وكان العراق وخرسان ميدانين صالحين لاحتضان نواة هذه الدعوة. فالكوفة من جهة هي الوطن للدعوة العلوية. وخرسان من جهة أخرى عرفت بالعداء للأمويين وميلها إلى التشيع.

ويذكر الذهبي: كان ابتداء دعوة بني العباس إلى محمد ولقبوه بالامام وكاتبوه سرّاً بعد العشرين ومائة. ولم يزل أمره يتزايد، ففاجئته المنية حين انتشرت دعوته، فأوصى بالأمر إلى ابنه ابراهيم فلم تطل مدته بعد أبيه، فعهد إلى اخيه أبي العباس السفاح⁽³⁾. وقال اسماعيل الخطابي كان ابتداء دعاة بني العباس إلى محمد وطاعتهم لأمره وذلك في زمن الوليد. فلم يزل الأمر ينمى

(1) راجع: هارون الرشيد عبد الجبار الجومرد، ج 1، ص 19.

(2) الامام موسى بن جعفر باقر القرشي، ج 1، ص 322.

(3) تاريخ الاسلام الذهبي (احداث 121 - 140هـ)، ص 223.

ويتزايد إلى أن مات في مستهل ذي القعدة سنة 124 للهجرة وقد انتشرت
دعوته وكثرت شيعته. قال ابن جرير إنه مات سنة 125 للهجرة⁽¹⁾.

4- (مؤتمر الأبواء):

عقد جماعة من بني هاشم مؤتمراً لهم في الأبواء بهدف تداول شؤون
الدعوة، وقد حضره كل من إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس
(إبراهيم الامام)، وأبو جعفر المنصور، وصالح بن علي وعبد الله بن الحسن
ابن الحسن (بن علي بن أبي طالب)، وابناه محمد وإبراهيم، ومحمد بن عبد
الله بن عمرو بن عثمان.

فقال صالح بن علي: قد علمتم انكم الذي تمد الناس اعينهم اليهم وقد
جمعكم الله في هذا الموضع فاعقدوا بيعة الرجل منكم تعطونه إياها من
أنفسكم، وتوافقوا على ذلك حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين.

فحمد الله عبد الله بن الحسن واثني عليه ثم قال: قد علمتم أن ابني هذا
هو المهدي، فهلما فلبايعة.

وقال أبو جعفر: لأي شيء تخذعون أنفسكم والله لقد علمتم ما الناس إلى
أحد أطول أعناقاً ولا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى - يريد محمد بن عبد
الله - قالوا: قد - والله - صدقت إن هذا هو الذي نعلم فبايعوا جميعاً محمداً
ومسحوا على يده⁽²⁾.

لم يتوان إبراهيم الامام عن متابعة أمور الدعوة، بل كان أكثر حمية

(1) المرجع السابق، ص 225.

(2) مقاتل الطالبين: أبو الفرج الاصفهاني، ص 140 - 141.

ونشاطاً عن سبقه. فانتدب عبد الرحمن بن عثمان ويعرف بابي مسلم الخرساني - وهو شاب في مقتبل العمر حاد الذكاء، قيل أن عمره كان تسعة عشر سنة آنذاك - قلده قيادة الحركة وأمره على خراسان وما غلب عليها وصير كلمته هي العليا.

ومما ورد في وصية ابراهيم لابي مسلم: "... وأن استطعت أن لا تدع بخرسان من يتكلم بالعربية فأفعل فأبداً غلام بلغ خمسة اشبار فاقتله" (1). وانطلق أبو مسلم ينفذ وصية ابراهيم الامام، يبث الفناء والرجب في كل صوب، يستثيره مجد الجدود الدفين، يسنده عصبية قلبية متنافرة، فراح يهز اسيوف، حتى بتّ تحسب الخطب بحراً مزبداً بلظى شر الشبا المحتشم. وباتت البسيطة تحت طلائع شره، فانكب يرحمها كغمام حاصب. فأبو مسلم حسب أن البرايا شياها لم تكن إلا لسفك الدماء فرمى بها إلى حيث شاء، لهوى في النفس ما عاد في خفاء. واستطاع أبو مسلم جمع أمر بني العباس وشد أواصرهم فلولا سيف أبي مسلم وجيشه ما ضرب بني العباس في بلادهم وتداً.

وكان مما كاتب به المنصور لاحقاً لابي مسلم: "فأخبرني عن ستمائة ألف من المسلمين قتلهم صبراً". ولم ينكر أبا مسلم ذلك واجابه: "لتستقيم دولتكم" (2).

(1) تاريخ الطبري: ج6، ص300/ تاريخ الذهبي: (احداث 121 - 140)، ص 336.

(2) الحياة السياسية للامام الرضا (عليه السلام): جعفر مرتضى العاملي، ص 123.

وتتابعت الايام والاحداث في خلافة مروان بن محمد الجعدي المعروف بمروان الحمار^(١) - آخر خلفاء بني أمية - . وجاءت أيامه مليئة بالعواصف والاحداث إلى أن انتهى الأمر أن وقع تحت يده كتاب مرسل من ابراهيم الامام إلى ابي مسلم الخرساني. يخبره فيه خبره وما آل إليه أمره. فقبض مروان في الحال على ابراهيم وزجه في السجن بحران. ولما علم ابراهيم بالهلاك. اثبت وصيته إلى اخيه عبد الله المكنى بابي العباس^(١)، واوصاه للقيام بالدولة والجد والحركة، والتوجه إلى الكوفة. وأظهر له أمر الدعاة بخرسان والنقباء، ورسم له رسماً أوصاه أن يعمل عليه ولا يتعداه. ودفع الوصية إلى سابق الخوارزمي مولاه^(٢).

طلائع أبي العباس (السفاح):

قضى ابراهيم الامام مخنوقاً في حبس مروان بن محمد. واستلم أبو العباس الوصية فأمر بسترها عن العامة وأظهرها على أهل بيته داعياً كلاً من أخيه أبي جعفر المنصور، وابن أخيه عيسى بن محمد، وعمه عبد الله بن علي إلى موازرتة. وتوجه إلى الكوفة، دخلها سراً وأنزله أبو سلمة دار للوليد ابن سعد وأخفى أمرهم.

^(١) لقب بالحمار لانه كان لا يخف له لبد في محاربة الخارجي عليه. كان يصل السري بالسير

ويصبر على مكاره الحرب. والجعدي نسبة إلى مؤبده الجعد بن درهم. وقيل سمي بالحمار لأن العرب يسمي كل مائة سنة حماراً فلما قارب على بني أمية مائة سنة لقبوا مروان

بالحمار (تاريخ الاسلام: المرجع السابق، ص 534) / تاريخ الخلفاء: السيوطي، ص 254

^(١) مروج الذهب: ج 4، ص 83-84

^(٢) المرجع السابق: ص 95.

وأبو سلمة هذا من كبار الدعاة، هو حفص بن سليمان، يلقب بوزير آل الرضا. كان في سره من الداعين إلى آل أبي طالب، فأضمر الرجوع عما كان عليه من الدعوة العباسية فأرسل نسخة واحدة إلى كل من جعفر بن محمد (الإمام الصادق) (ع). وإلى عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب؛ يدعو كل واحد منهما إلى الشخصين إليه ليصرف الدعوة إليه ويأخذ بيعة أهل خراسان له.

أما الإمام الصادق (ع) قال: وما أنا وأبو سلمة؟ أبو سلمة شيعه لغيري، ثم أحرق الرسالة ولم يقرأها وتمثل بقول الشاعر:

أيا موقداً ناراً لغيرك ضوؤها ويا حاطباً في غير حبلك تحطّب

في حين أن عبد الله ابتهج للخبر وأتى الإمام الصادق (عليه السلام) قاتلاً: هذا كتاب أبي سلمة يدعوني إلى ما قبله (أقبله) وقد قدمت شيعتنا من أهل خراسان.

فقال الصادق (عليه السلام): يا أبا محمد ومتى كان أهل خراسان شيعه لك؟ أنت بعثت أبا مسلم إلى خراسان؟ أنت أمرته بلبس السواد؟ وهؤلاء الذين قدموا العراق أنت كنت سبب قدومهم؟ أو وجهت إليهم؟ وهل تعرف منهم أحداً؟ فنازعه عبد الله الكلام إلى أن قال: إنما يريد القوم ابني محمداً لأنه مهدي هذه الأمة.

فقال له أبو عبد الله جعفر: والله ما هذا إلا نصح مني لك. فانصرف عبد الله من عند جعفر مغضباً⁽¹⁾.

(1) مروج الذهب، ج 4، ص 97 / 98.

هذا وعلم أبو حميد الطوسي، الذي كان في الكوفة، بوجود أبي العباس فأعلم جماعته من قواد أهل خراسان. ودخل على أبي العباس ومن معه سائلاً: "أيكم الإمام" فأشار داود بن علي إلى أبي العباس فقال: هذا خليفتم. فبايعه أبو حميد ومن ثم قواده. ولما علم أبو سلمة بذلك بايعه. ودخل أبو العباس الكوفة في موكب رسمي حضره القواد والامراء وجماعة من افراد الاسرة العباسية حتى اتى قصر الإمارة وذلك يوم الجمعة لاثني عشرة خلت من ربيع الآخر من سنة 132 للهجرة⁽¹⁾.

ونكر الذهبي أن الخبر بلغ أبا الجهم، فاجتمع بموسى بن كعب وعبد الحميد بن ربيعي وسلمة بن محمد وإبراهيم ابن سلمة وعبد الله الطائي، وإسحاق بن إبراهيم وشراحيل وابن بسام وجماعة من كبار شيعتهم فدخلوا على آل العباس فقال: أيكم عبد الله بن محمد بن الحارثية؟ فأشاروا إلى السفاح. فسلموا عليه بالخلافة⁽²⁾.

بهلوانية بني العباس:

وما ان استلان لبني العباس أمرهم حتى بدت تتكشف طوايا ونوايا. فدعوة بني العباس ما كانت إلا بهلوانية فكرية خرجت بخصوص العلويين وباسمهم فكانت الناس تقول في دعوة أبي مسلم "وقدم رجل من بني هاشم فأتوه من كل وجه"

لقد دار الزمان على قوم هم بنو طالب وشيعة الإمام علي بن أبي طالب

(1) راجع مروج الذهب، ص 99 - 100.

(2) تاريخ الاسلام: احداث سنة 132هـ، ص 336.

(ع)، بعدما كانوا غوثاً وغيثاً مخصباً أزال علة الإجداب. لقد أخطأ العلويون وقد ظنوا أن كنف السعادة أطلهم بعد الشقاوة مع بني أمية، ليروا أنفسهم تطل على داعي الهوى الخلاب (الخداع، الغرّار). ها هم بنو العباس يفخروا بالخلافة وإنهم لها أهلاً وأصلاً.

ها هو السفاح في أول خطبة له عند البيعة يتفاخر ويزهو: "... ورد عليا حقنا ليمُنْ بنا على الذين استضعفوا في الأرض وختم بنا كما افتتح... يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا، ونزل مودتنا، الذين لم تفتروا عن ذلك، ويثنيكم عنه تحامل الجور عليكم، حتى أدركتم زماننا، وأتاكم الله بدولتنا، فأنتم أسعد الناس بنا، واکرمهم علينا وقد زدناكم في اعطياتكم مائة درهم فأننا السفاح المبيح، والثائر المبير...".⁽¹⁾

وتكلم بعده داود بن علي عم السفاح فقال: "أما والله فما كان بينكم وبين رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) إلا علي وأمير المؤمنين هذا الذي خلفي ثم نزل"⁽²⁾.

لقد نسيت العهود والمواثيق. فمؤتمر الابواء، وأي مؤتمر!! عقده عصابة خطت سطورها بالغدر. فكان الابواء مجلس كُـلُّ بالفاظ إذا سمعت تحلو، وإذا ما اختبرت بان مر معناها. فما البيعة إلا سهم قاصد أجلت

(1) تاريخ الطبري، ج 6، ص 373 (أحداث سنة 132) / البداية والنهاية، ابن كثير، ج 10، ص

44 / 45 / تاريخ الاسلام الذهبي أحداث سنة 132، ص 337، مع تغير بسيط في الالفاظ.

(2) تاريخ الطبري، ج 6، ص 375، أحداث سنة 132 / مروج الذهب، ج 4، ص 100

تاريخ اليعقوبي، ج 2 ص 350 / البداية والنهاية، ج 10، ص 47

السياسة خفاياها. اين العهود التي في الابواء قد قطعت؟! فإن جهلها بنبي العباس فما نحن ننساها، وإن يطوها غدرهم فمكتون الصحائف تكشف عن طواياها!! لقد غير بنو العباس ببريق الأمانى والظنون الكوانب. غيروا عهداً، بعهد مثله. فلا فجر يبدو، ولا طول ليل ينقضي فكل على كل مدلهم الغياهب!!

خلافة أبي العباس (السفاح): (132-136 هـ)

هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب. ولد بالحميمة - من ناحية البلقاء - سنة 108 للهجرة ونشأ بها. أمه ريطة الحارثية⁽¹⁾. ومنهم من قال بولادته سنة 105 للهجرة بالشراة. يكنى أبي العباس ويقال له المرتضى والقائم. وكان أصغر سنأ من أخيه أبي جعفر المنصور⁽²⁾. بويع له بالخلافة بالكوفة سنة 132 للهجرة وانتقل إلى الأنبار فسكنها حتى مات بها سنة 136 للهجرة - مصابأ بالجدري - فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وعشرين يوماً⁽³⁾.

ها هو التاريخ يعيد نفسه، فنظرية الخلافة والحكم كانت الموجه الأول لدعوة بني العباس. الخلافة التي طالما خامرت قلوبهم، غدت أمانى وأحلام، كانت تارة تغدو وتارة تروح. رغبة الخلافة بدأت مع بني العباس منذ عهد النبوة، وقد روي عن أبي سعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

(1) تاريخ الخلفاء: السيوطي ص 256.

(2) تاريخ بغداد: ج 10 ص 49.

(3) مروج الذهب: المسعودي ج 4 ص 94.

"يخرج منا رجل في انقطاع من الزمن وظهور الفتن يسمى السفاح يكون عطاؤه المال حسياً"⁽¹⁾.

وبقي الوعد المنشود لسنين طوال، وبقيت الأمانى تمهد وتُعبد، تشق لها كوة في ذاك الظلام الرهيب؛ تستقي من حديث ابن عباس زخماً جديداً: "والله لو لم يبق في الدنيا إلا يوم لأزال الله بني أمية. ليكوننّ منا السفاح والمنصور والمهدي"⁽²⁾.

قال محمد بن جرير الطبري: كان بدء أمر بني العباس أن رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) فيما نُكر عنه أعلم العباس عمه أن الخلافة تؤول إلى ولده فلم يزل ولده يتوقعون ذلك⁽³⁾.

وجاء اليوم الموعود، وتمت البيعة، وضاق صدر الأمانى بسرّها تحت نشوة البيعة فأذاعت سرّها وغايتها في أول مناسبة وأول خطاب لأبي العباس في الكوفة: "... ورُدُّ علينا حقنا ليمُنّ بنا على الذين استضعفوا في الأرض، وختم بنا كما افتتح بنا..."

وابتدأ عهد السفاح، العهد الهائج المحموم. الدائر في همجية ذاهلة، يقوض أركان الناس في أعصار العراك المجنون.

لقد ابتدأ العهد برغبة جامحة في استئصال حكومة بني أمية المتمثلة حينها بالخليفة مروان بن محمد. فعبا له جيشاً كبيراً بقيادة عمه عبد الله بن

(1) تاريخ بغداد: ج 10 ص 50.

(2) المرجع السابق: ص 51.

(3) تاريخ الإسلام، الذهبي أحداث سنة 132 ص 335.

علي. وكانت وقعة رهيبة على ضفة نهر الزاب قرب مدينة الموصل وذلك سنة 132 للهجرة. انهزم فيها مروان، ومضى في هزيمته يلتجأ من بلد إلى آخر وكلها تغلق أبوابها في وجهه خوفاً من سيوف عبد الله بن علي الذي أمعن في ملاحقته. لقد أتى الموصل، ثم حران وكانت داره وكان مقامه بها، ثم فلسطين والأردن، ثم لحق مصر ونزل بوصير فداهمته كتائب صالح بن علي العباسي فقاتلها حتى قُتل. وذلك لثلاث بقين من ذي الحجة سنة 132 للهجرة⁽¹⁾.

ولما أتى أبو العباس برأس مروان ووضع بين يديه سجد فأطال السجود، ثم رفع رأسه وقال:

"الحمد لله الذي لم يُبق ثأري قبلك ولا قبل رهطك؛ الحمد لله الذي أظفرتني بك وأظهرني عليك.

ثم قال: ما أبالي متى طرقتني الموت، وقد قتلت بالحسين وبني أبيه من [بني] أمية مايتن^(*)، وأحرقت بشلو هشام بابن عمي زيد بن علي، وقتلت مروان بأخي إبراهيم. وتمثل:

لو يشربون دمي لم يُرو شاربهم ولا دماؤهم للغيط تُرويني⁽²⁾

وعلى أثر قتل مروان، دار سفك الدماء. لقد طارد أبو العباس الأمويين تحت كل حجر ومدبر، أمعن فيهم السيف غير تارك صغير في بيته، ولا كبير

(1) مروج الذهب: المسعودي، ج 4 ص 87.

(*) وفي شرح النهج القأ من بني أمية.

(2) مروج الذهب: المسعودي ج 4 ص 101.

في معتكفة. لقد كانت الخطوب الأهم تنزل ببني أمية دون هواده، وكانهم وردوا على ورد آجن وخم. فكان في البصرة سليمان بن علي، وفي مكة والمدينة داوود بن علي.

وفي دمشق نبشت القبور، ونبش قبر معاوية بن أبي سفيان فلم يجدوا فيه إلا خيطاً مثل الهباء، ولم يجدوا في قبر عبد الملك سوى جمجمة ونبشوا قبر يزيد بن معاوية فوجدوا فيه حطاماً كأنه الرماد. وأخرج جسد هشام بن عبد الملك فضرب بالسياط وصلب ثم أحرق وذر في الهواء⁽¹⁾.

ونكر أن عبد الله بن علي افتتح دمشق في عاشر رمضان ودام القتل فيها ثلاث ساعات قتل فيها خمسون ألفاً. ونكر ابن عساكر أن عبد الله استباح دمشق ثلاث ساعات لا يرفع عنهم السيف⁽²⁾.

أما خرسان فقد صفت لأبي مسلم صاحب الدعوة بعدما قتل ابن الكرمانى بنسيابور. فجلس في دست الملك وبويع وصلى وخطب للسفاح⁽³⁾.

أبو العباس السفاح والعلويون:

"قال أبو الفرج الأصبهاني: ولا أعلمه أنه قتل أحداً منهم"⁽⁴⁾.

ها هو عبد الله بن الحسن وقد وجد نفسه يسقط كما يسقط أحدنا على الذكرى بعنفها وبكل قوتها فراح إلى ذكرى مؤتمر الأبواء، ذكرى البيعة لبني

(1) الكامل في التاريخ: ابن الأثير، مجلد 3، ص 502.

(2) تاريخ الإسلام: الذهبي أحداث سنة 132 ص 339/338.

(3) المرجع السابق، ص 334.

(4) مقاتل الطالبين: أبي الفرج الأصبهاني، ص 118.

طالب، لابنه محمد المهدي. فإذا بلذات تلك البيعة تحركه؛ فراح يستعيد ما مرة ومرة أخرى، ولكن ليس لكبير بهجة منه، وإنما ضنا وحسرة. راح يستعيد الثورة بوهجها ولهيبها. لكم كانت رائعة؛ كانت شيئاً في السماء مثل كوكب يتلألأ. كوكب لا يمكن أن تمتد إليه الأيدي. كوكب ما لبث أن وقع في كفي السفاح فإذا هو مصباح هزيل.

لقد أصبح البون شاسعاً بين بداية الثورة ونهايتها التي صدمت العلويين؛ فبعد الله بن الحسن الذي عاش طويلاً طيف الأبواء، لم يكن ليتصور أبداً غدر بني عمومته بني العباس، بابنه محمد الذي دفع به الإعصار الهائج في حنايا السفاح والمنصور؛ أن يبقى شريداً، لاجئاً هو وأخوه إبراهيم؛ وقد بقيا مصدر قلق خفي للسفاح طالما عبّر عنه بتساؤلات وإيضاحات. فقد نكر أن العلويين وفدوا على أبي العباس يهنئونه بالخلافة، ولم يفد عليه محمد وإبراهيم أمراً أثار قلقه فسأل والدهما عبد الله قائلاً:

"ما خلفهما ومنعهما أن يفدا إلى أمير المؤمنين مع أهل بيتهما؟ فقال عبد الله:

ما كان تخلفهما لشيء يكرهه أمير المؤمنين"⁽¹⁾.

... وعن محمد بن الضحاك أن أبا العباس كتب إلى عبد الله بن

الحسن في تغيب ابنه:

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

(1) المرجع السابق، ص 118.

وقال عمر بن شبة؛ أنه كتب به إلى محمد فأجابه بالأبيات:

وكيف يريد ذاك وأنت منه
بمنزلة النياط من الفواد
وكيف يريد ذاك وأنت منه
وزندك حين يقدح من زناد
وكيف يريد ذاك وأنت منه
وأنت لهاشم راس وهاد⁽¹⁾

تلك الصدمة أفرغت ألوانها وأخرجت ملامحها بضع كلمات ترجمت على شفاه عبد الله بن الحسن. فلا بدع؛ فاللسان ترجمان القلب، والقلب خزانة مستحفظة للخواطر والأسرار.

... عن اسماعيل بن أبي عمرو: لما بنى أبو العباس بناءه بالأنبار الذي يدعى برصافة أبي العباس. قال لعبد الله بن الحسن: ادخل معي، فانظر. فدخل معه. فلما رآه قال: ألم تر حوشباً؟ ثم قطع. فقال له أبو العباس: انفذه. قال: يا أمير المؤمنين ما أردت إلا خيراً. فقال: والعظيم لا تريم أو تنفذه فقال:

ألم تر حوشباً أمسى يبني
بيوتاً نفعها لبني نفيلة
يؤمل أن يعمر ألف عام
وأمر الله بطرق كل ليلة

فاحتملها أبو العباس ولم يتلفه بها⁽²⁾.

مع أبي سلمى الخلال:

هو حفص بن سليمان الخلال الهمداني وأول من وقع عليه اسم الوزارة في دولة بني العباس؛ وكان في نفس أبي العباس منه شيء لأنه كان حاول

(1) مقاتل الطالبين: ص 120.

(2) المرجع السابق: ص 119.

رد الأمر عنهم إلى غيرهم. أبو سلمه هو ضحية علوية، ضحية ثقافة خاصة تضرها بني العباس، ثقافة تطبعها كل منهم لتجنيء مليئة بالإمتداد وبالهدم. الإمتداد في منحها الارتقائي البنائي والذي يعطيها دوام السلطة والحكم. أما ثقافة الهدم هي في قطع شريان الإتصال بكل ما له ارتباط بالثورة والدعوة. فالدعوة وقد وصلت إلى أقصى درجات الظفر وإلى أشد حالات التوهج، لم تعد بحاجة إلى من يناصرها. فالثقافة التي نشأ عليها أبو العباس، ارتباطها وثيق بمجرى نموي يحقق له أماله المنشودة، وأهدافه المعقودة. يمناه في ذلك سيف أبو مسلم الخرساني ويسراه أفكار بل رغبات أخيه المنصور (أبي جعفر).

كتب أبو مسلم إلى السفاح يشير عليه بقتل أبي سلمة قائلاً له: "قد أحل الله لك يا أمير المؤمنين دمه لأنه قد نكث وغير وبدل". فقال السفاح: "ما كنت لأفتح دولتي بقتل رجل من شيعتي، لا سيما مثل أبي سلمة وهو صاحب هذه الدعوة. وقد عرض نفسه وبذل مهجته وأنفق ماله وناصر إمامه وجاهد عدوه".

وكلمه أبو جعفر أخوه، وداوود بن علي عمه في ذلك. وقد كان أبو مسلم كتب إليهما يسألهما أن يشيرا على السفاح بقتله. فقال أبو العباس: ما كنت لأفسد كثير من إحسانه وعظيم بلائه وصالح أيامه بزلة كانت منه وهي خطرة من خطرات الشيطان وغفلة من غفلات الإنسان.

فقال له: فينبغي يا أمير المؤمنين أن تحترس منه فإننا لا نأمنه عليك. فقال: كلا فإنني لأمنه في ليلي ونهاري وسري وجهري ووحدي وجماعتي".

فلما اتصل هذا القول من أبي العباس بأبي مسلم أكبره وأعظمه، وخاف من ناحية أبي سلمة أن يقصده بالمكروه. فوجه جماعة من ثقات أصحابه في أعمال الحيلة في قتل أبي سلمة. وقد كان أبو العباس يأنس بأبي سلمة ويسمر عنده. وكان أبو سلمة فكهاً ممتعاً أديباً عالماً بالسياسة والتدبير. فيقال أن أبا سلمة انصرف ليلة من عند السفاح من مدينته بالأنبار، وليس معه أحد. فوثب عليه أصحاب مسلم فقتلوه. فلما اتصل خبره بالسفاح أنشأ يقول:

إلى النار فليذهب ومن كان مثله على أي شيء فاتنا منه نأسف⁽¹⁾

وقطع شريان الإتصال، واستلذ السفاح. فراح غير متحرج ولا متأنم ينشد ويترنم. وقد نسي أن أول قلامة نبتت في جناحه هي بأموال وجهاد أبي سلمة الخلال. ودماء العلويين فقد نكر أن شريك بن الشيخ المهري خرج بخراسان على أبي مسلم ببخارى ونقم عليه وقال: "ما على هذا اتبعنا آل محمد بن علي أن نسفك الدماء ونعمل بغير الحق وتبعه علي رأيه أكثر من ثلاثين ألفاً. فوجه إليه أبو مسلم زياد بن صالح فقاتله فقتله"⁽²⁾.

مع الإمام جعفر بن محمد (الصادق)(ع):

لم يسجل التاريخ موقفاً تصادمياً بين الامام الصادق(ع) وأبي العباس بالرغم من أن الامام الصادق(ع) كان صاحب ثورة، وإنما صاحب ثورة

(1) مروج الذهب: ج 4 ص 115.

(2) تاريخ الاسلام: الذهبي، أحداث 133، ص 345/ تاريخ الطبري، ج 6، ص 403
أحداث سنة 133

فكرية علمية فقهية انطلقت من جامعته العلمية، فالإمام الصادق (عليه السلام) لم تصدمه أفعال بني العباس كما صدمت باقي العلويين. فالصادق (عليه السلام) كان قد وعى فجر تلك الثورة التي كانت تشق طريقها صُعداً، وهي تبنى وتعلي على غير وعي منها في نياك البناء؛ بناء بني العباس. الإمام الصادق (عليه السلام) لم يأخذه ذلك الأزلي المتلاطم لعلمه المسبق أن الخلافة ستؤول إلى بني العباس. علمه اللدني المستقى من معين قدس الله، وكفى بمؤتمر الأبواء شهادة، والذي سبق بيعة بني العباس بعقود.

وذلك إنه لما تمت البيعة لمحمد بن عبد الله بن الحسن، أرسل إلى جعفر بن محمد عليه السلام فقال عند حضوره: لا تفعلوا فإن هذا الأمر لم يأت بعد إن كنت ترى - يعني عبد الله - أن ابنك هذا هو المهدي فليس به ولا هذا أوانه وإن كنت تريد أن تخرجه غضباً لله وليأمر بالمعروف وينهي عن المنكر فإننا والله لا ندعك وأنت شيخنا ونبأنا ابنك.

فغضب عبد الله وقال: علمت خلاف ما تقول والله ما أطلعك الله على غيبه ولكن يحملك على هذا الحسد لابني. فقال: والله ما ذاك يحملني ولكن هذا وأخوته وأبناؤكم دونكم. وضرب بيده على ظهر أبي العباس. ثم ضرب بيده على كتف عبد الله بن الحسن وقال:

إنها والله ما هي إليك ولا إلى إبنك ولكنها لهم. وإن إبنك لمقتولان. ثم نهض وتوكأ على يد عبد العزيز بن عمران الزمري. فقال: رأيت صاحب الرداء الأصفر - يعني أبا جعفر - ؟

قال: نعم.

قال: فأنا والله نجده يقتله.

قال له: عبد العزيز: أيقتل محمداً؟

قال: نعم.

قال: فقلت في نفسي: حسده ورب الكعبة.

قال: ثم والله ما خرجت من الدنيا حتى رأيته قتلها (1).

لم تأخذ الإمام الصادق (عليه السلام) كلمات أبي سلمة الخلال، كما مرّ معنا، كما لم تهزه كلمات أبي مسلم حين كتب له: "إني قد أظهرت الكلمة، ودعوت الناس عن موالة بني أمية إلى موالة أهل البيت، فإن رغبت فلا مزيد عليك".

فأجاب الإمام (عليه السلام): "ما أنت من رجالي ولا الزمان زمانني" (2).

على هامش سيرة السفاح:

ذكر عن السفاح إنه على بطشه وجبروته كان له مجالس أنس وطرب. قال الجاحظ: كان أبو العباس في أول أيامه يظهر للندماء ثم احتجب عنهم بعد سنة. أشار بذلك عليه أسيد بن عبد الله الخزاعي - كان من القائمين بالدعوة العباسية ومن رجالات أبي مسلم الخراساني. وكان على مقدمته عند دخوله مرو - وكان يطرب ويتهيج ويصيح من وراء الستارة: "أحسنتم! أعد

(1) مقاتل الطالبين: ص 141 - 142.

(2) الإمام موسى بن جعفر: القرشي، ص 351 ج 1.

هذا الصوت. فيعاد له مراراً كان لا يحضره نديم ولا مغن ولا مئة فينصرف
إلا بصلة أو كسوة. قلت أم كثرت. وكان لا يؤخر إحسان محسن لغد.
ويقول: العجب ممن يفرح إنساناً، فيستعجل السرور ويجعل ثواب من سره
تسويماً وعدة، ولم يكن هذا لعربي ولا عجمي قبله⁽¹⁾.

وقال الجاحظ: وكان أبو العباس السفاح يشرب عشية الثلاثاء وحدها⁽²⁾.

وفاة السفاح:

توفي السفاح إثر إصابته بمرض جذري⁽³⁾ هي حبة جذري أربت
السفاح. أخذت به إلى مهاوي الهلاك، حبة جذري أرجعته إلى التربة التي
منها نشأ، ما بال السفاح ادعى التملك زعم أنه على كل شيء وهو في حقيقة
أمره لا شيء، لقد أخرجته حبة جذري، حرمة النوم والهناء. هكذا شأن
من يخال نفسه أنه على كل شيء قدير؛ حقاً إن هذا لأمر نكبراً!

خلافة أبي جعفر المنصور : (136 - 158 هـ)

هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب،
ولد عام (95 للهجرة) بالحميمة. أمه أم ولد يقال لها سلامة، بربرية. بويع له
وهو بطريق مكة، أخذ له البيعة عمه عيسى بن علي. ثم مات ببئر ميمون
وهو محرم (عام 158 للهجرة). فدفن مكشوف الوجه. عُرف عنه البخل

(1) التاج: الجاحظ ص 33.

(2) المرجع السابق ص 152.

(3) تاريخ الخلفاء: السيوطي ص 258.

والحرص فلقب "أبا الدوانيق" لمحاسبته العمال والصناع على الدوانيق والحبات، قُتل في عهده خلق كثير حتى استقام أمره وهو الذي ضرب أبا حنيفة على القضاء ثم سجنه فمات بعد أيام⁽¹⁾.

كانت ولايته اثنتي وعشرين سنة إلا تسعة أيام، وكان المنصور على بخله وحرصه جواداً على مادحيه. فقد وصل ابن هرمة حين مدحه عشرة آلاف درهم. فقال لا نفع من هذه.

قال: ويحك: إنها كثيرة.

قال: إن أردت أن تهنتني فأبح لي الشراب فإني مغرم به.

فقال: ويحك! هذا حدّ من حدود الله.

قال: احتل لي يا أمير المؤمنين.

قال: نعم. فكتب إلى والي المدينة. من أتاك بأبي هرمة سكران فاضربه

مائة واضرب ابن هرمة ثمانين.

فجعل الجواز (الشرطي) إذا مر بأبي هرمة سكران. قال: من يشتري

الثمانين بمائة⁽²⁾.

وأعطى الشاعر المؤمل بن أميل على أبيات امتدح بها ابنه المهدي

وكان هذا الأخير قد أمر له بعشرين ألف درهم، فاستكثرها المنصور فأعطاه

أربعة آلاف درهم⁽³⁾.

(1) تاريخ الخلفاء الميوطي ص 260/259.

(2) الأغاني: مجلد 4 ص 376.

(3) تاريخ الطبري مجلد 7 ص 58-57.

عهد أبي جعفر المنصور:

عاصر الإمام الكاظم (عليه السلام) خلافة أبو جعفر المنصور اثنا عشر سنة مع والده الإمام الصادق (عليه السلام)، وعشر سنوات بعدها من فترة إمامته عليه السلام. سنوات كانت تموج بالقهر والظلم، فإن كان عهد السفاح بحر من الدم بالويلات يلتطم؛ فعهد المنصور حادثات فيها الشر يحتدم. وإن كان السفاح أغضى الطرف عن قتل بني عمومته، فالمنصور بات منه بني طالب بخطوب الويل ترتطم.

سل التاريخ عن أدنى أفعاله ينبئك عنها أسياذ كان لهم في غمرات الخطب شمع وقدم. سل ديار بني طالب وقد أمست خاوية. فكل بنيتها بات في سجن المنصور يحتضر. سل منازل بدي الويل فياضاً بساحتها، فغدت رسماً تبكي عليها حُزناً والدمع دم. ترى ما هيح المنصور حتى ثار ثورته؟؟ فراح يحطم الهامات دون رحمة ولا وجل!! أهو شرة أنكى ناره طمع في النفس محتكم!! فدعاه إلى موبقات كلها نقم!!...

المنصور وأبو مسلم الخرساني

لطالما ضاق المنصور ذرعاً، ولطالما نام كمداً وساماً. فأبو مسلم كانت له في دفائن صدر المنصور طوايا ونوايا. وها هي قد وجدت لها في رحبة الأيام فرجاً. فما أن تولى المنصور الخلافة حتى بدت حكاية الغدر وأسطورة اللثم تسمعها في كل أونة؛ وكل منها تجيء آثمة متحجرة، ليس فيها من المعنى إلا الانحلال. ومن الصورة إلا مادة جوفاء يحركها الغدر بلا تخرج ولا استحياء. وأولى حكاية؛ هي إعصار اكتتفه برق ورعد؛ وويل هائج يلقي

ولا يرتد. راح ضحيته أبو مسلم الذي كان في ناظري المنصور هول رصد، ومقلة مجنونة وزاد (الذعر الرابع).

قال المنصور يوماً لمسلم بن قتيبة: ما ترى في أمر مسلم؟ فقال: "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا" (الأنبياء 21 - 22). قال حسبك يا ابن قتيبة لقد أودعتها أذنًا واعية⁽¹⁾.

دوافع قتل أبي مسلم

حينما دخل المنصور دار الإمارة، وجد عيسى بن موسى ابن عمه قد بذر الخزائن فجدد له البيعة ومن بعده لعيسى. أما عمه عبد الله بن علي فإنه أبدى أن السفاح قال: من أنتدب لمروان الحمار فهو ولي عهدي من بعدي وعلى هذا خرجت. فقام عدة من القواد الخراسانية فشهدوا بذلك... فقال المنصور لأبي مسلم: إنما هو أنا وأنت. فسر نحو عبد الله. فسار أبو مسلم بسائر الجيش من الأنبار؛ وخشي عبد الله الخراسانية الذين معه لا تتصح، فقتل منهم بضعة عشر ألفاً⁽²⁾. أمر صاحب شرطته فقتلهم بخديعة. ثم نزل نصيبين وخندق على نفسه وأقبل أبو مسلم. وكان قتالاً عظيماً بينهما. انهزم فيه عبد الله فصار في نفر من خواصه إلى العراق (البصرة).

(1) مروج الذهب: ص 137 ج 4.

(2) ذكر الطبري سبعة عشر ألفاً (أحداث سنة 137، ص 423)

وظفر أبو مسلم بما كان في عسكر عبد الله وكتب إلى المنصور
بالنصر، فبعث إليه المنصور بمولى له يحصي ما حواه. فغضب عندها أبو
مسلم وتتمّر وقال إنما لأمير المؤمنين هذا الخمس.

فخاف المنصور غضب أبا مسلم وأن يذهب إلى خراسان. فكتب إليه
بولاية الشام ومصر. فلما أتاه الكتاب غضب وقال: يوليني مصر وأنا لي
خراسان وعزم على الشر.

وخرج المنصور إلى المدائن وكتب إلى أبي مسلم ليقدّم عليه. فرد عليه
"إنه لم يبق لأمير المؤمنين عدو وقد كنا نروي عن ملوك آل ساسان أن
أخوف ما يكون الوزراء إذا سكّنت الدهماء. فنحن نأفرون من قربك،
حريصون على الوفاء بعهدك ما وفيت فإن أرضاك ذاك فأنا أحسن عبيدك
وإن أبيت نقضت ما أبرمت من عهدك ضناً بنفسي. ثم سار يريد خراسان.
وأرسل المنصور إليه من يكلمه باللين وإن أبي فليقل له: قال (المنصور)
والله لو خضت البحر لخاضه ورائك ولو اقتحمت النار لاقتحمتها حتى
أنتك".

وسفرت السفراء بينهما؛ وأعطاه أبو جعفر أماناً مؤكداً فأقبل أبو مسلم.
فلما وصل المدائن تلقاه الأعيان. وكان في نية المنصور قتله، فانتدب عثمان
بن نهيك لقتله مع عدة آخرين وأمرهم أن يقوموا خلف السرير الذي كان
وراء أبي مسلم. وأمرهم أنه إذا عاتبه وظهر صوته أن لا يظهروا، فإذا
صفق بيد على يد فليظهروا وليضربوا عنقه.

وصفق المنصور فبدره عثمان بن نهيك فضربه ضربة خفيفة، لم تقطع إلا نجاد سيف أبي مسلم، وضربه شبيب بن واج فقطع رجله واعتورته السيوف فخلطت أجزاءه وأتوا عليه. والمنصور يصيح: "اضربوا! قطع الله أيديكم! وقد كان أبو مسلم عند أول ضربة أصابته قال:

"استبقني يا أمير المؤمنين لعدوك!

قال: لا أبقاني الله أبداً إن أبقيتك وأي عدو أعدى لي منك!

وكان قتله في شعبان من سنة ست وثلاثين ومائة⁽¹⁾ وذكر الطبري أنه لما قتل نبحوه وألقي في دجلة وكان ذلك سنة 137 للهجرة⁽²⁾.

فجرباً وأمضى من العجب، بعد وثبة المنصور وشدة صولته؛ وقد تاه عنه من مشى في ظلمة الخطب باسلاً، من كان سيفه له في حواشي كل داجية برق ورعد. فأبي مسلم قد مدّ جذور بني العباس في كل بقعة وصوب، وما ذكره أبو مسلم أصدق النطق.

كتب أبو مسلم إلى أبي جعفر: أما بعد فإني اتخذت رجلاً إماماً (أراد أخاه إبراهيم الإمام) ودليلاً على ما افترضه الله على خلقه؛ وكان في محلة العلم نازلاً، وفي قرابته من رسول الله قريباً، فاستجهلني بالقرآن فحرفه عن مواضعه، طمعاً في قليل قد تعافاه الله إلى خلقه، فكان كالذي نلني (أطمع) بغيرور وأمرني أن أجرد السيف، وأرفع الرحمة، ولا أقبل المعذرة، ولا أقبل

(1) تاريخ الاسلامي: الذهبي، أحداث سنة 137 (353-359) / تاريخ الطبري، أحداث سنة 137، ج6، ص416-430. / مروج الذهب، ج4، ص138-142.

(2) تاريخ الطبري، ص430.

لعثرة، ففعلت توطيداً لسلطانكم حتى عرفكم الله من جهلكم ثم استتقنني الله
للتوبة، فإن يعف عني فقدماً عرف به ونسب إليه، وإن يعاقبني فيما قدمت
بأي وما الله بظلام للعبيد»⁽¹⁾.

وبعد قتل أبو مسلم خطب المنصور: "يا أيها الناس لا تخرجوا من أنس
الطاعة إلى وحشة المعصية، ولا تسروا غش الأئمة.... إنه من ينازعنا
عروة هذا القميص، أوطأناه ما في هذا الغمد. وإن أبا مسلم بايعنا وباع لنا
على أنه من نكث بيعتنا فقد أباح لنا دمه. ثم نكث بيعته هو، فحكنا عليه
لأنفسنا، حكمه على غيره لنا، ولم تمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحق
عليه"⁽²⁾.

المنصور وعمه عبد الله بن علي:

إثر المعركة التي دارت بين أبي مسلم وعبد الله بن علي وبعد إنهزام
عبد الله وتوجهه إلى البصرة بعدما كانت له يد الطولى في محاربة وهزم
مروان بن محمد، أعطى المنصور الأمان لعبد الله بن علي. ولما قدم عليه
هو وخاصته وأصحابه وذلك في العام 139 للهجرة أمر المنصور بحبسه
ومن معه وبقتل بعضهم بحضرته. وبعث البقية إلى أبي داود خالد بن
إبراهيم بخرسان فقتلهم بها. وقيل أن حبس أبي جعفر، عبد الله بن علي كان
في سنة أربعين للهجرة⁽³⁾.

(1) تاريخ الطبري: ص 424.

(2) مروج الذهب: المسعودي ج 4 ص 143.

(3) تاريخ الطبري أحداث سنة 139 ص 440 مجلد 6.

وفي العام (147 للهجرة) توجه المنصور إلى مكة حاجاً، دعا ولي عهده عيسى بن موسى (وكان قد قدم عليه المهدي). فدفع إليه عبد الله بن علي سراً في جوف الليل ثم قال: "يا عيسى، إن هذا أراد أن يزيل النعمة عني وعنك، وأنت ولي عهدي بعد المهدي، والخلصة صائرة إليك. فخذها فاضرب عنقه، وإياك أن تخور أو تضعف، فتنقض علي أمري الذي دبرت". ثم مضى لوجهه.

.. وكان عيسى حين دفعه إليه ستره، ودعا كاتبه يونس بن فروة يستشيريه فقال له: أراد أن يقتلك ويقتله، أمرك بقتله سراً، ثم يدعيه عليك علانية ثم يقيدك به... فالراي أن تستره في منزلك فلا تطلع على أمره أحداً، فإن طلبه منك علانية دفعته إليه علانية، ولا تدفعه إليه سراً أبداً ففعل ذلك عيسى.

وكان كما قال يونس، فدعى المنصور عيسى يطالبه عنه عبد الله وأنه أراد الصفع عنه وذلك أمام عمومته. فقال عيسى:

يا أمير المؤمنين ألم تأمرني بقتله فقتلته.

قال: ما أمرتك بقتله إنما أمرتك بحبسه في منزلك.

ثم قال لعمومته: إن هذا أقر لكم بقتل أخيكم وادعى أنني قد أمرته بذلك وقد كذب. قالوا: فادفعه إلينا نقتله به. قال شأنكم به، فأخرجوه إلى الرجم واجتمع الناس فقام أحدهم بشهر سيفه فقال عيسى: أفاعل أنت؟ قال أي والله

قال لا تعجلوا، ردوني إلى أمير المؤمنين وقال: إنما أردت بقتله أن تقتلني، هذا عمك حي سوي إن أمرتني بدفعه إليك دفعته... قال يدخل حتى أرى رأي ثم انصرفوا، ثم أمر به فجعل في بيت أساسه ملح وأجرى في أساسه الماء فسقط عليه فمات (1).

ونكر المسعودي أنه مات خنقاً وكانت معه جارية فخنقت ووضعته معه على الفراش وأدخلت يدها تحت جنبه ويده تحت جنبها كالمتعانقين ثم أمر بالبيت فهدم عليهما، ثم دعا المنصور ابن عُلالة القاضي وغيره فنظروا إلى عبد الله والجارية معه على تلك الحالة ثم أمر فدفن في مقبرة أبي سويد بباب الشام ببغداد في الجانب الغربي (2).

المنصور والعلويون:

إن شأن هذا التاريخ لعجيب! فيا ويح بني طالب كيف أمسوا بين أمس وغد، خدعة الآمال في برد الرجاء؛ فإن كان لهم مع بني أمية أعاصير فيها كل الفناء والموت. فما لهم مع المنصور زوابع راقصة؛ رقص البحر بين زجر ومد. لقد خطُ الصباح عليهم أخذوداً لظاه نيران حاصدة، وفي المساء رعب عاصف يلقى ولا يرتد.

عهد المنصور في الأبواء قد اندثرت؛ فكانت مقولة الحمق وقد شيبت ببهتان؛ فكان الأمر غدر بغدر يجتاز شر بركان. تا الله مع أصعب الغدر مع

(1) تاريخ الطبري: مجلد 7 ص 5 أحداث سنة 147.

(2) مروج الذهب: ج 4 ص 160.

الظلم؛ وكأني بهما ثعبان يحفز لثعبان! أو كنسر منقض على خملان! هكذا المنصور شاءها حملة جمعاء، فانتظمت على قتل وابداء كل من له في صدره من شنآن، فالمنصور ما برحت عينيه ساهرة ترصد في حذق وإتقان. فهيام الملك قد غشى جوارحه فما عادت غايته سوى هدم بهدم يحفزها وسواس شيطان.

قال المنصور الملوك أربعة: "معاوية وعبد الملك وهشام وأنا"⁽¹⁾.

المنصور وعبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب:

هي نازلة دهياء، دهماء نزلت بعبد الله بن الحسن، لقد أجمع المؤرخون أن المنصور كان أكبر همه أمر محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن. وقد أكثر المسألة عنهما. فدعا بني هاشم رجلاً رجلاً فسألهم في خلوة فكلهم يقول: يا أمير المؤمنين إنك قد عرفته يطلب هذا الشأن قبل هذا اليوم وهو يخافك على نفسه ولا يريد لك خلافاً ولا يحب لك معصية. إلا الحسن بن زيد فإنه أخبره خبره وقال: والله ما آمن وثوبه عليك، والله لا ينام عنك فرأيتك.

وسأل المنصور أبيهما عبد الله بن الحسن في العام الذي حج فيه. فأجابا عبد الله مقالة الهاشميين. فأخبره أنه غير راض أو يأتيه بهما⁽²⁾.

فيا عجباً كيف سطا الدهر بعبد الله، وقد كان قبلاً تارة يهاب وتارة يرجى. ها هو يقر على الأذى، صابراً على الأحوال والأرزاء، يابى على

(1) تاريخ الخلفاء: السيوطي، ص 263.

(2) مقاتل الطالبين: ص 143/تاريخ الطبري أحداث سنة 144 ص 453.

ابنيه سرأ أن يتضعضعا. فالأبي لا يرضى العيش إلا في قمم العُلا، أو الموت في ظل من النقع ساطع (النقع الغبار وأكثر ما يطلق على غبار الحرب).

.. عن محمد بن عبد الله قال: إن محمداً وإبراهيم كانا يأتیان أباهما في هيئة الأعراب فيستأذنا منه في الخروج فيقول: لا تعجلا حتى تملكا. ويقول: إن منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين فلا يمنعكما أن تموتا كريمين⁽¹⁾.

فكان من أمر المنصور استدعى عقبة بن سلم وقال له: إن بني عمنا هؤلاء قد أبوا إلا كيداً لملكانا ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم ويرسلون إليهم بصدقات والطف فأخرج بكسى والطف حتى تأتيهم متكرراً... وأشخص حتى تلقى عبد الله بن الحسن متخشعاً فإن جبهك وهو فاعل فاصبر وعاوده أبدأ حتى يانس بك فإذا ظهر لك ما قبله فاعجل علي. ففعل ذلك وفعل به حتى أنس عبد الله بناحيته فقال له عقبة: الجواب. فقال: لما الكتاب فإني لا أكتب إلى أحد ولكن أنت كتابي إليهم فاقراهم السلام وأخبرهم أن ابني خارج لوقت كذا وكذا. فشخص عقبة حتى قدم على أبي جعفر فأخبره الخبر.

ولما أخبر عقبة بن سلم أبا جعفر، أنشأ الحج وقال لعقبة: إذا صرت بمكان كذا وكذا لقييني بنو حسن، فيهم عبد الله، فأنا مبجله ورافع مجلسه وادعوا بالغداء. فإذا فرغنا من طعامنا فلحظتك فامثل بي يديه قائماً، فإنه

(1) مقاتل الطالبين: ص 151

سيصرف بصره عنك. فدر حتى تغمز ظهره بإيهام رجلك حتى يملأ عينه منك ثم حسبك، وإياك أن يراك ما دام يأكل. ففعل ذلك عقبة فلما رآه عبد الله وثب حتى جثا بين يدي أبي جعفر فقال: أقتني يا أمير المؤمنين أقالك الله. قال: لا أقالني الله إن لم أقتك. ثم أمر بحبسه في دار مروان وألقي تحته ثلاث حقائب من حقايب الإبل محشوة تبناً. وشخص أبو جعفر وعبد الله محبوس فأقام في الحبس ثلاث سنين⁽¹⁾..

ولم يزل بنو الحسن محبوسين عند رياح حتى حج أبو جعفر سنة 144 للهجرة، فلتقاه رياح بالربذة فرده إلى المدينة وأمره بأشخاص بني الحسن إليه وبأشخاص محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو أخو بني حسن لأهم جميعاً فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب وأتي ببني الحسن مغلولين معهم العثماني فأقعدوا فلم يلبثوا أن خرج رجل من عند أبي جعفر المنصور فقال:

أين محمد بن عبد الله العثماني؟ فقام فدخل فلم نلبث أن سمعنا واه السياط. فأخرج كأنه زنجي قد غيرت السياط لونه وأسالت دمه وأصاب سوا منها إحدى عينيه فسالت واقعد إلى جنب أخيه عبد الله بن الحسن. ثم خرج أبو جعفر فقال عبد الله بن الحسن: يا أبا جعفر والله ما هكذا فعلنا بأسرنا يوم بدر. فأخسأه أبو جعفر وتقل عليه ومضى ولم يعرج⁽²⁾..

(1) مقاتل الطالبين: ص 140-151/ راجع تاريخ الطبري: أحداث سنة 44 ص 453

(2) مقاتل الطالبين: ص 149.

مع موسى بن عبد الله:

لما صار بنو الحسن في الربذة أرسل أبا جعفر إلى عبد الله أن أرسل إلي أحدكم وأعلم أنه غير عائد إليك أبداً. فابتدره بنو أخيه يعرضون عليه أنفسهم فجزاهم خيراً فقال: أنا أكره أن أفجعهم بكم، ولكن اذهب أنت يا موسى. فذهب وهو يومئذ حديث السن فلما نظر إليه المنصور قال: لا أنعم الله بك عيناً، الشياطين يا غلام فضرب حتى غشي عليه. فرفعت الشياطين واستقر به منه فقال: أتدري ما هذا؟ هذا فيضن فاض مني فأفرغته عليك منه سجلاً ولم أستطع رده ومن ورائه والله الموت أو تفتدي منه⁽¹⁾.

قدوم الأسرى ببغداد

وقدم بعبد الله بن الحسن وأهله مقيدتين. فحبسهم أبو جعفر في قصر لابن هبيرة في شرقي الكوفة لما يلي ببغداد. وكتب إلى أبي الأزهر يقول "انظر يا أبا الأزهر ما أمرتك به في أمر مذلة فأنفذه وعجله" ومذلة يعني به عبد الله بن الحسن بعد أن كان شيخ بني هاشم والمقدم بينهم وذا الكثير منهم فضلاً وعلماء كرماً - على ما نكره أبو الفرج - ونفذ أمر المنصور وهلك عبد الله بن الحسن مقتولاً⁽²⁾.

بنو طالب بين القتل والوآد (في سجن المنصور):

فتية وشيوخاً في سجن المنصور. هذا يموت قتلاً وذاك يموت خنقاً وذاك

(1) المرجع السابق، ص 151.

(2) مقاتل الطالبين ص 153

تدركه وهو رم وأد (الرم والوَاد بمعنى البالي والمقبور حياً). حسب المنصور ما لاقاه منه بني عمومته، فلا رحمة ولا تأسى، فالكل مقيد يعاني هول محنته، ينادي الثبور والويل من صنيع الإثم والكفران.

فها بنو طالب وقد سجنوا، وما ذنبهم إلا التآثم (التحرج من الإثم والكف عنه). سجنوا في محبس كثير الأذى، جم الشوائب مسقم. يطاف عليهم في كل حين بالسلاح المسمم. يطعموا الصئاب (شجر المر) هذا وإن طعموا. يسقوا الأذى والضرّ في شر معصم ولم ينقم عليهم سوى أنهم غضبوا على تراث لهم منتهب وها هو بين بني العباس مقتسم.

- ذكر المسعودي أن بني طالب كانوا يتوضون في مواضعهم حتى اشتدت عليهم الرائحة. فاحتال بعض مواليهم حتى أدخل إليهم شيئاً من الغالية فكانوا يدفعون بشمها تلك الروائح المنتنة. وكان الورم يبدو في أقدامهم فلا يزال يرتفع حتى يبلغ الفؤاد فيموتون.

- وذكر أنه في محبسهم أشكل عليهم أوقات الصلاة فجزوا القرآن خمسة أجزاء، فكانوا يصلون على فراغ كل واحد منهم من جزئه. وكان عدد من بقي منهم خمسة فمات إبراهيم (والأصح اسماعيل) بن الحسن فترك عندهم حتى جيف فضعف من ذلك داوود بن الحسن فمات⁽¹⁾.

- وذكر الطبري أن أبا جعفر نظر إلى محمد بن إبراهيم بن حسن فقال:
أنت الديباج الأصفر.

قال: نعم.

(1) مروج الذهب: ج 4 ص 151.

قال: أما والله لأقتلنك قتلة ما قتلها أحداً من أهل بيتك. ثم أمر بأسطوانة مبنية. ففرقت. ثم أدخل فيها فبنى عليه وهو حي⁽¹⁾.

- وعدّ أبو الفرج الذين قتلوا في حبس المنصور في الهاشمية وذلك في العام (145 للهجرة)، ثلاثة منهم والدتهم فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وجدتهم السيدة فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم: عبد الله مات قتلاً وأخويه الحسن وإبراهيم توفيا في محبس الهاشمية وهؤلاء الثلاثة من ولد الحسن بن الحسن لصلبه.

وعلي بن الحسن بن الحسن الذي أبي أن يفك حلقه يده أثناء الصلاة فسأل في ذلك فقال: لا والله لا أخلعه أبداً حتى أجمع أنا وأبو جعفر عند الله فيسأله لم قيدني .

أما محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أخاهم لأمه فاطمة بنت الحسين. ومن توفى في محبس الهاشمية أيضاً عبد الله بن الحسن بن الحسن والعباس بن الحسن بن الحسن، وإسماعيل بن إبراهيم بن الحسن وهو الذي كان بصبره مثل سبيكة الذهب كلما أوقد عليها النار ازدادت خلاصاً. فكان كلما اشتد عليه البلاء ازداد صبراً.

ومحمد بن إبراهيم المعروف بالديباج الأصفر، وعلي بن محمد بن عبد الله⁽²⁾.

(1) تاريخ الطبري أحداث سنة 144 ص 478.

(2) مقاتل الطالبين أيام أبي جعفر المنصور، ص 121 ← 139.

ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن (النفس الزكية):

بعد مقتل عبد الله بن الحسن وإخوته وجمع من أهله وعدته؛ ظهر ابنه محمد بن عبد الله في المدينة. وكان يدعى بالنفس الزكية لزهده ونسكه. وكان ذلك في العام (145 للهجرة). فبويع له في كثير من الأمصار، فقام له المنصور وانتدب له ولي عهده عيسى بن موسى لقتاله. فخرج في أربعة آلاف فارس وألفي راجل واتبعه محمد بن قحطبة في جيش كثيف. فقاتلوا محمداً حتى قتل⁽¹⁾.

وذكر أبو الفرج أن حميد بن قحطبة صاح بعد إصابة محمد: لا تقتلوه، فكفوا عنه حتى جاء حميد فاحتز رأسه⁽²⁾. ولما قتل عيسى بن موسى محمداً قبض أموال بني حسن كلها فأجاز ذلك أبو جعفر⁽³⁾.
ثورة ابراهيم بن عبد الله بن الحسن:

ظهر ابراهيم في البصرة وقد اتصل إليه خبر قتل أخيه محمد، فانضم إلى دعوته العديد من المسلمين وكان والي البصرة سفيان بن معاوية من المؤيدين له وكان على اتصال دائم معه. كما أجابه أهل فارس والأهواز وغيرها من الأمصار. وسار من البصرة في عساكر كثيرة. فسير إليها

(1) مروج الذهب ج 4 ص 145.

(2) مقاتل الطالبين: ص 182/تاريخ الطبري أحداث سنة 145 ص 521 مجلد 6.

(3) الطبري المرجع السابق ص 529.

المنصور عيسى بن موسى فحارب حتى قتل بالموضع المعروف
ببأخمرى⁽¹⁾. وذكر الطبري أنه قد حُزَّ رأسه وأتى به عيسى بن موسى فسجد
وبعث به إلى المنصور. وكان قتله لخمس ليال بقين من ذ القعدة سنة 145
هـ⁽²⁾.

ذكر أن المنصور قال يوماً لجلسائه بعد مقتل محمد وإبراهيم " تالله ما
رأيت رجلاً أنصح من الحجاج لبني مروان". فقام المسيب بن زهير الضبي
فقال: يا أمير المؤمنين ما سبقنا الحجاج بأمر تخلفنا عنه. والله ما خلق الله
على جديد الأرض خلقاً أعز علينا من نبينا. وقد أمرتنا بقتل أولاده فأطعناك،
وفعلنا ذلك. فهل نصحناك أم لا؟ فقال له المنصور: إجلس لا جلست⁽³⁾.

من مواقف المنصور مع العلويين:

- كان قد تفرق ولد محمد وإخوته في البلدان يدعون إلى إمامته. فكان ممن
توجه ابنه علي بن محمد إلى مصر فقتل بها، وسار ابنه عبد الله إلى خراسان
فهرب إلى السند فقتل هناك. وسار ابنه الحسن إلى اليمن فحبس ومات في
الحبس، وسار أخوه موسى إلى الجزيرة، ومضى أخوه يحيى إلى طبرستان،
ومضى أخوه إدريس بن عبد الله إلى المغرب ففسد المنصور من اغتاله
بالسم⁽⁴⁾.

(1) مروج الذهب ص 148 ج 4.

(2) مقاتل الطالبين ص 232/تاريخ الطبري مجلد 6 ص 546 ← 569 أحداث سنة 145 هـ.

(3) مروج الذهب: ج 4 ص 150.

(4) مروج الذهب ج 4 ص 147.

- كان أبو جعفر إذا اتهم أحداً من أهل الكوفة بالميل إلى إبراهيم أمر (أبي) سلماً بطلبه. فكان يمهل حتى إذا غسق الليل وهدأ الناس نصب سلماً على منزل الرجل فطرقه في بيته فيقتله ويأخذ خاتمه⁽¹⁾.

- لما عزم المنصور على الحج دعا ربيعة بنت العباس امرأة المهدي - وكان المهدي بالرّي قبل شخوص أبي جعفر - فأوصاها بما أراد، وعهد إليها، ودفع إليها مفاتيح الخزائن، وتقدم إليها وأحلفها ووكد الإيمان ألا تفتح بعض تلك الخزائن ولا تطلع عليها أحداً ولا المهدي إلا أن يصح عندها موته... فلما إنتهى إلى المهدي موت المنصور وولي الخلافة. فتح الباب ومعه ربيعة، فإذا أزج (بيت بينى طولاً) كبير فيه جماعة من قتلاء الطالبين، وأي أذانهم رقع فيها أنسابهم، وإذا فيهم أطفال ورجال وشباب ومشايخ عدة كثيرة. فلما رأى ذلك المهدي ارتاع لما رأى، وأمر فحفرت لهم حفيرة فدفنوا فيها وعمل عليهم دكان⁽²⁾.

- بعث المنصور في العام (140 للهجرة) على إمرة خراسان عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي فقبض على جماعة من الأمراء أتهمهم بالدعوة إلى ولد فاطمة (رض)⁽³⁾.

من مواقف المنصور مع الامام الصادق(ع)

- ... عن يوسف بن يعقوب قال: حدثنا جعفر بن محمد من فيه إلى أذني قال: لما قتل إبراهيم ابن عبد الله بن الحسن بياخمرى حسرنا عن المدينة،

(1) مقاتل الطالبين ص 213.

(2) تاريخ الطبري: مجلد 7 أحداث سنة 158 ص 84.

(3) تاريخ الإسلام: الذهبي، (أحداث سنة 140 ص 365).

ولم يترك فيها منا محتلم، حتى قدمنا الكوفة. فمكثنا فيها شهراً نتوقع فيها القتل. ثم خرج إلينا الربيع الحاجب فقال: أين هؤلاء العلوية؟ أدخلوا على أمير المؤمنين رجلين منكم من ذوي الحجر. قال: فدخلنا إليه أنا والحسن بن زيد. فلما صرت بين يديه قال لي: أنت الذي تعلم الغيب؟

قلت: لا يعلم الغيب إلا الله.

قال: أنت الذي يجبي إليك هذا الخراج؟

قلت: إليك يجبي - يا أمير المؤمنين - الخراج.

قال: أتدرون لم دعوتكم:

قلت: لا.

قال: أردت أن أهدم رباكم، وأروع قلوبكم، وأعقر نخلكم، وأترككم بالسراة، لا يقربكم أحد من أهل الحجاز، وأهل العراق، فإنهم لكم مفسدة.

فقلت: يا أمير المؤمنين إن سليمان أعطى فشكر، وأن أيوب ابتلى فصبر، وإن يوسف ظلم ففخر وأنت من ذلك النسل.

قال: فتبسم وقال: أعد علي. فأعدت. فقال: مثلك فليكن زعيم القوم، وقد عفوت عنكم، ووهبت لكم جرم أهل البصرة. حدثني الحديث الذي حدثتني عن أبيك، عن آبائه، عن رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم).

فحدثه أحاديث عن صلة الرحم وفي كل حديث يقول ليس هذا إلى أن قال: حدثني أبي عن آبائه عن رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) أن ملكاً من الملوك في الأرض كان بقي من عمره ثلاث سنين، فوصل رحمه فجعلها الله ثلاثين سنة.

فقال: هذا الحديث أردت. أي البلاد أحب إليك؟ فوالله لأصلن رحي إليكم.
قلنا: المدينة، فسرحننا إلى المدينة، وكفى الله مؤنته⁽¹⁾.

كتب المنصور إلى الإمام الصادق (عليه السلام): لم لا تغشانا كما
يغشانا سائر الناس؟

فأجاب الإمام: "ما عندنا من الدنيا ما نخافك عليه، ولا عندك من الآخرة
ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنيك عليها، ولا تعدها نقمة فنعزيك
عليها فلم نغشاك؟"

فلما قرأ المنصور الكتاب أجاب: "إنك تصحبنا لتتصحنا".

فرد عليه الإمام (عليه السلام): "من أراد الدنيا فلا ينصحك، ومن أراد
الآخرة فلا يصحبك"⁽²⁾.

- اجتمع الإمام (عليه السلام) مع المنصور، فوقع على وجه المنصور بعض
الذباب فدفعه بيده فعاد إليه حتى ضجر منه فالتفت إلى الإمام قائلاً:
يا أبا عبد الله، لم خلق الله الذباب فأجابه (عليه السلام): ليذل به
الجبابة⁽³⁾.

خلافة المهدي: (158 - 169 هـ):

هو أبو عبد الله محمد بن المنصور ولد بأبذج عام 127 للهجرة، أمه
موسى بنت منصور الحميرية، أخذ له البيعة بمكة الربيع مولاه سنة 58

(1) مقاتل الطالبين، ص 233.

(2) الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام): باقر شريف القرشي، ج 1، ص 414.

(3) المرجع السابق، ص 414.

للهجرة؛ ثم بويع له بيعة عامة. توفي في قرية رثين بماسبذان سنة 169 للهجرة. فكانت خلافته عشر سنين وشهراً وخمسة عشر يوماً.. قيل أنه مات مسموماً في قطائف أكلها⁽¹⁾.

ونكر السيوطي سبب وفاته إنه ساق خلف صيد فاقتحم الصيد خربة، وتبعه الفرس فدق ظهره في بابها فمات لوقته؛ كما ذكر أنه مات مسموماً. وهو أول من أمر بتصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة والملحدين، وتتبع الزنادقة وأفنى منهم خلقاً كثيراً. ولما شب أمره والده المنصور على طبرستان وما والاها. وهو أول من حمل له الثلج إلى مكة ولم يتها ذلك لملك قط. وقد أمر بالزيادة في المسجد الحرام، ووسع المسجد النبوي⁽²⁾.

استحوذت زوجته الخيزران على شعوره وسيطرت على إرادته وضعفه هذا خلقة فيه وطبع جبل عليه⁽³⁾. أغدق على الخيزران بدون حساب اشترى لها القرى والبساتين وقد تضخمت ممتلكاتها وبلغ ربعها ما يقارب من خمس واردات الدولة وقيل أكثر من ذلك⁽⁴⁾. وذكر الطبري: وكانت الخيزران تسلك به مسلك أبيه من قبله في الاستبداد بالأمر والنهي⁽⁵⁾.

وقد أمر بعدما تولى الخلافة ، باطلاق من كان في سجن المنصور إلا

(1) مروج الذهب ج 4 ص 165.

(2) تاريخ للخلفاء السيوطي: ص 271-273 / تاريخ الطبري: مجلد 7، ص: 136 أحدث سنة 169.

(3) هارون الرشيد: عبد الجبار الجومرد ص 68.

(4) المرجع السابق ص 150/راجع تاريخ التمدن الإسلامي ج 2 ص 35.

(5) تاريخ الطبري مجلد 7 ص 167.

من كان قبله تباعة من دم أو قتل. ومن كان معروفاً بالسعي في الأرض بالفساد وكان ممن أطلق يعقوب بن داوود مولى بني سليم⁽¹⁾ - والذي لم يزل أمره يرتفع عند المهدي حتى استوزه وفوض إليه أمر الخلافة فأرسل إلى الزيدية فأتى بهم من كل صوب وولاهم في أمور الخلافة في المشرق والغرب كل جليل وعمل نفيس. والدنيا كلها كانت في يديه، وبعدها نقم عليه المهدي بسبب الوشائيات، حبسه فبقي محبوساً أيام المهدي والهادي وأخرجه الرشيد⁽²⁾ كما رد على أهل بيته وغيرهم قطائعهم التي كانت مقبوضة عنهم⁽³⁾.

كما رد آل زياد إلى نسبهم المعروف ألحقهم بأبيهم عبيد وأمهم سمية⁽⁴⁾.

من سيرة المهدي: الخلافة بين الألوان والظلال:

نكر الجاحظ ميل المهدي إلى الملذات والشراب "كان المهدي في أول أمره يحتجب عن الندماء تشبهاً بالمنصور نحواً من سنة.

ثم ظهر لهم. فأشار عليه أبو عون (عبد الملك بن يزيد الخراساني الأزدي كان من أهل الرأي ومن وجوه الشيعة القائمين بالدعوة العباسية) بأن يحتجب عنهم فقال:

إليك عني يا جاهل إنما اللذة في مشاهدة السرور وفي الذنو ممن سرني

(1) الطبري، مجلد 7، ص 94.

(2) للمرجع السابق ص 130.

(3) المرجع السابق ص 108.

(4) للمرجع السابق ص 106 / الكامل في التاريخ، ابن الأثير، مجلد 3، ص 642

لما من وراء وراء فما خيرها ولذتها. وكان كثير العطايا، يواترها، قل من حضر إلا أغناه. وكان لين العريكة لذيد المنادمة...⁽¹⁾ وكان المهدي والهادي يشربان يوماً ويدعان يوماً⁽²⁾.

فإن كان المنصور قد عف عن الجهر بمجالس اللهو والمنادمة، فالمهدي، يرويكَ التاريخ عنه أخباراً باتت حديث الألسن، يرويكَ مهدياً خليفة للمسلمين يخال من نشوة سكرته تياهاً وقد أطفاه شر شيطان. لقد زاده الثراء والترف زيادة جعله يحرز كل اللذائذ. لكم بسط المُحيا لأهل الغنى؛ يرى سؤده بينهم في نشر أزهار الندى (الكرم). فيغتدي بعد شموخ وعز، وبعد رفيع مستوى إلى شر مهوى. حتى يقول بشار بن برد:

ضاعت خلافتكم يا قوم فاطلبوا خليفة الله بين الدف والعود⁽³⁾

وحتى يقول:

خليفة يزني بعماته يلعب بالدبوق والصولجان⁽⁴⁾

لقد أثارت الخلافة لدى المهدي دنيا من الألوان والظلال؛ مست امتداداتها منطقة العقل فبلبت صفة الوعي، ازاحتته عن الرشد. وفي ذلك تطالعك روايات عن بشار بن برد هذا وقد غمرته أكف الجود والرفد. فعجباً حيناً يمدح، وحيناً يهجو.

(1) التاج: الجاحظ ص 34.

(2) المرجع السابق ص 153.

(3) تاريخ الطبري مجلد 7 ص 125.

(4) المرجع السابق ص 146/الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني مجلد 3 ص 238.

روى أبو الفرج: أن بشاراً مدح المهدي فلم يعطه شيئاً. فقيل له لم يستجد شعرك. فقال: والله لقد قلت شعراً لو قيل في الدهر لم يُخشَ صرفه على أحد. ولكننا نكذب في القول فنكذب في الأمل.

ومدحه وقد كان في بستان له في الرصافة:

... تَشْمُ نَعْلَاهُ فِي النَّدَى كَمَا يَشْمُ مَاءَ الرِّيحَانِ مَنْتَهَبَا

فأعطاه خمسة آلاف درهم وكساه وحمله على بغل وجعل له وفاده كل سنة ونهاه عن التشبيب البتة. فقدم عليه في السنة الثالثة فدخل. عليه ومما أنشده.

أخي في الهوى مالي أراك جفوتنا وقد كنت تقفونا على العسر واليسر
فأعطاه كل ما كان يعطيه قبل ذلك⁽¹⁾.

وروى ابن المغني دحمان أن أبيه رجع من عند المهدي وفي حاصله مائة ألف دينار. وأن المهدي أعطاه في ليلة واحدة خمسين ألف دينار وذلك أنه غنى في شعر الأحوص:

قَطُوفُ المَشْيِ إِذْ تَمَشِي تَرَى فِي مَشْيِهَا خَرْقَ
فأعجبه وطرب واستخفه السرور حتى قال لدحمان سلني ما شئت فقال
ضيعتان بالمدينة يقال لهما ريان وغالب فأقطعه إياها. وعند مراجعته أن
هاتين الضيعتين لا يملكهما إلا خليفة. فقال والله لا أرجع فيهما إلا بعد أن
يرضى فصولح عنهما على خمسين ألف دينار⁽²⁾.

(1) الأغاني مجلد 3 ص 210 ← 214.

(2) المرجع السابق مجلد 6 ص 23 - 24.

واستشهد المهدي حماد الراوية أحسن أبيات قيلت في السكر وأعطاه
عشر آلاف درهم وخلعتان من كسوة الشتاء والصيف⁽¹⁾.

مدح مروان بن أبي حفصة (أبا السمط) المهدي فلما بلغ إلى قوله:

هل تطمسون من السماء نجومها بأفكم أو تسترون هلالها
أو تجحدون مقالة ربكم جبريل بلغها النبي فقالها
شهدت من الأنفال آخر آية بترائهم فأردتم إبطالها

فزحف المهدي من صدر مصلاه حتى صار على البساط إعجاباً بما
سمع ثم قال: كم هي. قال: مائة بيت.

فأمر له بمائة ألف درهم. فكانت أول مائة ألف درهم أعطيها شاعر من
بني العباس⁽²⁾.

ودخل عليه مروان قصر السلام فأنشده

أحيا أمير المؤمنين محمد سنن النبي حرامها وحلالها

فقال له المهدي والله ما أعطيك إلا من صلب مالي. فاعذرني فأمر له
بثلاثين ألف درهم. وكساه جبّة ومطرفاً وفرض له على أهل بيته ثلاثين ألفاً
أخرى⁽³⁾.

ومدح ابن الخياط المهدي فأمر له بخمسين ألف درهم فقال:

أخذت بكفي كفه ابتغي الغنى ولم أدر أن الجود من كفه يعدي

(1) المرجع السابق ص 83.

(2) الأغاني: مجلد 10 ص 91.

(3) المرجع السابق ص 93.

فلا أنا منه ما أفاد ذور الغنى أفدت واعداني فاتفقت ما. عندي

فبلغ المهدي خبره فاضعف جائزته وأمر بحملها إليه إلى منزله⁽¹⁾.

وفي ذلك كان يعظه يعقوب بن داوود قائلاً: إنه ليس على هذا استوزنتي ولا على هذا صحبتك، أبعث الصلوات الخمس في المسجد الجامع، يُشرب عندك النبيذ وتسمع السماع.

وقال محمد بن عبد الله عن أبيه: كان أبي يعقوب بن داوود قد ألحَّ على المهدي في حَسْمِه عن السماع وإسقائه النبيذ حتى ضيق عليه. وكان يعقوب قد ضجر بموضعه فتأب إلى الله مما هو فيه، واستقبل وقدم النية في تركه موضعه. قال فكنت أقول للمهدي: يا أمير المؤمنين! والله لشربة خمر أشربها أتسوب إلى الله منها أصعب إليّ مما أنا فيه وأني لأركب اليك فأتمنى بدأ خاطئة تصيبني في الطريق فأعفني وولّ غيري من شئت⁽²⁾.

لقد انساب المهدي على الملذات والشهوات حتى تملكته منه فأصبح أسير الهوى، وإن كان يسير به إلى الهوى (الحفرة)؛ حسبي الله بخليفة مسلمين يحدثنا التاريخ كيف أنه أثر الراحة واللهو وقال حسبي مجد أبي قد زها حتى يقول بشار بن برد:

بني أمية هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داوود⁽³⁾.

(1) المرجع السابق مجلد 19 ص 273.

(2) تاريخ الطبري مجلد 7 ص 129.

(3) تاريخ الطبري ص 125 مجلد 7.

كرامة الخلافة إزاء الخطر والمنكر:

روايات على كثرتها توصلك إلى الخطر الكامن بازاء الخطر المنكر؛ وأنت تجد كرامة محل الخلافة وقداسة منزلتها تحطمت عند عتبة اللهو؛ فلا قداسة لمعتقد، ولا لإحكام شريعة كل مع الكل راح عن مورد الرشد:
- أمر المهدي أبي سعيد مولى فائد أن يغني له:

لقد طفت سبعا قلت لما قضيتها ألا ليت هذا لا علي ولا ليا(1).

قال ابراهيم بن المهدي: كنت بمكة فإذا شيخ قد طلع وقد قلب إحدى نعليه على الأخرى وقام يصلي فسألت عنه فقيل لي: هو أبو سعيد مولى فائد، فقلت لبعض غلمانه احصبه فحصبه.. وقام فجلس بين يدي فسألته أن يغني البيت:

أفاضى المدام قتلَى كدى وقتلى بكثوة لم تُرمس

فقلب إحدى نعليه وأخذ بعقب الأخرى وجعل يقرع بحرفها على الأخرى ويغنيه حتى أتى عليه(2).

- إلى رواية غياث بن ابراهيم الذي عرف هوى المهدي في الحمام فحدثه عن أبي هريرة أنه قال: لا سبق إلا في حافر أو نصل (وزاد فيه أو جناح):

فأمر له المهدي بعشرة آلاف درهم . ولما ولى قال لجلسائه: "اشهد أنه كذب على رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) ما قال رسول الله ذلك، ولكنه

(1) الأغاني، مجلد 4، ص 333.

(2) الأغاني مجلد 4 ص 338.

أراد أن يتقرب إلي (1).

- وكفى بالمهدي أنه أنجب للإسلام مُغنيين: قيل أنه لم يُر في جاهلية ولا إسلام أخ وأخت أحسن غناء من ابراهيم بن المهدي وأخته عليّة (2).
لقد برقع الثراء نور العقل عند المهدي، حتى خلت العطاءات وكأنها تهطل السماء. وكلها من بيت مال المسلمين ومن الخراج. ذكر المسعودي أن المهدي بسط يده في اعطاء الأموال فاذهب جميع ما خلفه والده، المنصور، وهو ستمائة ألف ألف درهم وأربعة عشر ألف ألف دينار، سوى ما جباه في أيامه (3). فقد جاء في وصية المنصور للمهدي: قد جمعت لك من الأموال ما إن كسر عليك الخراج عشر سنين كان عندك كفاية لأرزاق الجند والنفقات وعطاء الذرية ومصلحة الثغور فاحتفظ بها، فإنك لا تزال عزيزاً ما دام بيت مالك عامراً وما أظنك تفعل (4). ولما تفرغت بيوت الأموال دخل عليه أبو حارثة النهدي خازن بيوت أمواله، فرمى المفاتيح بين يديه، وقال: ما معنى مفاتيح لبيوت فرغ؟ ففرق المهدي خادماً في استحثاث الأموال، فوردت الأموال بعد أيام قلائل.

(1) تاريخ الخلفاء: السيوطي، ص 275.

(2) الأغاني: مجلد 10 ص 101.

(3) مروج الذهب: ج 4، ص 169.

(4) تاريخ الطبري: مجلد 7، ص 83-84.

وقيل إنه فرّق في عشرة أيام من صلب ماله عشرة آلاف درهم⁽¹⁾.
وقسم المهدي في مكة سنة 160هـ في أهلها مالا عظيماً وفي أهل المدينة
كذلك قيمته ثلاثين ألف ألف درهم حملت معه ووصلت إليه من مصر
ثلاثمائة ألف دينار ومن اليمن مائتا ألف دينار فقسم ذلك كله وفرق من الثياب
مائة ألف ثوب وخمسين ألف ثوب⁽²⁾.

وما يبهرك ويحيرك ذاك الإسراف على زواج ابنه هارون الرشيد من
زبيدة. أنفق عليه من أموال المسلمين خمسين ألف ألف درهم أقام الدعوة في
قصر الخلد. ألبست زبيدة خلال الحفل قميصاً كله من الدر الكبار لم يقف أحد
على قيمته لنفاسته، كما ألبست بدنة امرأة هشام بن عبد الملك (والبدنة ثوب
كله من الذهب) وزينت بالحلي حتى أنها لم تقدر على المشي لكثرة ما عليها
من الجواهر.

وجاءت نساء بني هاشم فكان يدفع لكل واحدة منهن ثوب وشي، وكيس
فيه دنانير وأنية مملأ بالفضة وكان الخدم يملون أواني الذهب بالدراهم
وأواني الفضة بالدنانير ثم يدفعون ذلك إلى وجوه الناس ويردّفونه بنوافخ
المسك وقطع العنبر...

ومن أسرافه شراؤه خاتماً بثلاثمائة ألف دينار⁽³⁾.

(1) مروج الذهب ج 4 ص 169-170.

(2) تاريخ الطبري ص 108 مجلد 7.

(3) حياة الإمام موسى بن جعفر: باقر شريف القرشي، ج 1 ص 439.

خلافة موسى الهادي: (169 - 170 هـ):

هو أبو محمد موسى الهادي بن المهدي بن المنصور، أمه أم ولد بربرية اسمها الخيزران. ولد بالري عام (147 للهجرة). بويع بالخلافة بعد أبيه عام (169 للهجرة)، بعهد من أبيه - أخته البيعة وهو ببلاد طبرستان وجرجان في حرب كانت هنالك. فركب البريد وقد أخذ له هارون البيعة⁽¹⁾ - فأقام في خلافته سنة وثلاثة أشهر.. وكان أبوه أوصاه بقتل الزنادقة فقتل منهم خلقاً كثيراً. وكان يسمى "موسى أطبق" لأن شفته العليا كانت تقلص. فكان أبوه وكُلُّ به في صغره خادماً، كلما رآه مفتوح الفم قال: موسى أطبق. فيفوق على نفسه ويضم شفثيه، فشهر بذلك.

وقال الذهبي: وكان يتناول المسكر، ويلعب ويركب حماراً فارهاً ولا يقيم أبهة الخلافة، وكان مع هذا فصيحاً قادراً على الكلام، أديباً تعلوه هبة وله سطوة وشهامة⁽²⁾.

ونكر المسعودي: كان موسى قاسي القلب شرس الأخلاق، صعب المرام، كثير الأدب محباً له، وكان شديداً شجاعاً بطلاً جواداً سخياً⁽³⁾.

وقال غيره: كان جباراً، وهو أول من مشى الرجال بين يديه بالسيوف المرهفة والأعمدة، فاتبعه عماله به في ذلك وكثر السلاح في عصره⁽⁴⁾.

(1) مروج الذهب: ج4، ص183.

(2) تاريخ الخلفاء: السيوطي ص 279.

(3) مروج الذهب: ص 183 ج 4.

(4) تاريخ الخلفاء ص 280.

وكان يقول "ما أصلح الملك بمثل تعجيل العقوبة للجاني والعفو عن الزلات القريبة ليقل الطمع في الملك"⁽¹⁾.

مات عام (170 للهجرة) بعيساباذ، واختلف في السبب الذي كانت به وفاته. فقال بعضهم أنها كانت من قرحة كانت في جوفه. إلى قائل أن أمه الخيزران قتلته على يد جوار لها⁽²⁾. وقد ذكر السيوطي؛ أن الخيزران سمته لما عزم على مقتل الرشيد ليعهد إلى ولده⁽³⁾.

الخلافة كلمة تائهة في سفر الهادي:

كلما إنبسطت أمامي سيرة خليفة جديد من بني العباس، تأخذني أمثال التعاجيب. تتولاني الغصة وأنا أرى خليفة المسلمين؛ عوضاً من أن يكون رائداً متبوعاً، يغدو مردوداً تابعاً. تتهرني الحسرة وأنا أتصفح نشوان لاهثاً في سكرته بدل من أن يكون حادي قافلته.

الغصة التي تنتابني ليس من أجل الهادي، بل من أجل الشريعة، الشريعة التي يمثل!! الشريعة التي جبلت تربتها بعرق النبوة الأقدس، سويت حجارته من فلذة قلبها. ها هي باتت منزوفة. وهنا عند مرمى الطرف تجد الخبر اليقين عن خليفة مسلمين أضاعه الزهو والثراء والترف، وقد أمست معه خلافة المسلمين كلمة تائهة في سفر أضاع الهادي قيمه.

حكى عن ابراهيم بن اسحاق الموصلي قال: كنا يوماً عند موسى الهادي

(1) تاريخ بغداد، مجلد 13 ص 25.

(2) تاريخ الطبري، مجلد 7، ص 166.

(3) تاريخ الخلفاء ص 280.

وعنده ابن جامع ومعاذ بن الطيب. فكان أول من دخل عليه معاذ وكان حاذقاً بالغناء عارفاً بقديمه. فقال من أطربني منكم اليوم فله حكمه. فغناه ابن جامع غناء فلم يحركه، وعرفت غرضه في الأغاني. فقال هات يا إبراهيم فغنيته:

سليمى أزمعت بيننا فأين لقاؤها أيناً؟

فطرب حتى قام من مجلسه، ورفع صوته وقال: أعد بالله. فأعدت.

فقال: هذا غرضي، فاحتكم!!

فقلت: يا أمير المؤمنين حائط عبد الملك بن مروان وعينه الخسارة بالمدينة. فقال: يا ابن اللخناء، أردت أن تسمع العامة أنك أطربتني وإني حكمتك، فأقطعتك. والله لولا بادرة جهلك التي غلبت على صحيح عقلك، لضربت الذي فيه عيناك. ثم أطرق.

قال إبراهيم، فرأيت ملك الموت بيني وبينه ينتظر أمره.

فقال لي الحاجب بم تأخذ؟ قلت مائة بدره. قال: دعني أوامره. فقلت خذ أنت ثلاثين وأعطني سبعين. فرضي بذلك. فأنصرفت بسبعمئة ألف درهم. وأنصرفت ملك الموت عن وجهي⁽¹⁾.

وذكر الرواية أبو الفرج الأصفهاني، مشيراً إلى أبيات ثلاثة وهي:

وإني لتعروني لذاكرك هزة كما انتفض العصفور بالله القطر
فيا حبُّها زدني جوى كل ليلة ويا سلوة الأيام موعداك الحشر
هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى وزرتك حتى قيل ليس له صبر

(1) تاريخ بغداد: ج 13 ص 26 ترجمة موسى الهادي / تاريخ الطبري مجلد 7،

وساق أبو الفرج نفس الرواية إلا أن الهادي أمر بأخذ يد ابراهيم وإخاله في بيت مال الخاصة. قائلاً: إن أخذ كل ما فيه فخله وإياه. فدخل فأخذ خمسين ألف دينار⁽¹⁾.

وفي رواية أنه لمات المهدي وملك موسى الهادي قال لجلسائه أما فيكم أحد يرسل إلي ابن جامع وقد علمتم موقعه مني. فقال له الفضل ابن الربيع. هو والله عندي يا أمير المؤمنين. وقد فعلت الذي أردت. وبُعث إليه فأتي به في الليل. فوصل الهادي الفضل تلك الليلة بعشرة آلاف دينار وولاه حجابته⁽²⁾.

وغنى ابن جامع موسى الهادي فأعطاه ثلاثين ألف دينار⁽³⁾. وابن جامع هذا القائل عن نفسه: "لولا أن القمار وحب الكلاب قد شغلاني لتركت المغنين لا يأكلون الخبز"⁽⁴⁾.

عش من دهرك ترى عجباً، وما الدهر إلا ما ترى من شؤونه!! فإن كان ما روينا، هو كل ما لدينا من كوى ونوافذ نطل منها على شخصية الهادي لكانت كافية بمنتهى الكفاية.

عطاء النشوات واللذازات:

لم تر العيون، ولا سمعت الأذان، ولا توهمت العقول اغداقاً في العطاء،

(1) الأغاني: مجلد 5 ص 168.

(2) الأغاني: مجلد 6 ص 283.

(3) الأغاني: مجلد 6 ص 286.

(4) الأغاني: مجلد 6 ص 277.

كإغداق بني العباس. عطاء فيضه في النشوات واللذازات. فهنيئاً لمن بادر الهادي ينشد ما يرضي غرائزه فينالُه الهناء والسعد، وينهلُ عليه غيث مشرع وورد

روي أن موسى الهادي كان شكس الأخلاق صعب المزاج من توقاه وعرف أخلاقه أعطاه ما أمّل. فكان لا يحتجب عن ندمائه ولا عن المغنين وكان يكثر جوائزهم وصلاتهم ويواترهما⁽¹⁾.

كان عيسى بن داب أكثر أهل الحجاز أدباً وأعذبهم ألفاظاً، وكان قد حظي عند الهادي حظوة لم تكن عنده لأحد. وكان يدعو بمتكأ، وما كان يفعل ذلك بأحدٍ غيره في مجلسه. وكان يقول ما استطلت بك يوماً ولا ليلة، ولا غبت عن عيني إلا تمنيت ألا أرى غيرك. وكان لذيذ المفاكهة، طيب المسامرة، كثير النادرة، جيد الشعر حسن الانتزاع له. فأمر له ذات ليلة بثلاثين ألف دينار⁽²⁾.

أنشد مروان بن أبي حفصة الهادي مديحاً إذا بلغ قوله:

تشابه يوماً بأسه ونواله فما أحد يدري لأيهما الفضلُ

فقال له الهادي: أيما أحب إليك ثلاثون ألفاً معجلة، أو مائة ألف تدور في الدواوين، قال: يا أمير المؤمنين أنت تحسن ما هو أحسن من هذا، ولكنه أنسيته أفتأذن لي أن أنكرك؟ قال: نعم! قال تُعجل الثلاثون الألف وتدور المائة الألف. قال: بل يعجلان لك جميعاً. فحمل ذلك إليه⁽³⁾.

(1) المرجع السابق مجلد 5، ص 168.

(2) تاريخ الطبري مجلد 7 ص 180.

(3) تاريخ بغداد: ج 13 ص 25.

وأشدد سلم الخاسر الهادي:

موسى المطر غيثٌ بكر
ثم انهمر ألوى المرر
كم اعتسر وكم قدر
ثم غفر عدل السير⁽¹⁾

وسلم الخاسر هذا قيل أنه كان لحاً (لاصق النسب)، قيل أنه باع مصحفاً له ورثه عن أبيه وكان لجدّه قبله، واشترى بثمنه طنبوراً. فشاع خبره وافتضح. فكان يقال: ويلك هل فعل حد ما فعلت؟؟ فقال: لم أجد شيئاً أتوسل به إلى ابليس هو أقر لعينه من هذا⁽²⁾.

الهادي والعلويون:

كلما تقلبت صفحات الهادي تهيج دفين صبابتي على آل بني طالب،
أبناء عمومته؛ لقد سقاهم كأس ضيم مترعة. "فوقعة فخ" وقعة هي خطوب
أدلهت، رؤوس قطعت، وقعة كم أحرق الهادي لبني طالب فيها أكباد.
وقعة فخ:

نكر اليعقوبي أن موسى الهادي ألحّ في طلب الطالبين، وأخافهم خوفاً
شديداً، وقطع ما كان المهدي يجريه لهم من الأرزاق والأعطية وكتب إلى
الأفاق في طلبهم وحملهم ولما اشتد خوفهم وكثر من يطلبهم ويحث عليهم،
عزم الشيعة وغيرهم إلى الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي

(1) تاريخ الخلفاء: السيوطي ص 281.

(2) الأغاني: مجلد 19 ص 216.

وبايعه خلق كثير. وكان ذلك يوم التروية، الثامن من ذي الحجة. عام 169 للهجرة^(*) - فلقبه سليمان بن أبي جعفر، والعباس بن محمد بن علي، وموسى ابن عيسى بفتح (على ستة أميال من مكة). فانهزم ومن كان معه، وقتل الحسين بن علي وجماعة من أهله⁽¹⁾.

وذكر المسعودي: أن القتلى أقاموا ثلاثة أيام لم يواروا حتى أكلتهم السباع والطير، وكان مع الحسين، سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي فأسر وضربت عنقه بمكة صبراً. وأخذ لعبد الله بن الحسن بن علي، وللحسين بن علي الأمان، فحبسا عند جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك وقتلا بعد ذلك⁽²⁾.

وذكر الطبري: بعد الواقعة دخل محمد بن سليمان مكة من طريق والعباس بن محمد من طريق واحتزت الرؤوس فكانت مائة ونيفاً، فيها رأس سليمان بن عبد الله بن حسن وذلك يوم التروية⁽³⁾.

وذكر أبو الفرج الأصفهاني: وحملة الأسرى إلى موسى الهادي وفيهم العذافر الصيرفي، وعلي بن سابق القلانسي، ورجل من ولد الحاجب بن زرارة. فأمر بهم فضربت أعناقهم.

ولما بلغ العمري وهو بالمدينة - استخلفه علي المدينة اسحاق بن عيسى ابن علي والي المدينة من قبل الهادي، ويعرف بعبد العزيز بن عبد الله فحمل

(*) مروج الذهب، ج 4، ص 185.

(1) تاريخ يعقوبي ج 2 ص 404.

(2) مروج الذهب: ج 4 ص 185.

(3) تاريخ الطبري مجلد 7 ص 160.

على الطالبين وأساء إليهم وأفرط عليهم وطالبهم بالعرض كل يوم وبعد قتل الحسين بن علي صاحب فخ عمد إلى داره ودور أهله فحرقها، وقبض أهوالهم، ونخلهم، فجعلها في الصوافي المقبوضة.

ولما جاء الجند بالرؤوس إلى موسى، والعباس وعندهم جماعة من ولد الحسن والحسين فلم يتكلم أحد منهم إلا موسى بن جعفر. فقال له: هذا رأس الحسين؟ قال "نعم إنا لله وإنا إليه راجعون، مضى والله مسلماً صالحاً صواماً أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ما كان في أهل بيته مثله". فلم يجيبوه بشيء (1).

تحدي ينتهي بتحطيم:

قديماً قيل: من لاعب الثعبان في كفه، هيهات أن يسلم من لسعته. على هذا حكاية الهادي وأمه الخيزران.

نكر أن الهادي كان كثير الطاعة لأمه الخيزران مجيباً لها فيما تسأل من الحوائج. وكانت المواكب لا تخلو من بابها.

فكلمته ذات يوم في أمر، فلم يجد إلى اجابتها فيه سبيلاً: فاعتل عليها بعلّة فقالت: "لا بد من إجابتي". قال: لا أفعل. قالت: وإني قد ضمننت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك.

فغضب الهادي وقال: "ويلي على ابن الفاعلة! قد علمت إنه صاحبها، والله لا قضيتها لك. قالت: إذا والله لا أسألك حاجة أبداً. قال: إذا والله لا أبالي.

(1) مقاتل الطالبين ص 302 - 303/ وذكر الطبري، مجلد 7، ص 62 موقف العمري من آل حسين صاحب فخ.

وَحَمِيٍّ، وَقَامَتْ وَهِيَ مَغْضِبَةٌ، فَقَالَ: "مَكَانَكَ! فَاسْتَوْعِبِي كَلَامِي وَاللَّهِ
وَالْأُمَّ، فَأَنَا نَفِيٌّ مِنْ قَرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، لَنْ
بُلِّغَنِي أَنَّهُ وَقَفَ بِيَابِكَ أَحَدٌ مِنْ قَوَادِي أَوْ مِنْ خَاصَّتِي أَوْ مِنْ خَدْمِي لِأَضْرِبَنَّ
عُنُقَهُ، وَلَا أَقْبِضَنَّ مَالَهُ! فَمَنْ شَاءَ فَيَلْزِمُ ذَلِكَ!

ما هذه المواقب التي تغدو إلى بابك كل يوم؟ أما لك مغزل يشغلك أو
مصحف يذكرك أو بيت يصونك؟ إياك ثم إياك أن تفتحي فاك في حاجة لمليٍّ
أو ذميٍّ.

فانصرفت وما تعقل ما تطأ، فلم تتطق عنده بحلو ولا مر بعدها⁽¹⁾.
ونكر الطبري: أن الهادي بعث إلى أمه الخيزران بأرزة وقال: استطببتها
فأكلت منها. فكلي منها. فقالت خالصة: إمسكي حتى تنظري، فإني أخاف أن
يكون فيها شيء تكرهينه، فجاؤوا بكلب فأكل منها، فتساقط لحمه، فأرسل
إليها بعد ذلك: كيف رأيت الأرزة؟ فقالت: وجدتھا طيبة. فقال: لم تأكلي، ولو
أكلت لكنت قد استرحت منك، متى أفلح خليفة له أم⁽²⁾.

وذكر أن سبب موت الهادي كان أنه لما جدَّ في خلع هارون والبيعة
لابنه جعفر، وخافت الخيزران على هارون منه، دست إليه من جواربيها لما
مرض من قتلته بالغم والجلوس على وجهه⁽³⁾.

(1) تاريخ الطبري، مجلد 7، ص 167/ مروج الذهب، ج 4 ص 186

(2) المرجع السابق، ص 167.

(3) تاريخ الطبري مجلد 7 ص 168.

خلافة هارون الرشيد: (170 - 193 هـ)

هو هارون أبو جعفر بن المهدي محمد بن المنصور عبد الله بن محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس.

ولد بالري سنة 148 للهجرة، أمه أم ولد تسمى الخيزران، وهي أم موسى الهادي. وفيها يقول مروان بن أبي حفصة:

يا خيزران هناك ثم هناك أمسى يسوس العالمين ابنك

استخلف بعهد أبيه عند موت أخيه الهادي سنة 170 للهجرة، وهذه الليلة ولد فيها المأمون، ولم يكن في سائر الزمان ليلة مات فيها خليفة وولد خليفة إلا هذه الليلة. كان يكنى أبا موسى فتكنى بأبي جعفر⁽¹⁾.

ومات بطوس بقرية يقال لها سناباد سنة (193 للهجرة) فكانت ولايته ثلاث وعشرين سنة وستة أشهر. وولي الخلافة وهو ابن إحدى وعشرين سنة وشهرين⁽²⁾.

الخلافة بين هينمات الوجدان وحفيف الروح:

شد ما هالني وفي شيء غير قليل من الأسى، ثقافة العهد العباسي، وثقافة هارون الرشيد خاصة. وقد راح ينشرها، يبشر بها؛ ثقافة انتظمت على مجالس اللهو والنشوات، وقد مشت مع التاريخ يتبناها خلف عن سلف.

الروايات التي تصلنا بتاريخ الخلفاء العباسيين، وأطوار هذا التاريخ بما تفرّد فيه من الوان وتمييز من الطوابع. تطالعك بظاهرة أولية لذاك التفرّد

(1) تاريخ الخلفاء السيوطي، ص 283-284

(2) مروج الذهب، ج 4، ص 196

والامتياز. وهو الثراء ووفرة مظاهره وأثاره المتنوعة وارتساماته المختلفة. هذه الثقافة كانت لها بادية مع استهلال بيعة هارون الرشيد، حيث اجتمعت التواريخ أن هارون الرشيد قلد يحيى بن خالد الوزارة وقال له:

قد قلدتك أمر الرعية، وأخرجته من عنقي إليك. فأحكم في ذلك بما ترى من الصواب، واستعمل من رأيت، واعزل من رأيت. والله في الأمور على ما ترى. ودفع إليه خاتمه. وفي ذلك يقول إبراهيم الموصلي:

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة فلما ولي هارون اشرق نورها
 بيمن أمين الله هارون ذي الندى فهارون والها يحيى وزيرها⁽¹⁾
 فأعطاء مائة ألف درهم، وأعطاء يحيى خمسين ألفاً⁽²⁾.

وذكر المسعودي: أنه لما أمضت الخلافة إلى الرشيد دعا يحيى بن خالد فقال له: يا أبت أنت أجلسنتني في هذا المجلس ببركتك، ويمنك، وحسن تدبيرك. وقد قلدتك الأمر ودفع إليه خاتمه⁽³⁾.

هذا إلى جانب حقيقة واضحة، والريب فيها هو الريب بالواقع، أن الخيزران - أم الرشيد - كانت هي الناظرة في الأمور وكان يحيى يعرض عليها ويصدر عن رأيها⁽⁴⁾.

هذا التنازل الطوعي عن الخلافة بالتزاماتها ومسؤولياتها، لا يدل على

(1) تاريخ الطبري، أحداث سنة سبعين، ص 190، مجلد 7.

(2) تاريخ الخلفاء السيوطي، ص 294.

(3) مروج الذهب، ج 4، ص 196.

(4) تاريخ الطبري مجلد 7 ص 190.

المركب النفسي ومتاهاته والقلق الكامن فيها؛ بمقدار ما يشير إلى قلق الفكر الذي صدر عنه هذا السلوك. سلوك تستنكره ليس لمكان الخطر فيه وهو أخطر ما يكون، وإنما لمكان الخطأ منه وهو أفظع ما يبشر به الأمة. إنه يبرز البرامكة، بإغداق ذاك الامتياز عليهم؛ والذي شكل قاعدة لافتراق جوهرى بين تطلعات وتوجهات الخلافة الإسلامية، وتوجهات البرامكة الذين جهدوا إلى بناء طائفة من النظريات على الخيال خاصتهم. وبهذا يكون الرشيد على وعي منه أو لا وعي قد قوَّض دعائم الخلافة. وكانت بداية تحليل اليافها وفقدان جدارتها. تبدت تبعات آثارها مع بداية عهد ابنه الأمين والمأمون.

حياة هارون أمان قلب وحنين حب:

هي الحياة مع هارون الرشيد أمان قلب وبرق خُلب.. ليله نشوة القيثارة في أوتاره، صبحه حنين الحب في تطريبه. يا مقر اللطف كيف انحدرت الخلافة إلى هذا الحد!! لقد بات مقر الخلافة مرتعاً لمغنين، لشعراء، لندماء. ترى كل منهم فيه يتيه مرحاً، سكرة الخمر بها ينتشي! والمحظي منهم في جمعهم يناله فيض عنه الرواء يعجز...!

طليعتهم هارون - قيل أنه رشيد - وقيل "أنه كان يصلي في اليوم مائة ركعة" الى أن فارق الدنيا (1). وقيل أنه كان قيثارة النشوى؛ إليها يتهاوى كل غناء ومادح. وقيل هارون يترامى من سكرة الخمر وماجنة تملأ الكأس، وذاك

(1) تاريخ بغداد، ج 14، ص 7 / تاريخ الخلفاء السيوطي، ص 284.

يغني الوتر وذاك يهدد نشوة الحلم...

نهايات المجالس بدايات لهم وكأنه لا ليل ولا صبح، إنما هي راح، لهو،
ووتر، وكوب نخب رائح، وكوب نخب غاد، حكايات لذائذ ومُتَع عنها
الحديث لا ينفد.

ذكر الجاحظ أن الرشيد كان يشرب في كل جمعة مرتين، وربما قدم
أيامه وأخرها⁽¹⁾. وعن إبراهيم الموصلي أنه كان دخل على ابني المهدي
موسى وهارون وشرب معهما وكانا مستهترين بالنبيذ⁽²⁾.

هكذا أمست الخلافة لذة وسكرة تنعقد، وفتنة فتانة تنتقل، أمست الخلافة
اسطورة ليلاتها دارت بها معازف تضطرد، شهوة مجنونة لها لسان ويد،
ومجانة لاعبة لها قلب الحياة موقد. فيا ويح الاسلام واهله بخليفة قيل أنه كان
يصلي كل ليلة مائة ركعة. بالله كيف كان يصليها؟؟ والروايات عن خلائته
ومجونه وعبئه تسرد؟؟

إنه يؤلمني، ويتجرح قلبي وأنا أسرد شخصية إسلامية، يفترض لها أن
تكون أطيب شذا، أن تكون قبله الحق، أن تكون للأمة، الأمة بأجمعها بلسم
وشهد، راحتها للفقير والبائس رقد ورغد. فليست الأمة تعيش في قصر
السلام، ولا في قصر الخلد، ولا مدينة عيساباذ، ولا الرصافة ولا.. ولا..
لينالها الرقد والسعد!!

(1) التاج، ص 153.

(2) الأغاني، مجلد 5، ص 147.

- بين سكرة الخمر ونشوة الحلم:

من السجن إلى مجلس الخليفة: غضب الرشيد على إبراهيم الموصلي وقيدته وحبسه. ثم جلس للشرب يوماً في مجلس قد زينه وحسنه. فقال لعيسى بن جعفر. هل لمجلسنا عيب؟ قال: نعم غيبة إبراهيم الموصلي عنه. فأمر بإحضاره في قيوده، ومكث بين يديه وأمرهم فناولوه عوداً وقال غني يا إبراهيم. فغناه:

تضوع مسكاً بطن نعمان إن مشت به زينب في نسوة خفرات

فاستعاده وشرب وطرب. وقال هنأنتي سأهنتك بوصلة. وقد وهبت لك الهنيء والمريء يريد أنه أقطعه ضيعتا الهنيء والمريء، (نهران بإزاء الرقة والرافقة حفرهما هشام بن عبد الملك وأحدث فيهما مدينة واسط الرقة). فانصرف فلما أصبح عوض منها مائتي ألف درهم⁽¹⁾.

وكان الرشيد مشغولاً بإبراهيم الموصلي يفتق عليه الأموال حتى أن حماد ابن اسحاق ابن إبراهيم الموصلي قال: قال لي أبي: نظرت إلى ما جاء إلى جدك من الأموال والغلات وثن ما باع من جواربه فوجدته أربعة وعشرين ألف ألف درهم، سوى ارزاقه الجارية، وهي عشرة آلاف في كل شهر. سوى غلات ضياعه وسوى الغلات النزرة التي لم يحفظها. والله ما رأيت أكمل مروءة منه، كانت له طعام معد في كل بيت⁽²⁾.

(1) الأغاني، مجلد 5، ص 152.

(2) الأغاني، مجلد 5، ص 149.

الرشيد يصل خمّاراً:

خرج الرشيد إلى الرقة ومعه إبراهيم ففقدته فلم يجده. فلما أحضر عليه أعلمه أنه كان عند خمّاراً حسن الوجه طيب العشرة. قدم له من الشراب ما هو أطيبه وأجوده. ولما ودعه قال إبراهيم فيه شعراً فغناه للرشيد. فوهب له مائة ألف درهم وأقطعته ضيعة. وبعث إلى الخمار فأحضر وأهدى إلى الرشيد من ذلك الشراب فوصله. ووهب له إبراهيم عشرة آلاف درهم⁽¹⁾.

وفي حوار بين الرشيد واسحاق ابن إبراهيم الموصلي على بيت لابراهيم غناه اسحاق. قال الرشيد: كاني في نفسك ذكرت حديث ابيك واني اعطيته الف دينار على هذا الصوت فطمعت في الجائزة.

فقال: سيدي قد أخذ أبي منك أكثر من مائتي ألف دينار، ما رأيتك ذكرت منها غير هذا الألف على بختي أنا.

فقال ويحك! أكثر من مائتي ألف دينار؟ قلت اي والله. فوجم وقال: استغفر الله إلى ذلك⁽²⁾.

ثلاثة أصوات بثلاثين ألف درهم:

غنى سليم بن سلام الكوفي بين يدي الرشيد ثلاث اصوات فأطربه فلم له بثلاثين ألف درهم⁽³⁾.

وغناه يحيى المكي:

(1) المرجع السابق، ص 162.

(2) المرجع السابق، ص 177.

(3) الأغاني: مجلد 6، ص 155.

متى تلتقي الألاف والعيسُ كلما تصعدن من وادِ هبطن إلى واد
فلم يزل يغنيه إياها ويتناول قدحاً إلى أن أمسى. فعُدَّ عشر مرات استعاد
ليها الصوت وشرب عشرة أقداح. ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وأمره
بالانصراف⁽¹⁾.

وغناه مرة صوتاً فأطربه فقال له: قم يا يحيى فخذ ما في ذلك البيت.
فظنه فرشاً أو ثياباً. فإذا به أكياس عين وورق فحملت بين يديه فكانت
خمسین ألف درهم مع قيمة العين⁽²⁾.

ابن جامع لا يُحدِّ:

سأل ابن جامع الرشيد أن يأذن له في المهارشة بالديوك والكلاب ولا
يحد في النبيذ. فأذن له وكتب بذلك كتاباً إلى العثماني⁽³⁾.

وغنى ابن جامع الرشيد - وكان مع زوجته أم جعفر في مجلس خاص
- أربعة أبيات فقالت أم جعفر لخادمها: ادفع إلى ابن جامع لكل بيت مائة
ألف درهم. فقال الرشيد غلبتنا يا بنت أبي الفضل وسبقتنا إلى بر ضيفنا
وجليسنا فلما خرج حمل إليها مكان كل درهم دينار⁽⁴⁾.

شارب في ليلة رمضان يجاز:

اعطى الرشيد المغني عبد الله بن العباس الربيعي عشرة آلاف دينار

(1) الأغاني: مجلد 6، ص 174.

(2) الأغاني: مجلد 6، ص 177.

(3) المرجع السابق، مجلد 6، ص 287.

(4) المرجع السابق، مجلد 6، ص 292.

وثلاثين ثوباً من فاخر ثيابه وعيبة مملوءة طيباً⁽¹⁾ وعبد الله هذا شرب في ليلة رمضان حتى الفجر وقال في ذلك وغنى:

اسقني صفراء صافية ليلة النيروز والأحد
اتفق حرم الصوم اصطباحتها فتزود شربها لغد
وكان قد اتفق يوم النيروز في شهر رمضان⁽²⁾.

حياة حاملة في ابلغ صحو (مع الشعراء):

هي الحياة مع هارون مقولة "الحياة غرور" تغريها كلمات مديح وجنت
سبيل لذتها في دنيا حقيقته النابضة بدنيا من الحيوانات والنشوات؛ فراحت
تحرك فيه ما وراء الوعي في وقع هينمات ودغدغات يتمتعها، يتذوقها وقد
بلغت فيه مبلغاً حركت عليه عمق احساس صاحبها في أعرق حلم، وحالما
في ابلغ صحو. وفي حلمها وصحوها هي سحاب كفين تجود، حتى خلت لئن
طوى الربيع ثيابه، فربيع جود الرشيد بات شاهداً ومشهوداً. وحسبت ديار
عين الحياة تتفرع عنها الروافد: هنا شاعر يغرف، وهناك آخر ينهل، وذلك
ثالث ينشد يا أيام الرشيد قاربي ولا تبتعدي!! وها نحن أمام شواهد من
شواهد لا تحصى تحمل إلينا الكثير، توقفنا على كوامن نفس الرشيد، ومن ثم
بلاط الرشيد، ترسم الصورة الحية لخطرات الانفعال، وخلجات الشعر
الهائجة في نشوة حب الثناء والمديح؛ وقد افتتن بهما لدرجة ما عاد يعطم
وزناً لمقدار العطاءات والهبات.

(1) الأغاني، مجلد 19، ص 169.

(2) المرجع السابق، ص 177.

مائة ألف درهم ولدينا مزيد:

دخل مروان بن أبي حفصة وسلم الخاسر ومنصور النميري على
الرشيد، فأنشد مروان قصيدته التي يقول فيها:
أنى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثه الأعمام
وأنشده سلم:

حضر الرحيل وشدت الأحداج؟

وأنشده النميري:

إن المكارم معروف وأودية أحلك الله منها حيث تجتمع
فأمر لكل واحد منهم بمائة ألف درهم، فقال له يحيى بن خالد: يا أمير
المؤمنين مروان شاعرك خاصة وقد الحققتهم به. قال فليزد مروان عشرة
الآن⁽¹⁾.

ذكر الطبري أن الرشيد كان يقتفي آثار المنصور إلا في بذل المال. فإنه
لم ير خليفة قبله كان أعطى مثله للمال، ثم المأمون من بعده. وكان يحب
الشعراء والشعر، ويميل إلى أهل الأدب والفقهاء وكان يحب المديح ويشترى به
بالتنم الغالي. وأن مروان بن أبي حفصة دخل عليه في سنة 181 للهجرة
فأنشده الذي يقول فيه:

وسدّت بهارون الثغور فأحكمت به من أمور المسلمين المرائر
...إذا فقد الناس الغمام تتابعث عليهم بكفيك الغيوم المواطر

(1) الأغاني: مجلد 13، ص 145.

... ليهنكم الملك الذي أصبحت بكم أسيرته مختالاً والمنابر
 أبوك ولي المصطفى دون هاشم وإن رغمت عن حاسدك المناخر
 فأعطاه خمسة آلاف دينار، فقبضها بين يديه وكساه خلعتة، وأمر له
 بعشرة من رقيق الروم وحمله على برذون من خاص مراكبه⁽¹⁾.
 وقال الاصمعي: قال لي الرشيد ما أغفلك عنا وأجفالك لنا! قلت والله يا
 أمير المؤمنين ما لاقتني بلاد بعدك حتى أتيتك، فسكت، فلما تفرق الناس قال:
 ما لاقتني؟ قلت:
 كفأك كف ما تليق درهماً جوداً، وأخرى تعطي بالسيف الدما
 فقال: أحسنت وهكذا فكن، وقرنا في الملا، وعلمنا في الخلا، وأمر له
 بخمسة آلاف دينار⁽²⁾.

وقال اسحاق الموصلي: دخلت على الرشيد فأنشدته:

وأمره بالبخل قلت لها: أقصري فذلك شيء ما إليه سبيل
 أرى الناس خلان الجواد، ولا أرى بخيلاً له في العالمين خليل
 ... وكيف اخاف الفقر أو أحرم الغنى ورأي أمير المؤمنين جميل
 فقال: لا كيف إن شاء الله، يا فضل اعطه مائة ألف درهم، لله در أبيات
 يأتينا بها! ما أجود أصولها، وأحسن فصولها: فقلت: يا أمير المؤمنين
 كلامك أحسن من شعري. فقال: يا فضل اعطه مائة ألف أخرى⁽³⁾.

(1) تاريخ الطبري: مجلد 7، ص 281 (نكر بعض سير الرشيد).

(2) تاريخ الخلفاء: السيوطي، ص 286/ تاريخ بغداد، ج 14، ص 10.

(3) تاريخ الخلفاء: السيوطي، ص 295/ تاريخ بغداد: ج 14، ص 11.

وقال سلم الخاسر في العهد للأمين:

قل للمنازل بالكئيب الأعفر أسقيت غاديه السحاب الممطر

قد بايع الثقلان مهدي الهدى لمحمد بن زبيدة بنة جعفر

فحشت زبيدة فاه جوهرأ، باعه بعشرين ألف دينار⁽¹⁾

وروي أنه وقف رجل من بني أمية للرشيد على الطريق، فأنشده أربعة

أبيات. فاستحسن ذلك الرشيد وأمر له لكل بيت بألف دينار. وقال: لو زدتنا
زدناك⁽²⁾.

وأنشده أشجع السلمي قصيدة التي يقول فيها:

ملك أبوه وأمه من نبعه منها سراج الأمة الوهاج

شربا بمكة في ذرا بطانحها ماء النبوة ليس فيه مزاج

فلما سمع هذين البيتين كاد يطير فرحاً ثم قال: يا أشجع لقد دخلت الي

وأنت أثقل الناس على قلبي، وأنت لتخرج من عندي وأنت أحب الناس الي.

فقال أشجع: ما الذي اكسبتني هذه المنزلة.

قال الرشيد: الغنى فاسأل ما بدالك.

قال: الف الف درهم. قال ادفعوا إليه⁽³⁾.

والجوارى هن حظ ونصيب:

فاق عدد الجوارى عند الرشيد على الألفين. كان لا يترك جارية حسناء

(1) المرجع السابق، ص 291.

(2) مروج الذهب، المسعودي، ج 4، ص 229.

(3) حياة الامام موسى بن جعفر: باقر شريف القرشي، ج 2، ص 39 نقلاً عن طبقات
الشعراء، ص 252.

تعرض للبيع أمامه فتعجبه إلا اشتراها. وليس فيهن من قيمتها أقل من عشرات الآلاف من الدراهم أو الدينانير⁽¹⁾.

وقد شهدت الروايات بأن إسراف الرشيد كان من بيت المال، بيت مال المسلمين الواجب شرعاً انفاقه على حقوق وحاجات الأمة.

ذكر أن الرشيد بعث بالحرشي إلى ناحية الموصل فجُبي له ما فيها مالا عظيماً من بقايا الخراج. فوافى باب به باب الرشيد. فأمر بصرف المال أجمع إلى بعض جواريه. فاستعظم الناس ذلك وتحدثوا به. فأخذ أبا العتاهية شبه الجنون فقال: سبحان الله!؟ أيدفع هذا المال الجليل إلى امرأة ولا تتعلق بغير شيء منه! ثم دخل إلى الرشيد بعد أيام فأنشده:

الله هوّن عندك الدنيا	وبغضها إليك
فأبيت إلا أن تُصغّر	كل شيء في يدك
ما هانت الدنيا على	أحد كما هانت عليك

فقال له الفضل بن الربيع: يا أمير المؤمنين ما مدحت الخلفاء بأصدق من هذا المدح فقال: يا فضل اعطه عشرين ألف درهم⁽²⁾.
وذكر ابراهيم الموصلّي أن الرشيد اشترى منه جارية بستة وثلاثين ألف دينار⁽³⁾.

(1) هارون الرشيد: عبد الجبار الجومري، ص 263 - 264.

(2) الأغاني: مجلد 4، ص 69.

(3) المرجع السابق: مجلد 5، ص 150.

هارون الرشيد والعلويون:

هي الحياة مع الرشيد، تطالعك فيها رشيداً قداماً على دنيوات ؛ لكنها دنيوات مشوبة على كل نحو؛ فهي للحب إذا أريت الحب، هي للجمال ساعة تريد الجمال، وهي للرغبات كيف شئت وأنى شئت. وهي فوق هذا تطالعك سيداً حشو برديه سيد (ذئب). ها هي عيناه؛ عين الغدر ساهرة، وإن غمضت فعلى دخن (الحقد)، فذكرى بني طالب أوهى جنونه؛ فذاك الشعور المستحجر تجاه بني طالب لم يفارقه، ورهبة الإمامة تقض مضاجعه، يتحسسها تحسس الأعمى، تحرك القناة المبهمة الهادرة في اعماقه، تأخذ به أخذ المد والجزر. يمتد على شهوة وقد باتت مرضاً لا بل جنوناً يمسح الإدراك لديه فيهدف هتافاً "الملك عقيم".

وينحسر عن لفظة مذعورة تشيع مثل إعصار مجنح لا يهدأ إلا عن لهبة شب لظاها وعلا سناها. هوذا عمل الطبيعة البشرية في بني العباس؛ شرارة ملتبهة وقيذة تملأ الكيان وتهز الأركان. والعجب الأعجب لطبيعة الرشيد هي في وداعتها تتور على حين فجأة، يضطرم لظى الغيظ في جوانحها، يحتدم أوار الغضب في نواحيها. فلا تسكن غائلتها إلا بعد أن تثير معاني الموت والدمار.

روي أن الرشيد كان في جلسة طرب وسمر وغناء فدخل عليه مسرور وكلمه كلمة. فاستشاط الرشيد غضباً واحمرت عيناه، وانتفخت أوداجه، ثم قال: حَتَّامَ اصبر على آل بني طالب والله لأقتلنهم ولأقتلن شيعتهم ولأفعلن

ولأفعلن⁽¹⁾.

ديار بني طالب تحكيك كم أصابت أهلها محن، محن سود قبائح كم
رماها الرشيد بخسف وكرب، فاجأهم بويل غير محتسب وطوقهم بضيم غير
مرتقب.

نكر الطبري: في العام 171 للهجرة أمر هارون بإخراج من كان في
مدينة السلام من الطالبين إلى مدينة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) خلا
العباس بن الحسن بن عبد الله بن علي بن أبي طالب. وكان أبوه الحسن بن
عبد الله فيمن أشخص⁽²⁾.

وكان الرشيد قد ولى المدينة بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن
عبد الله بن الزبير، وكان بكار شديد البغض لآل أبي طالب، وكان يبلغ
هارون عنهم، ويسيء أخبارهم. وكان الرشيد أمره بالتضييق عليهم⁽³⁾.

أمان تبعه غدر (مع يحيى بن عبد الله بن الحسن):

أول ظهور يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي
طالب بالديلم عام (176 للهجرة). واشتدت شوكته وقوي أمره، ونزع إليه
الناس من الأمصار والكور. فأغتم لذلك الرشيد ولم يكن في تلك الأيام يشرب
النبيد. فنذب إليه الفضل بن يحيى في خمسين ألف رجل، ومعه صنابير القواد،

(1) الأغاني: مجلد 5، ص 204.

(2) تاريخ الطبري، مجلد 7، ص 192.

(3) للمرجع السابق، ص 199.

وحملت معه الأموال، فكاتب الفضل، يحيى ورفق به واستماله وناشده وحذره، وأشار عليه وبسط أمله.

وكاتب أيضاً صاحب الديلم وجعل له الف الف درهم على أن يسهل له خروج يحيى. وأجابه يحيى إلى الصلح والخروج على يديه على أن يكتب له للرشيذ أماناً بخطه على نسخة يبعث بها إليه.

فسر بذلك الرشيذ وكتب أماناً ليحيى، أشهد عليه الفقهاء والقضاة وجُلّه من بني هاشم ومشايخهم ووجه به مع جوائز وكرامات وهدايا. فقدم يحيى مع الفضل إلى بغداد فلقبه الرشيذ بكل ما أحب وأمر له بمال كثير وأجرى له لرزاقاً سنوية وأنزله منزلاً سرياً بعد أن أقام في منزل يحيى بن خالد أياماً⁽¹⁾.

وذكر أبو الفرج: فلما قدم يحيى أجازته الرشيذ بجوائز سنوية قيل أن مبلغها مائتا ألف دينار وغير ذلك من الخلع والحملان، فأحكم على ذلك مدة وفي نفسه الحيلة على يحيى والتفرغ له، وطلب العلل عليه وعلى أصحابه. فلما تبين يحيى بن عبد الله ما يراد به استأذن في الحج فأذن له. وكان على الفضل عين للرشيذ قد ذكر ذلك له. فدعا بالفضل وقال: ما خبر يحيى بن عبد الله؟

قال: في موضعه عندي مقيم.

قال: وحياتي!

قال: وحياتك أني اطلقته، سألني برحمة رسول الله فرقت له. فلما خرج

أتبعه طرفه وقال: قتلني الله إن لم اقتلك. ثم أن نفرأ. من أهل الحجاز تحالفوا

(1) المرجع السابق، ص 197-198.

على السعاية يحيى بن عبد الله بن الحسن والشهادة عليه بأنه يدعو إلى نفسه، وأن أمانه منقضى. فوافق ذلك ما كان في نفس الرشيد له. وهم: عبد الله بن مصعب الزبيري، وأبو البخترى وهب ابن وهب، ورجل من بنى زهرة، ورجل من بنى مخزوم. فوافقوا الرشيد لذلك واحتالوا إلى أن أمكنهم ذكرهم له. فأشخصه الرشيد إليه وحبسه عند مسرور الكبير في سرداب.

ونكر أن الرشيد جمع الفقهاء وفيهم محمد بن الحسن صاحب أبي يوسف القاضي، والحسن بن زياد اللؤلؤي، وأبو البخترى وهب بن وهب. فجمعوا في مجلس وخرج إليهم مسرور الكبير بالأمان فبدأ محمد بن الحسن فنظر فيه فقال: هذا أمان مؤكد لا حيلة فيه.

فصاح عليه مسرور هاته، فدفعه إلى الحسن بن زياد اللؤلؤي فقال بصوت ضعيف: هو أمان.

واستلبه أبو البخترى وهب بن وهب فقال: هذا باطل منتقض، قد شق عصا الطاعة، وسفك الدم فاقتله ودمه في عنقي.

فدخل مسرور إلى الرشيد فقال له: اذهب فقل له: خرقه إن كان باطلا بيدك. فجاء مسرور فقال له ذلك. فقال: شقه يا أبا هاشم. قال مسرور: بل شقه أنت إن كان منتقضاً. فأخذ سكيناً وجعل يشقه ويده ترتعد حتى صيره سيوراً. فأدخله على الرشيد فوثب فأخذه من يده وهو فرح وهو يقول له: يا مبارك يا مبارك، ووهب لأبي البخترى ألف وستماية ألف. وولاه القضاء. وصرف الآخرين، ومنع محمد بن الحسن من الفيتا مدة طويلة واجمع على انقاده ما أراد في يحيى بن عبد الله.

واختلف في مقتله كيف كان: منهم من قال أن الرشيد أمر بإقلال الزاد والماء عليه إلى أن مات. إلى قائل أنه بني عليه اسطوانة بالرافعة. وقيل أنه نس له السم وقيل أنه دس إليه في الليل من خنقه حتى تلف⁽¹⁾.

وذكر المسعودي أن يحيى ألقى في بركة فيها سباع قد جوعت فأمسكت عن أكله ولانت بناحية وهابت الدنو منه، فبني عليه ركن بالحصى والحجر وهو حي⁽²⁾.

وكان يحيى بن عبد الله مقدماً في أهل بيته، أوصى إليه جعفر بن محمد، وإلى أم موسى فكان يلي أمر تركاته والأصاغر من ولده جارياً على أيديهم وروي أن جعفر بن محمد (عليه السلام) قد ربي يحيى بن عبد الله فكان يحيى يسميه حبيبي، وكان إذا حدث عنه قال: حدثني حبيبي جعفر. وجاء يحيى إلى مالك بن أنس بالمدينة فقام له عن مجلسه وأجلسه إلى جنبه وكان حسن الوجه تعرف سلالة الأنبياء في وجهه⁽³⁾.

القتل بات بلسماً وشهداً⁽⁴⁾.

ادريس بن عبد الله بن الحسن:

بعد وقعة فخ أفلت ادريس بن عبد الله. فذهب ينتقل من بلد إلى آخر حتى دخل بلد البربر في موضع يقال له فاس وطنجة، فأقام بها واستجابت له

(1) مقاتل الطالبين: ص 313 - 320.

(2) مروج الذهب، ج 4، ص 202.

(3) مقاتل الطالبين: ص 308.

(4) مقاتل الطالبين: ص 324-332.

البربر. فبلغ ذلك الرشيد فغمه. فشكا ذلك إلى يحيى بن خالد فقال: أنا أكفيك أمره. ودعا سليمان بن جرير الجزري وكان من متكلمي الزيدية البترية ومن أولى الرياسة فيهم. فأرغبه ووعدته عن الخليفة بكل ما أحب على أن يحتال لأدريس حتى يقتله، ودفع إليه غالية مسمومة.. فحمل ذلك سليمان وانصرف حتى وصل إلى أدريس وتقرب منه، إلى أن وجد فرصة فقال له: جعلت فداك هذه قارورة غالية حملتها إليك من العراق، فقبلها وشمها.. وانصرف سليمان إلى صاحبه وسقط أدريس مغشياً عليه من شدة السم.

عبد الله بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين:

حدث النوفلي عن أبيه: كان الرشيد مغرى بالمسألة عن أمر آل أبي طالب، وعن له ذكر ونباهة منهم، فسأل يوماً الفضل بن يحيى هل سمعت بخراسان ذكراً لأحد منهم؟

قال لا والله ولقد جهدت فما ذكر لي أحد منهم، إلا أنني سمعت رجلاً يقول وذكر موضعاً، فقال: ينزل فيه عبد الله بن الحسن بن علي. ولم يزد علي هذا.

فوجه الرشيد من وقته إلى المدينة، فأخذ وجيء به.. ثم دعا جعفر بن يحيى فأمره أن يحوله إليه ويوسع عليه في محبسه. فلما كان يوم غد، وهو يوم نيروز، قدمه جعفر بن يحيى فضرب عنقه وغسل رأسه وجعله في منديل واهداه إلى الرشيد مع هدايا.

محمد بن يحيى بن عبد الله بن الحسن:

سجنه بكار بن عبد الله الزبيرى عامل الرشيد فلم يزل في السجن حتى مات.

الحسين بن عبد الله بن اسماعيل:

أخذه بكار الزبيرى بالمدينة أيام ولايته إياها فضربه بالسوط ضرباً مبرحاً فمات من ذلك الضرب.

العباس بن محمد بن عبد الله:

دخل العباس بن محمد على هارون فكلمه كلاماً طويلاً. فقال هارون يا ابن الفاعلة!

قال: تلك أمك التي تواردتها النخاسون.

فأمر به فأدنى فضربه بالجرز (عمود من حديد) حتى قتله.

الفصل الرابع: الإمام الكاظم (عليه السلام) مع خلفاء عصره

- الامام الكاظم (ع) وأبو العباس السفاح
- الامام الكاظم (ع) وأبو جعفر المنصور
- الامام الكاظم (ع) والمهدي
- الامام الكاظم (ع) وموسى الهادي
- الامام الكاظم (ع) وهارون الرشيد
- اعتقال الامام الكاظم (ع) وسجنه
- أحوال الامام الكاظم (ع) في سجن البصرة
- أحوال الامام الكاظم (ع) في سجن الفضل بن الربيع
- أحوال الامام الكاظم (ع) في سجن الفضل بن يحيى
- أحوال الامام الكاظم (ع) في سجن السندي بن شاهك
- اغتيال الامام الكاظم (ع)
- السندي بن شاهك ومشاعر الذنب
- نعي الامام الكاظم (ع) نفسه وطي الأرض له (ع)
- الامام الرضا (ع) يغسل الامام الكاظم (ع) ويكفنه

الإمام موسى بن جعفر (ع) مع خلفاء عصره

الإمام الكاظم (ع) وأبو العباس السفاح:

كان الإمام الكاظم (ع) في عهد السفاح، في ذلك العهد الهائج، المحموم، الدائر في إعصار العراك المجنون؛ كان عليه السلام في طور الطفولة، طفولة كان لها مع براءتها عين الألباب، لقد سمع الإمام الكاظم (عليه السلام) ووعى في حسه المشرق معنى الإستلاب. معنى شهوة السلطة البانية مجدها على نرف الدماء. فكاني بطفولته عليه السلام دهرًا، كانت خلالها، رشاش أنامل الإمام الصادق (عليه السلام) ترفع له فيها شراعاً هنا، وشراعاً هناك. يرسى له الحق التي عجزت عن قلعه الجبال الراسيات. فكان عليه السلام كما أبوه قوة للحق، يعلو بها الحق. وكان سرّاً يترك الألباب معه حيرى تانهات.

الإمام الكاظم (ع) وأبو جعفر المنصور:

عهد كان بموج الظلم يلتطم. فلم يعد هناك شفاعة لرحم ولا قربى ولا أخوة في الإسلام؛ الكل ما استطاع دفع داجي المحن، وقد باتوا لياليهم تخطيط لهم الكفن. ألم يبلغك اليوم ما جرى؟؟ وقد أجرى المنصور شأبيب دموع الإمام الكاظم (عليه السلام) هواميا، على أبيه الصادق (عليه السلام) بعدما جرعه المنصور جرعةً فيها من حميم الجور، وسلطان الغيظ. لقد فرق المنصور شمل القربى، وقد أفرى العرا والأواخيا (جمع أخية وهي الحرمة والذمة) بمقتل الصادق (عليه السلام) السيد الأعلما.

هو المنصور، الحتف يهجم دوماً فوق قائم سيفه، إذا أبرق راع من حوله؛ وإن أرعد فالكل منه يرعد. قال الامام الصادق(ع) وعزت السلامة حتى لقد خفي مطلبها، فإن لم تكن في شيء فيوشك أن تكون في الخمول، فإن طلبت في الخمول فلم توجد فيوشك أن تكون في الصمت. والسعيد من وجد نفسه في خلوة يشتغل بها. (1). وعلى هذا باتت التقية باباً من أبواب انقضاء شره.

روى المسعودي: "أوصى الامام الصادق(ع) وصيته الظاهرة خوفاً على ابنه موسى وتقية، الى أربعة أولهم المنصور، والثاني عبد الله الأفتح ابنه، والثالث ابنته فاطمة، والرابع أبو الحسن موسى(ع).

وقام أبو الحسن موسى(ع) بأمر الله سرأً واتبعه المؤمنون وكان قيامه بالأمر في سنة (148 للهجرة)، وله عشرون سنة في ذلك الوقت، واتصل بالمنصور خبر وفاة أبي عبد الله (ع)، وسأل عن وصيته، فأخبر بوصيته اليه والى ثلاثة معه، وحملت اليه فوجد فيها اسمه مقدماً فأمسك. ولم يعرض لأبي الحسن الى أن مات المنصور في سنة (158 من الهجرة) في عشر سنين من إمامة أبي الحسن. (2).

وروى ابن شهر آشوب دعا أبو جعفر المنصور في جوف الليل أبا ايوب الخوزي، فلما أتاه رمى كتاباً إليه وهو يبكي وقال: هذا كتاب محمد بن

(1) حياة الامام موسى بن جعفر: القرشي، ج1، ص412.

(2) إثبات الوصية: ص207.

سليمان يخبرنا بأن جعفر بن محمد قد مات. إنا لله وإنا إليه راجعون، وأين مثل جعفر ثم قال له: اكتب إن كان أوصى إلى رجل بعينه فقدمه واضرب عنقه. فكتب وعاد الجواب: قد أوصى إلى خمسة أحدهم: أبو جعفر المنصور، ومحمد بن سليمان، وعبد الله، وموسى وحميدة. قال المنصور: ما إلى قتل هؤلاء سبيل⁽¹⁾.

تفويض المنصور للامام الكاظم(ع) يوم النيروز:

روي أن المنصور تقدم إلى موسى بن جعفر(ع) بالجلوس للتهنئة في يوم النيروز وقبض ما يحمل إليه، فقال(ع): "إني قد فتشت الأخبار عن جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلم أجد لهذا العيد خبراً، وإنه سنة الفرس ومحاهم الإسلام. ومعاذ الله أن تحي ما محاه الإسلام.

فقال المنصور: إنما نعمل هذا سياسة للجند فسألتك بالله العظيم إلا جلست. فجلس، ودخلت عليه الملوك والأمراء والأجناد يهنئونه ويحملون إليه الهدايا والتحف، وعلى رأسه خادم المنصور يحمل ما يُحمل.

فدخل في آخر الناس رجل شيخ كبير. فقال له: يا ابن بنت رسول الله، إنني رجل صعلوك، لا مال لي، اتحفك بثلاثة أبيات قالها جدي في جدك الحسين بن علي (ع) وأنشد الأبيات، فقال الكاظم(ع): قبلت هديتك، اجلس بارك الله فيك، ورفع رأسه إلى الخادم، امض إلى أمير المؤمنين، وعرفه بهذا المال وما يصنع به. فمضى الخادم وعاد يقول: كلها هبة مني يفعل به ما أراد.

(1) مناقب آل بني طالب، ج4، ص1183.

فقال موسى (ع) للشيخ: اقبض هذا المال فهو هبة مني لك. (1).

إخبار الامام الكاظم (ع) بدنو أجل المنصور:

ها هي ايام المنصور تتقضي بإخبارِ حنثِ عنه الامام الكاظم (ع)؛ فارتاح الخلق من خليفة مسلمين سقى الأمة من غساقه (ما يقطر من جلود جهنم من حديد وقيح) كُلُّ آجن؛ سقاهاهم بأيدي شداد شرها، أيديكم سطرت جوراً وظلماً وقهراً وحرماناً.

... عن علي بن حمزة قال: سمعت أبا الحسن موسى (ع) يقول: لا والله لا يرى أبو جعفر بيت الله أبداً. فقدمت الكوفة، فأخبرت اصحابنا فلم يلبث أن خرج، فلما بلغ الكوفة قال لي اصحابنا في ذلك فقلت: لا والله لا يرى بيت الله أبداً الى أن قال: فلما نزل بئر ميمون أتيت أبا الحسن (ع) فوجدته في المحراب قد سجد، فأطال السجود، ثم رفع رأسه فقال: اخرج فانظر ما يقول الناس. فخرجت فسمعت الواعية على أبي جعفر. فرجعت فأخبرته فقال: الله أكبر ما كان ليرى بيت الله أبداً. (2).

(1) المرجع السابق، ص 1182/ ويعلق باقر شريف القرشي على هذه الرواية أين قام الامام (ع) ممثلاً عن المنصور هل في يثرب أم في بغداد؟ فقد أهملت هذه الجهة مضافاً الى ما عرف به المنصور من البخل والشح: وهذا ما يوجب الريبة في الرواية (الامام موسى ابن جعفر، ج 1، ص 429)..

(2) اثبات الهداية، ج 5، ص 534/ الامام موسى بن جعفر: عبد الله البحراني ص 219/ دلائل الامامة: الطبري، ص 158 مع اختلاف في المراد..

الإمام الكاظم (ع) مع المهدي

الإمامة، الإمامة، كانت وما زالت عظمة نشبت في حلق بني العباس، فلا هي تبلع ولا هي تدفع. لقد كانت الإمامة في كل لحظة من لحظات الخفاء تولول بين جوانحهم، تحرك نوء الخيال، لديهم تغرق صاحبها في طوفانه. لقد غاب عهد السفاح، تبعه عهد المنصور بحقده وأوار لهيب غيظه، ليتأتى عهد المهدي الذي لم يشهدنا التاريخ صراعاً متواصلاً مع الامام الكاظم(ع) - كما كان من المنصور تجاه الإمام الصادق (عليه السلام) :-

لقد كانت الإمامة في نظر المهدي حيرة وخوف، حيرة بالغة الأسى، لا تفتأ تدور عنده بمثل حس الشوك اللاهب، تتوهج في خياله كأطراف رمح ساطع. والحيرة حين تتعد على الخوف لا تنقطع عنه ولا ينقطع عنها، حتى تتداعى على ذات نفسها وتتقطع خيوطها في شكل أزمة روح، وهكذا كانت مع المهدي أزمة اتخذت بادية تأمل، لكنه تأمل كان قصير القوادم.

كانت علاقة المهدي بالإمام الكاظم (عليه السلام)، علاقة نابعة من ذلك النوع من الخوف المنزوف كالمومياء. مومياء كل ما فيها إن لم يرعب، فإنها لا تروق لعين، ولا تستهوي اطمئناناً لفؤاد. لقد كانت علاقة مجفوة لا ترقى عن مادتها المنفصلة من حجر بليد قاس - فالولد سر أبيه - فالمهدي استلهم أباه المنصور في شؤونه ما عدا الحرص والبخل، استلهم العداء الدفين لبني طالب والعلويين عامة وللأئمة خاصة.

فلا بدع، أن تكون علاقة المهدي بالإمام الكاظم (عليه السلام) تتبدى على إنها علاقة صلة، لكنها صلة دون حب. علاقة رابطة، لكنها رابطة

كراهية لا ود. ومن ثم كان المهدي لا يميل إلى تلك العلاقة إلا عند ضرورة ملجئة، عندما يوانس من نفسه الضعف. أما في حين اعتداده كان يهب هبّ الريح الجديب وينبعث بقوة لينتهي بتحطيم. وما تطالعنا به الروايات على قلتها، تحمل الكثير، وترينا بوضوح مكان تلك العلاقة بين المهدي والكاظم (ع)

1- الخمرة شغل المهدي وحيرته

حج المهدي بيت الله الحرام، وبعد أدائه للمناسك قفل إلى زيارة قبر النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) وقد بذل أموالاً طائلة إلى المدينين. واجتمع به الإمام فلما استقر به المجلس وجه له المهدي سؤالاً:

- هل الخمرة محرمة في كتاب الله؟ فإن الناس إنما يعرفونها، ولا يعرفون التحريم.

- بل هي محرمة في كتاب الله.

- في أي موضع هي محرمة؟

- قول الله عز وجل {إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق} (الأعراف: 33). أما قوله {ما ظهر منها} يعني الزنا المعطن، ونصب الرايات التي كانت ترفعها الفواجر للفواحش في الجاهلية. وأما قوله {وما بطن} يعني ما نكح الآباء، لأن الناس قبل أن يبعث النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) إذا كان للرجل زوجة ومات عنها تزوجها من بعده ابنه إذا لم تكن له فحرم الله ذلك. وأما "الإثم" فإنها الخمرة بعينها وقد قال الله تبارك وتعالى في موضع آخر:

{يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس} (البقرة: 219)
لما الإثم في كتاب الله، فهو الخمر والميسر واثمهما كبير.

فالتفت المهدي إلى علي بن يقطين قائلاً له: هذه والله فتوى هاشمية.
فقال: صدقت والله يا أمير المؤمنين، الحمد لله الذي لم يخرج هذا العلم
منكم أهل البيت.

فقال: صدقت يا رافضي⁽¹⁾.

الحيرة عند توسعة المسجد الحرام

أمر المهدي بتوسعة المسجد الحرام مع الجامع النبوي وذلك سنة
161هـ، وقد امتنع أرباب الدور المجاورة من بيعها إلى الحكومة. فسأل
المهدي فقهاء العصر عن جواز إجبارهم على ذلك فقالوا له: لا ينبغي أن
تدخل شيئاً في المسجد غضباً. وكان بمجلسه علي بن يقطين فأشار عليه أن
يرفع استفتاءً إلى الإمام موسى (عليه السلام) فاستصوب رأيه. وكتب إلى
عامله على يثرب يأمره بأن يسأل الإمام عن ذلك، فلما انتهى الكتاب إليه
مضى إلى الإمام، وعرض عليه السؤال فكتب عليه السلام بعد البسمة: "إن
كانت الكعبة هي النازلة بالناس، فالناس أولى ببنائها، وإن كان الناس هم
النازلون بفناء الكعبة فالكعبة أولى بفنائها".

ولما انتهى الجواب إلى المهدي أمر بهدم الدور وإضافتها إلى ساحة
المسجد، ونزع أربابها إلى الإمام والتمسوا منه أن يكتب لهم رسالة إلى

(1) عوالم علوم المعارف: الإمام موسى بن جعفر، عبد الله البحراني، ص 225.

المهدي ليعوضهم عن ثمن دورهم، فأجابهم
وكتب إلى المهدي رسالة في ذلك. فلما وصلت إليه أوصلهم
وأرضاهم⁽¹⁾.

المهدي في اعتداده الجديب:

كتب المهدي إلى عامله على المدينة يأمره بإرسال الإمام إليه فوراً ولما
وصلت الرسالة إليه، توجه إلى الإمام وأخبره بذلك. فتجهز عليه السلام
للسفر من وقته. فسار (عليه السلام) حتى انتهى إلى زباله فاستقبله أبو خالد
بكآبة وحزن فنظر إليه الإمام نظرة رافة ورحمة وقال له: مالي أراك
منقبضاً؟

فقال: كيف لا أنقبض! وأنت سائر إلى هذا الطاغية ولا أمن عليك، فهذا
الإمام روعه وأخبره أنه لا ضير عليه في سفره هذا، وضرب له موعداً
يجتاز فيه عليه. ثم انصرف الإمام متوجهاً إلى بغداد. فلما وصل إليها أمر
المهدي باعتقاله وإيداعه في السجن.

ونام المهدي فرأى في منامه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
فخاطبه: يا محمد {هل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا
أرحامكم} (محمد: 22)

فقام المهدي من نومه فزعاً مرعوباً فاستدعى صاحبه الربيع وأمر
بإحضار الإمام موسى (ع) فلما أقبل إليه قام فعانقه وأجلسه إلى جانبه ثم قال

(1) الإمام موسى بن جعفر: القرشي، ج1، ص452.

له بعطف ولين:

"يا أبا الحسن، إنني رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقرأ علي - وأشار إلى الآية - أفتؤمنني أن لا تخرج علي أو علي أحد من ولدي؟ فقال عليه السلام: والله ما فعلت هذا. ولا هو من شأني.

صدقت، يا ربيع، أعطه ثلاثة آلاف دينار، وردّه إلى أهله إلى المدينة. فقام الربيع فشابعه واحكم أمره وسرحه في الليل. فما أصبح عليه الصبح إلا وهو في الطريق. وسارت قافلة الإمام تطوي البيداد حتى انتهت إلى "زباله" في اليوم الذي عينه لأبي خالد، وكان يترقب قدوم الإمام في ذلك الوقت بفارغ الصبر. فلما قدم عليه، بادر إليه وهو يلثم يديه وأطرافه والفرح باد عليه فأدرك الإمام سروره فقال له: "إن لهم إليّ عودة لا أتخلص منها⁽¹⁾.

وفي رواية ابن شهر آشوب أنه لما بويع محمد المهدي دعا حميد بن لحطبة نصف الليل وقال: إن إخلاص أبيك وأخيك فينا أظهر من الشمس، وحالك عندي موقوف. فقال أفديك بالمال والنفس. فقال: هذا لسائر الناس. قال: أفديك بالروح والمال والأهل والولد. فلم يجبه المهدي. فقال لله درك،

(1) بحار الأنوار: ج 48، ص 148 / حياة الامام موسى بن جعفر: باقر القرشي، ص 452 / تاريخ الطبري ص 142 مجلد 7 نكر الحديث بسياق آخر أن المهدي كان يصلي في ليلة مقمرة فقرأ الآية/ وفيات الاعيان: ابن خلكان، ج 5، ص 308 / اعلام الوري: الطبرسي، ص 305 روى قصته مع ابي خالد دون الاشارة الى منام المهدي/ الفصول المهمة: ص 229 / اثبات الوصية، ص 208 روى الموقف مع ابي خالد ضمن معجزات الامام (ع) دون تفصيل المنام/ تاريخ بغداد ج 13 ص 32 .

قالوا: نرى أن تتباعد عنه، وأن تغيب شخصك منه. فإنه لا يؤمن شره،
فتبسم أبو الحسن (عليه السلام) ثم قال:

زعمت سخينة^(*) أن ستغلب ربها وليغلبن مغالب الغلاب
ثم رفع عليه السلام يده إلى السماء فقال: "اللهم كم من عدو شحذ لي
ظبة مديته، وأرهف لي شبا حده، وداف لي قوائل سمومه، ولم تنم عني عين
حراسته. فلما رأيت ضعفي عن احتمال الفوادح، وعجزني عن ملومات
الحوائج، صرفت عني ذلك بحولك وقوتك، لا بحولي وقوتي. فألقيته في الحفير
الذي احتضره لي، خائباً مما أمله في دنياه، متباعداً مما رجاه في آخرته، فلك الحمد
على ذلك قدر استحقاقك.

سيدي اللهم فخذ به عزتك، وافلل حده عني بقدرتك، واجعل له شفاً
فيما يليه، وعجزاً عمّن يناويه.. اللهم وأعدني عليه عدوى حاضرة، تكون من
غيظي شفاء، ومن حقي عليه وفاء، وصل اللهم دعائي بالإجابة وانظم شكايي
بالتغيير، وعرفه عما قليل ما وعدت الظالمين، وعرفني [ما وعدت] في إجابة
المضطرين، إنك ذو الفضل العظيم والمن الكريم".

قال: ثم تفرق القوم. فما اجتمعوا إلا لقراءة الكتاب الوارد عليه بموت
موسى بن المهدي⁽¹⁾.

* سخينة: طعام يتخذ من الدقيق كانوا يأكلونها في شدة الدهر وغلاء السعر وعجف الملق
وكانت قريش تعير بها لأنها كانت تكثر من أكلها حتى سموا سخينة.

(1) الفصول المهمة، ص 233/ بحار الأنوار، ج 48، ص 151 مع اختلاف في سرد الروايات
عيون أخبار الرضا، ح 1، ص 77.

ونكر أن الإمام الكاظم (عليه السلام) كتب إلى الخيزران أم الهادي بعزيها بالهادي ابنها، ويهنتها بهارون ابنها⁽¹⁾.

الإمام الكاظم (ع) مع هارون الرشيد

عجباً يحدثك التاريخ؛ هارون رجل دين وتقوى، وهارون فتى طيش وهوى. فما الدهر إلا ما ترى من شؤونه!!

هنيهة معي نستقرأ رواية هارون مع الإمام الكاظم (عليه السلام)، هارون الطاغى على قلبه وعقله شهوة الملك، وسطوة الملك. وكل منها تمشي في أحشائه، تنزع عنه رقاده. فكان أن سل سيف القهر، أرفف حده، وما كان غمده إلا أحشاء الإمام الكاظم (عليه السلام).

هلمّي طيبة وخبري عن سادة قوم لهم في ديارك عز وشان. قوم لهم في ديارك منارة علم، وفينان روض (كثير الأشجار) بالورع والتقى ريان.

كاظم (ع) ترجم فصل الخطاب :

- روي أن هارون الرشيد حج فأتى قبر النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) زائراً وحوله قریش ورؤساء القبائل، ومعه موسى بن جعفر، فقال: السلام عليك يا رسول الله يا ابن عم؛ افتخاراً على من حوله.

فقال موسى السلام عليك يا أبت!

فتغير وجه هارون الرشيد وقال: هذا هو الفخر يا أبا الحسن حقاً⁽²⁾.

(1) الإمام موسى بن جعفر: عبد الله البحراني، ص 235.

(2) وفيات الأعيان: ابن خلكان، ج 5، ص 309/ أعلام الوري: الطبرسي، ص 307/ تاريخ بغداد، ج 13، ص 32/ الأئمة الاثنا عشر: ابن طولون، ص 90/ مرآة الجنان: اليافعي، ج 1، ص 394

وفي رواية ابن شهر آشوب أن هارون الرشيد تغير وجهه فأمر به فأخذ من المسجد⁽¹⁾.

وفي رواية الشبراوي أن الرشيد لم يحتملها فحمله إلى بغداد وحبسه إلى مات مسموماً سنة 183هـ⁽²⁾.

- روي أن الرشيد لما خرج إلى الحج وقرب من المدينة استقبله وجوه أهلها يقدمهم موسى بن جعفر (عليه السلام) على بغلة. فقال له الربيع ما هذه الدابة التي تلقيت عليها أمير المؤمنين وأنت إن طلبت عليها لم تدرك وإن طلبت لم تفت.

فقال (عليه السلام): إنها تطاطأت عن خيلاء الخيل، وارتفعت عن ذلّة البعير وخير الأمور أوسطها⁽³⁾.

هارون أمام الجماعة بالغلبة والقهر والكاظم (ع) إمام حق وعدل:

لما حج الرشيد سعى بالكاظم (ع) إليه وقيل أن الاموال تحمل إليه من كل جانب حتى انه اشترى ضيعة بثلاثين ألف دينار فاجتمع به الرشيد عد الكعبة وقال له: أنت الذي يبائعك الناس سرأ؟ قال: انا امام القلوب وأنت إمام الجسوم؟⁽⁴⁾.

(1) مناقب آل بني طالب، ج 4، ص 1183.

(2) الاتحاف بحب الاشراف: ص 150.

(3) اعلام الوري: ص 307/ مناقب آل بني طالب: ج 4، ص 1183. / بحار الأنوار ج 48، ص 154

(4) الاتحاف بحب الاشراف: الشبراوي، ص 150.

تعال معي هنيهة نستقرأ رواية حدثها المأمون ابن الرشيد في الحديث مرفوعاً إلى المأمون أنه قال:

"أتدرون من علمني التشيع؟ فقال القوم جميعاً: لا والله ما نعلم، قال: علمنيه الرشيد، قيل له: وكيف ذلك والرشيد كان يقتل أهل هذا البيت؟ قال: كان يقتلهم على الملك، لأن الملك عقيم ولقد حجبت معه سنة.

فلما صار إلى المدينة تقدم إلى حجابه وقال: لا يدخلن علي رجل من أهل المدينة ومكة من أهل المهاجرين والانصار وبني هاشم وسائر بطون قريش الانسب نفسه، وكان الرجل إذا دخل عليه قال: أنا فلان بن فلان حتى ينتهي إلى جده من هاشمي أو قرشي أو مهاجري أو أنصاري فيصله من المال بخمسة آلاف دينار وما دونها إلى مائتي دينار، على قدر شرفه وهجرة آبائه.

فأنا ذات يوم واقف إذ دخل الفضل بن الربيع فقال: يا أمير المؤمنين على الباب رجل يزعم أنه موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، فأقبل علينا ونحن قيام على راسه والاميين والمؤمنين وسائر القواد، فقال: احفظوا على أنفسكم ثم قال لأننه: ائذن له، ولا ينزل إلا على بساطي فأنا كذلك إذ دخل شيخ مسخد (الرجل المصفر الوجه) قد انهكته العبادة كأنه شن بال قد كلم من السجود وجهه وانفه، فلما رأى للرشيد رمى بنفسه عن حمار كان راكبه، فصاح الرشيد: لا والله إلا على بساطي، فمنعه الحجاب من الترجل ونظرنا إليه بأجمعنا بالاجلال والاعظام فما زال يسير على حماره حتى صار إلى البساط والحجاب والقواد محذقون

به فنزل فقام إليه الرشيد واستقبله إلى آخر البساط وقبل وجهه وعينيه وأخذ بيده حتى صيره في صدر المجلس وأجلسه معه فيه .

رواية نستشف منها كبير الدلالات عن البناء النفسي اللامتوازن للرشيد؛ فالرشيد وإن كان يرضيك ظاهره فتوقن بأن سماته شيم ونبيل؛ حتى يفاجئك بأنواع من المواربة والخداع والمكر، نستشف منها القلق المهيض للرشيد من الامام الكاظم(ع)، من مهابة الامام المزانة بهيبة النبوة؛ من مهابة هي من بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه. مهابة جعلت الرشيد يهب على غير وعي وعلى غير شعور منه أن ينزل عن راحلته وينزل الامام الكاظم(ع) في أحسن منازل الاعظام والاجلال والتكريم.

لا يخذعك خُلبٌ من بارق:

والحديث دائماً مرفوعاً الى المأمون في سياق الرواية عينها:

"وجعل يحدثه ويقبل بوجهه عليه ويسأله عن أحواله، ثم قال له: يا أبا الحسن ما عليك من العيال؟ فقال: يزيدون على الخمسةة قال: أولاد كلهم؟ قال: لا، أكثرهم موالي وحشم، أما الولد فلي نيف وثلاثون والذكرا ن منهم كذا والنسوان منهم كذا، قال: فلم لا تزوج النسوان من بني عمومتهم وأكفائهن؟ قال: اليد تقصر عن ذلك، قال فما حال الضيعة؟ قال: تعطي في وقت وتمني في آخر، قال: فهل عليك دين؟ قال: نعم، قال: كم؟ قال: نحو عشرة آلاف دينار، فقال الرشيد: يا بن عم أنا أعطيك من المال ما تزوج الذكرا ن والنسوان وتقضي الدين وتعمر الضياع، فقال له: وصلتك رحم يا بن عم

وشكر الله لك هذه النية الجميلة والرحم ماسة والقرابة واشجة والنسب واحد والعباس عم النبي "ص" وصنو أبيه وعم علي بن أبي طالب عليه السلام وصنو أبيه، وما أبعدك الله من أن تفعل ذلك وقد بسط يدك وأكرم عنصرك وأعلى محتدك فقال: أفعَل ذلك يا أبا الحسن وكرامة فقال: يا أمير المؤمنين أن الله عز وجل قد فرض على ولاية عهده أن ينعشو فقراء الأمة ويقضوا عن الغارمين ويؤدوا عن المتقل ويكسوا العاري ويحسنوا إلى العاني فأنت أولى من يفعل ذلك، فقال: أفعَل يا أبا الحسن".

رواية نستشف منها الأهداف المتباينة لكل من الرشيد والإمام الكاظم (ع)؛ في التطبيق العملي لنظرية الرسالة المحمدية في أبعادها الإنسانية والاجتماعية والسياسية. فالكاظم (ع) نزل الفقير المستغيث، المحسن إلى العاني، القاضي عن الغارم فكان عليه السلام عند الشدائد بسط الكف عادته، وفي المدلهمات غيث الظامي مآثره.

في حين الرشيد نزل النديم والمغني والشاعر، نزل أناس بنوا من أمجاد خيلاء جوده أمانى، أمانى كانت تغرف وهيئات لها أن تشبع....

إمام له في المعالي أكرم الصفحات:

ونحن في سياق رواية المأمون عينها نُخبر:

ثم قام، فقام الرشيد لقيامه وقبل عينيه ووجهه ثم أقبل علي وعلى الأمين والمؤمن، فقال: يا عبد الله ويا محمد ويا إبراهيم امشوا بين يدي عمكم وسيدكم خذوا بركابه وسووا عليه ثيابه وشيعوه إلى منزله، فأقبل علي أبو

الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام سراً بيني وبينه فبشرني بالخلافة، فقال لي: إذا ملكت هذا الامر فاحسن إلى ولدي، ثم انصرفنا وكنت أجرى ولد أبي عليه، فلما خلا المجلس قلت: يا أمير المؤمنين من هذا الرجل الذي قد أعظمته وأجلته وقمت من مجلسك إليه فاستقبلته وأعدته في صدر المجلس وجلست دونه ثم أمرتنا بأخذ الركاب له؟! قال: هذا أمام الناس وحجة الله على خلقه وخليفته على عباده، فقلت: يا أمير المؤمنين أوليست هذه الصفات كلها لك وفيك؟ فقال: أنا أمام الجماعة في الظاهر والغلبة والقهر. وموسى بن جعفر امام حق، والله يا بني انه لأحق بمقام رسول الله "ص" مني ومن الخلق جميعاً، والله لو نازعتني هذا الامر لاخذت الذي فيه عيناك فإن الملك عقيم.

رواية نستشف منها وثيقة تاريخية دامغة، إنها اعتراف صريح وقطعي من الرشيد بإمامة الامام الكاظم (ع)، اعتراف منه أمام نفسه وأمام ابنائه الثلاثة الأمين والمأمون والمؤمن الذين أخذ لهم الرشيد البيعة بولاية العهد بعده، وقد أخذ الموثيق والعهود وعلق وثيقة البيعة في الكعبة.

أنها اعتراف صريح ومباشر عن نهج بني العباس الذين بنوا أمجادهم على أجساد العلويين ومناصرهم، دعوتهم التي خرجت منادية بأجهاض الفساد والجور، وإعادة الحق إلى نصابه إلى الأئمة عليهم السلام، وأسفاً كما عبر الرشيد "إن الملك عقيم" كان لازماً متابعة نهج الظلم من أجل الحفاظ على بريق الخلافة وزهوها، الخلافة التي اصبح البون شاسعاً في أهداف انطلاق مسيرتها ونهايتها.

كفى بالمأمون راوياً غير مكذب:

وتتبعاً لسياق الرواية عينها:

فلما أراد الرحيل من المدينة إلى مكة أمر بصرة سوداء فيها مائتا دينار، ثم أقبل على الفضل بن الربيع، فقال له: اذهب بهذه إلى موسى بن جعفر وقال له: يقول لك أمير المؤمنين: نحن في ضيقة وسيأتيك برنا بعد الوقت. فقلت في صدره فقلت: يا أمير المؤمنين تعطي أبناء المهاجرين والأنصار وسائر قريش وبني هاشم ومن لا تعرف حسبه ونسبه خمسة آلاف دينار إلى ما دونها، وتعطي موسى بن جعفر وقد أعظمته وأجلته مأتي دينار أخس عطية أعطيتها أحداً من الناس!؟

فقال: أسكت لا أم لك، فإني لو أعطيت هذا ما ضمنته له ما كنت امتته أن يضرب وجهي غداً بمائة ألف سيف من شيعته ومواليه، وفقر هذا وأهل بيته أسلم لي ولكم من بسط أيديهم وأعينهم.

فلما نظر إلى ذلك مخارق المغني دخله في ذلك غيظ، فقام إلى الرشيد فقال: يا أمير المؤمنين قد دخلت المدينة وأكثر أهلها يطلبون مني شيئاً، وأن خرجت ولم أقسم فيهم شيئاً لم يتبين لهم تفضل أمير المؤمنين علي ومنزلتي عنده، فأمر له بعشرة آلاف دينار، فقال: يا أمير المؤمنين هذا لأهل المدينة وعلي دين احتاج أن أقضيه، فأمر له بعشرة آلاف دينار أخرى، فقال له: يا أمير المؤمنين بناتي أريد أن أزوجهن وأنا محتاج إلى جهازهن فأمر له بعشرة آلاف دينار أخرى فقال له: يا أمير المؤمنين لا بد من غلة تعطينها

ترد علي وعلى عيالي وبناتي وأزواجهن القوت، فأمر له باقطاع ما تبلغ غلته في السنة عشرة آلاف دينار وأمر أن يعجل ذلك عليه من ساعته. ثم قام مخارق من فوره وقصد موسى بن جعفر عليهما السلام وقال له: قد وقفت علي ما عاملك به هذا ملعون وما أمر لك به وقد احتلت عليه لك واخذت منه صلوات ثلاثين ألف دينار واقطاعاً يغل في السنة عشرة آلاف دينار، لا والله يا سيدي ما احتاج إلى شيء من ذلك ما أخذته إلا لك وأنا أشهد لك بهذه الاقطاع وقد حملت المال اليك، فقال: بارك الله لك في مالك واحسن جزاك ما كنت لأخذ منه درهما واحداً ولا من هذه الاقطاع شيئاً وقد قبلت صلواتك وبرك فانصرف راشداً ولا تراجعني في ذلك، فقبل يده وانصرف⁽¹⁾.

رواية نستشف منها موقف الرشيد من الإمامة عامة، ومن الإمام الكاظم (ع) خاصة. وما يمكن فهمه رد فعل الرشيد لما يمارسه الامام الكاظم (ع) واتباعه من عمل معارض للسلطة البانية أمجادها على القهر والغلبة، الرشيد يعلم في كامل حسه ووعيه أن الأمة تجد في الامام الكاظم (ع) ينبوعاً دينياً وملاذاً من الجور والظلم. الرشيد يشعر تماماً بأن الإمام الكاظم ورغماً عن الظروف الضاغطة، يحقق نجاحاً لامعاً وهو يصحح العقول الملوثة، يعلم بأنه مفض إلى منتهى عظيم، هذا المنتهى قادر أن يحطم الرشيد وخلافته المبنية على الظلم والجور والدماء. الرشيد يدرك خطورة المعركة بينه وبين الإمام

(1) عيون اخبار الرضا: الصدوق، ج 1، ص 84، ح 11.

للكاظم (ع). فالمعركة بينهما ليست من ذلك النوع من المعارك التي يخوضها وقد قيل عنه إنه كان يحج عاماً ويغزو آخر. المعركة بينه وبين الإمام (ع) هي صراع بين مبدأين وخطين مختلفي الأهداف. خط الإمامة والحق الذي يمثل الإمام الكاظم (ع) كما عبر عن ذلك الرشيد - ولسنا بحاجة إلى شهادة الرشيد - فسيرة الإمام الكاظم وموقعه من النبوة هما في سمع التاريخ وبصره. سيرة يرددها القضاء ويطوّف بها الأثير في كبرياء وخيلاء؛ وقد انطلقت تنتظم على مضامينها أمم من وراء أمم، بما هي متمتعة به من معنوية قدسية لا تتقهقر ولا تعيا، فهي مشتقة من ذلك المعنى الثابت معنى الإمامة.

تلك الظواهر والمقدمات التي رآها الرشيد في الإمام الكاظم (ع)، والتي هي انتصار للإمام الكاظم (ع)، وهزيمة ساحقة للرشيد عبر عنها بسلوك هشيم كطبيعته، بأن أرسل للإمام الكاظم (ع) بصرة سوداء فيها مائتا دينار مرفقة برسالة نحن في ضيقة وسيأتيك برنا بعد الوقت". لقد ظن الرشيد أنه بسلوكه يطفأ نور الإمامة. وهيهات لذاك النور المستمد من شجرة مباركة أن ينطفأ.

هابه ضياع السلطة وما هابه نجل النبوة:

هلمّي طيبة وخبري بغداد وأهلها عن عز قوم لهم في آذان الفجر خير
نكر وتبيان، قوم أمسوا في ديارك؛ وأي دياراً هي؟! هي سجون رشيد ما
هابه ورع وتقى إمام شهد له النقلان. ما هابه نجل النبي العدنان (صلى الله
عليه و آله وسلم). إنما هابه ضياع السلطة والسلطان!!

- روى أحمد بن عبد الله بن عماد عن محمد بن علي النوفلي قال: كان السبب في أخذ الرشيد موسى بن جعفر أنه سعى به إليه جماعة وقالوا: أن الاموال تحمل إليه من جميع الجهات والزكاة والأخماس، وأنه اشترى ضيعة سماها التيسرية بثلاثين ألف دينار. فخرج الرشيد في تلك السنة يريد الحج، وبدأ بدخوله إلى المدينة. فلما أتاها استقبله موسى بن جعفر في جماعة من الاشراف. فلما دخلها واستقر ومضى كل إلى سبيله. ذهب موسى على جاري عادتة إلى المسجد وأقام الرشيد إلى الليل، وسار إلى قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال:

"يا رسول الله اني اعتذر إليك من أمر اريد أن افعله وهو أن امسك مرسى بن جعفر، فإنه يريد التشعب بين امتك وسفك دماثهم وإني أريد حقنها". ثم خرج، فأمر به فأخذ من المسجد ودخل به إليه فقيده في تلك الساعة واستدعى بقبتين. فجعل كل واحدة منهما على بغل. فجعله في إحدى القبتين وسترها بالسقلاط، وجعل مع كل واحدة منهما خيلاً، وأرسل بواحدة على طريق البصرة وبواحدة على طريق الكوفة. وإنما فعل الرشيد ليعمي أمره على الناس⁽¹⁾.

وكان الشيطان للرشيد خذولاً:

- عن علي بن أبي حمزة قال: كان يتقدم الرشيد إلى خدمه إذا خرج موسى بن جعفر من عنده أن يقتلوه، فكانوا يهمون به فيتدخلهم من الهيبة

(1) الفصول المهمة: ص 236/ الاتحاف بحب الاشراف: ص 151.

واللزمع. فلما طال ذلك أمر بتمثال من خشب، وجعل له وجهاً مثل موسى بن جعفر، وكانوا إذا سكروا أمرهم أن يذبحوه بسكاكين، فكانوا يفعلون ذلك أبدأً. فلما كان في بعض الأيام جمعهم في الموضع وهم سكارى وأخرج سيدي إليهم، فلما بصروا به هموا به على رسم الصورة، فلما علم منهم ما يريدون كلمهم بالخزيرة والتركية فرموا من أيديهم السكاكين ووثبوا إلى قدميه فقبلوها، وتضرعوا إليه وتبعوه إلى أن شيعوه إلى المنزل الذي كان ينزل فيه، فسألهم الترجمان عن حالهم فقالوا: إن هذا الرجل يصير إلينا في كل عام فيقضي أحكامنا، ويرضي بعضنا من بعض، ونستسقي به إذا قحط بلدنا وإذا نزلت بنا نازلة فزعنا إليه، فعاهدتهم أنه لا يأمرهم بذلك، فرجعوا⁽¹⁾.

- لما أمر هارون موسى بن جعفر (عليه السلام) أن يحمل إليه أدخل عليه وعلى بني يقطين متوكاً على سيفه، فجعل يلاحظ موسى (عليه السلام) ليأمره فيضرب به هارون ففطن له هارون فقال: قد رأيت ذلك. فقال: يا أمير المؤمنين سللت من سيفي شبراً رجاء أن تأمرني فيه بأمرك، فنجنا منه بهذه المقالة⁽²⁾.

فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين:

عن عمر بن واقد قال: أن الرشيد وضع في صينية عشرين رطبة وأخذ سلكاً ففركه في السم وأدخله في سم الخياط، وأخذ رطبة منها فأقبل يروود

(1) مناقب آل بني طالب: ج 4، ص 1168.

(2) مناقب آل بني طالب: ج 4، ص 1173.

عليها ذلك السم حتى حصل فيها، وقال للخادم: احمل هذه الصينية إلى موسى بن جعفر وقل له إنني أنخزتها لك بيدي، بحقي لا تبقى منها شيئاً، ولا تطعم منها أحداً، فاتاه بها الخادم فكان يأكل بالخلال.

وكان للرشيد كلبة تعز عليه فجذبت نفسها وخرجت تجر سلاسلها من ذهب وجوهر حتى حانت موسى بن جعفر (ع) فبادر بالخلال إلى الرطبة المسمومة ورمى بها إلى الكلبة فأكلتها ولم تلبث أن ضربت نفسها الأرض وعوت، وتهرت قطعة قطعة، واستوفى عليه السلام باقي الرطب. فأخبر الخادم الرشيد بذلك.

فقال: ما ربحنا من موسى إلا أن أطعمناه جيد الرطب وضيعنا سمنا وقتل كلبتنا، ما في موسى من حيلة⁽¹⁾.

على هامش اعتقال الامام الكاظم (ع) وسجنه:

أجمع المؤرخون على اعتقال الرشيد للإمام الكاظم (ع) وسجنه، وذلك في العام 179 للهجرة، لعشر بقين من شوال⁽²⁾. وقد أعتقل الإمام (ع) من المسجد النبوي، مسجد جده النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان عليه السلام يصلي. فأخذ ينتقل في سجون الرشيد ما بين البصرة وبغداد حتى مضى عليه السلام شهيداً مسموماً في سجن السندي بن شاهك في العام (183 للهجرة). لقد أخذت الرشيد الجرأة إلى الاعتداء على عترة النبي (صلى الله عليه وآله)

(1) مناقب آل بني طالب، ج 4، ص 1170/ بحار الأنوار، ج 48، ص 223

(2) الكافي: الكليني، ج 1، ص 476.

وسلم). لقد سرى به سلوكه المنسكب من حشاشة تتفطر بمواقع الاثم والبغض، وقد بات كالأفعى انيابها وسمومها لباهاء، فلم يعد ينجع الترياق في لذعاتها ولا تجدي الرقاة رقاها.

لقد لجَّ الرشيد في رحلة الاغتراب عن تاريخه واصوله، لجَّ في الاغتراب حتى انسلخ عن جذوره، أخذت به شهوة الملك فراح يمد قدميه يريد التحليق صافعاً بجناحيه إماماً، إماماً هو ابن عمه ومن خالصة رحمه، إماماً بين يديه ازكى واصفى لبان.

لقد أخذت بالرشيد شهوة الملك، بات مريض شهوة السلطة والجبروت، ومرض الشهوة كمرض العقل كلاهما جنون؛ لكنه في العقل جنون يمسح الإدراك، أما في الشهوة فادراك يحركه الجنون.

لقد بات الرشيد يغلي في حماة دخائله التي باتت كالشرر. باتت كلسع الشياطين. فلم يعد يسمع سوى وسوسة شيطان تهدر في جنباته، وزوبعة إعصار تدور في أفكاره. حتى وقف أمام قبر رسول الله (ص) قائلاً: "يا رسول الله أني اعتذر اليك بشيء أريد أن أفعله، أريد أن أحبس موسى بن جعفر، فإنه يريد التشتيت بين أمتك، وسفك دمائها".

موقف الرشيد يأخذك في مسارات التاريخ إلى العام 61 للهجرة، إلى موقف يزيد بن معاوية، الذي أجاز لنفسه قتل ريحانة رسول الله (ص) تحت شعار أن الامام الحسين (ع) خرج عن أنس الطاعة وأثر تفريق الجماعة. حقاً هذا هو الظلم، هو الاستبداد بعينه، هو تشويش الحقائق أو حتى نسفها بأطروحات كاذبة. إنه الاستبداد بل الاستعباد بعينه. "فالاستبداد، واشد مراتبه

هي حكومة الفرد المطلقة، الوارث للعرش. والمستبد هو الذي يتحكم في شؤون الناس بإرادته لا بإرادتهم، يحكمهم بهواه لا بشريعتهم، يعلم من نفسه أنه الغاصب المعتدي، فيضع كعب رجله على أفواه الملايين من الناس، يسدها عن النطق. المستبد عدو الحق، عدو الحرية وقاتلها. المستبد يتجاوز الحد ما لم ير حاجزاً من حديد، المستبد يود أن تكون رعيته كالغنم ذراً وطاعة، وكالكلاب تذلاً وتملقاً⁽¹⁾. هكذا كان الرشيد انعكاساً وظلاً لكل تلك الصفات.

الرشيد تصرعه عظمة كبرياء العقيدة:

- دوافع متعددة دفعت بالرشيد إلى اعتقال الامام الكاظم (ع) لعل أهمها:
- المفاخرة بين الرشيد والامام (ع) في مقام النبي (ص)
- حادثة تعيين الامام الكاظم (ع) "فدك".
- إلى جانب الوشاية وسعاية اللاهثين إلى زلفى الرشيد ونيل رضاه.
- وعلى مقدمة تلك الدوافع شعور الرشيد بعظمة الامام الكاظم (ع)، عظماً طافحة بكبرياء العقيدة وكبرياء المعنى. لقد شعر الرشيد بمكانة الامام (ع) وهي تقتحم الأفتدة. لقد استطاع الامام (ع) أن يكون الفكر النابض المشع ومركز النظام الاصلاحى في كل حقل من حقول الحياة.
- رأى الرشيد أن الكاظم (ع)، استطاع بفكره، ومثله الإلهية الداعية إلى الإيمان والحق الصادق؛ أن يأخذ طريقه إلى ما وراء القوى الواعية وهم

(1) طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد: عبد الرحمن الكواكبي، ص 38 - 42.

يصح قضايا الدين والعقل. استطاع (ع) أن يبين قضايا الإمامة، أن يبصر موقعها كأصل من أصول الدين، رغم كل الاستار الصفيفة التي أسدلها الخلفاء العباسيون حولها.

- وأكثر من هذا رأى الرشيد سيماء الإمام الكاظم (ع) الناطقة بالصلابة والعزم، والتي جعلت من حياة الرشيد حياة شوهاة الهيئة ومريرة الطعم. فلا بدع، أن يقدم الرشيد على عمل يبقى عليه نعم لذائذه وطيب نشواته، وهذا لا يكون إلا بالتخلص من الإمام الكاظم (ع)، وهذا ما حققه الرشيد فعلاً!!!

وأولى خطوات الرشيد كانت اعتقال الإمام الكاظم (ع) مقيداً من المسجد النبوي الشريف إلى البصرة، إلى سجن عيسى بن أبي جعفر وأجمعت التواريخ على بقاء الإمام الكاظم (ع) سنة كاملة في سجن البصرة. ثم نقل عليه السلام إلى بغداد وسجن في بيت الفضل بن الربيع؛ وقد بقي في سجن الفضل فترة طويلة لم يحددها التاريخ. إلا أنه يستشف من الروايات أن الإمام (ع) أفرج عنه مرتين بأمر من الرشيد إثر رؤى رآها، كانت كرامات للإمام الكاظم (ع) - سنأتي على ذكرها - .

هناك هبأة عن وضع الإمام (ع) بعد الإفراج عنه، هل بقي في بغداد أم رجع إلى المدينة؟؟ والأرجح أنه بقي في بغداد تحت الإقامة الجبرية وذلك بناءً لتتبع الروايات.

- روى المسعودي: أن أبو إبراهيم عليه السلام (الكاظم) أمر أبا الحسن (ع) (الرضا) حين حمل إلى العراق أن ينام على بابه في كل ليلة، فكان في كل

ليلة يفرش له في الدهليز، ثم يأتي بعد عشاء الأخرى فينام، فإذا أصبح أنصرف إلى منزله.. فمكث على هذه الحال أربع سنين، وأبو إبراهيم معتقل في يد السلطان⁽¹⁾.

- وفي رواية المجلسي عن الكافي: فلما كان ليلة من الليالي أبطأ عنا - أي الرضا-، وفرش له فلم يأت كما كان يأتي فاستوحش العيال وذعروا ودخلنا أمر عظيم من ابطائه⁽²⁾.

- وعلى رواية الصدوق: بعد أن أطلق هارون عن الكاظم - أثر رواية هارون منام لرجل أسود وبيده سيف قد سله وقد وقف على رأسه يقول: هارون اطلق عن موسى بن جعفر وإلا ضربت علاوتك بسيفي هذا.. إلى آخر الرواية بأن الرشيد أفرج عن موسى (ع) وكرمه وصيره نديماً لنفسه... فصار عليه السلام كريماً شريفاً عند هارون وكان يدخل عليه في كل خميس إلى أن حبسه الثانية. فلم يطلق عنه حتى سلمه إلى السندي بن شاهك وقتله بالسم⁽³⁾.

- وفي رواية ذكرها المطهري: أن هارون ارسل الفضل بن الربيع إلى سجن الإمام (ع) يبلغه رسالة مفادها: اننا على علاقة بك ونكن لك محبة لكن المصالح تقتضي أن تكون هنا وأن لا تذهب إلى المدينة وإلا فليس في نيتنا سجنك وإنما أمرنا أن تكون في محل آمن وأنا أتولى حراستك شخصياً وقد

(1) إثبات الوصية، ص 212.

(2) بحر الأنوار، ج 48، ص 246.

(3) عيون أخبار الرضا: ج 1، ص 87، ح 13.

وقد أرسلت طبأخي الخاص ليهيء لك ما ترغبه من الطعام.

فكان الإمام (ع) يصلي ولم يعطي التفاتاً للفضل، وما أن قال الإمام السلام عليكم بادر الفضل بإيصال الرسالة.

فكان جواب الإمام (ع): "لا حاصر لي مال فينفعني وما خلقت مسؤولاً، الله أكبر". وتابع الصلاة. أي ليس عندي من المال الحلال أصرفه مقابل الطعام، ولست رجلاً يطلب وجبته اليومية أو الشهرية لست رجلاً يسأل⁽¹⁾.

- وبناء لما ذكره السيد مير علي الهندي: "وقد حدث مرتين أن سمح الرشيد لهذا الإمام الوديق بالرجوع إلى الحجاز، ولكن شكوكه كانت في كلتا المرتين تتغلب على طيبة قلبه فيبقيه في الحبس"⁽²⁾.

وفي رواية مطولة لمناظرة جرت بين الامام الكاظم (ع) والرشيد أنتهت بقول الرشيد: "أحسننت يا موسى، أرفع إلينا حوائجك".

قال الامام: أما أول حاجة أن تاذن لابن عمك أن يرجع إلى حرم جده وإلى عياله.

فقال الرشيد: انظر انشاء الله⁽³⁾.

وبعدها نقل إلى سجن الفضل بن يحيى، الذي سجنه في بيته. وعلى رواية المجلسي نقلاً عن الصدوق أنه حبس عنده أياماً. حتى انتهى أمره إلى

(1) سيرة الأئمة الاطهار: ص 154.

(2) حياة الامام موسى بن جعفر: القرشي، ج 2، ص 476 نقلاً عن مختصر تاريخ العرب، ص 209.

(3) الاحجاج الطبرسي: ص 165.

سجن السندي بن شاهك الذي جهد في التضييق على الامام (ع)، وتكبيله بثلاثين رطلاً من الحديد و كان يقفل الباب في وجهه، ولا يدعه يخرج إلا للوضوء وذلك بأمر من الرشيد⁽¹⁾، وبقي على هذه الحال حتى قضى شهيداً مسموماً (ع)، بايعاز من هارون الرشيد على أكثر الروايات.

اعتقال الامام الكاظم (ع) وسجنه:

السبب في أخذ الامام الكاظم (ع) واعتقاله:

روى ابن شهر آشوب: كان محمد بن اسماعيل بن الصادق (ع)^(*) عمه موسى الكاظم يكتب له الكتب إلى شيعته في الأفاق. فلما ورد الرشيد إلى الحجاز سعى بعمه إلى الرشيد فقال: أما علمت أن في الأرض خليفتين يجبي إليهما الخراج؟ فقال الرشيد: ويملك أنا ومن؟ قال: موسى بن جعفر، وأظهر اسراره، فقبض عليه وحظي محمد عند الرشيد، ودعا عليه موسى الكاظم بدعاء استجاب له الله فيه وفي أولاده⁽²⁾.

ذكر الصدوق: أن هارون الرشيد أراد أن يقعد الأمر لابنه محمد بن زبيدة وجعله ولي عهده وعبد الله المأمون وجعل الأمر له بعد ابن زبيدة، والقاسم المؤتمن، وجعل له الأمر من بعد المأمون فأراد أن يحكم الأمر في ذلك ويشهره شهرة يقف عليها الخاص والعام، فحج في سنة تسع وسبعين

(1) الامام موسى بن جعفر: القرشي، ج2، ص 487

(*) وفي الروايات الأخرى هو علي بن اسماعيل.

(2) المناقب، ج 4، ص 1188.

ومائة وكتب إلى جميع الأفاق يأمر الفقهاء والعلماء والقراء والأمراء أن يحضروا مكة أيام الموسم فأخذ هو طريق المدينة، ثم ينكر رواية جعفر بن محمد الأشعث وسعاية يحيى بن خالد بموسى بن جعفر (ع) إلى اللقاء القبض على الإمام (ع) (1).

رواية الشيخ المفيد: كان السبب في قبض الرشيد على أبي الحسن موسى عليه السلام وحبسه وقتله، ما ذكره أحمد بن عبيد الله بن عمار، عن علي بن محمد النوفلي، عن أبيه؛ وأحمد بن محمد بن سعيد، وأبو محمد الحسن ابن محمد بن يحيى، عن مشايخهم قالوا: كان السبب في أخذ موسى بن جعفر عليهما السلام أن الرشيد جعل ابنه في حجر جعفر بن محمد بن الأشعث، فحسده يحيى بن خالد بن برمك على ذلك، وقال: إن أفضت إليه الخلافة زالت دولتي ودولة ولدي، فاحتال على جعفر بن محمد - وكان يقول بالإمامة - حتى داخله وأنس إليه، وكان يكثر غشيانه في منزله فيقف على أمره ويرفعه إلى الرشيد، ويزيد عليه في ذلك بما يقدح في قلبه.

اشترى قطع رجمه بمال هارون:

وفي سياق الرواية عينها: قال يحيى بن خالد يوماً لبعض ثقاته: تعرفون لي رجلاً من آل أبي طالب ليس بوسع الحال، يعرفني ما أحتاج إليه، فدل على علي بن إسماعيل بن جعفر بن محمد، فحمل إليه يحيى بن خالد مالاً، وكان موسى بن جعفر عليه السلام يأنس بعلي بن إسماعيل ويصله ويبره. ثم

(1) عيون أخبار الرضا: ج 1، ص 70.

أنفذ إليه يحيى به خالد يرغبه في قصد الرشيد ويعدده بالإحسان إليه، فعمل على ذلك، وأحس به موسى عليه السلام فدعاه فقال له: "إلى أين يا بن أخي؟" قال: إلى بغداد. قال: "وما تصنع؟" قال: علي دين وأنا معلق. فقال له موسى: "أنا أقضي دينك وأفعل بك وأصنع" فلم يلتفت إلى ذلك، وعمل على الخروج، فاستدعاه أبو الحسن فقال له: "أنت خارج؟" قال: نعم، لا بد لي من ذلك. فقال له: "انظر - يا بن أخي - واتق الله، ولا تؤتم أولادي" وأمر له بثلاثمائة دينار وأربعة آلاف درهم، فلما قام من بين يديه قال أبو الحسن موسى عليه السلام لمن حضره: "والله ليسعين في دمي، ويؤتمن أولادي" فقالوا له: جعلنا الله فداك، فأنت تعلم هذا من حاله وتعطيه وتصله! قال لهم: "نعم، حدثني أبي، عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أن الرحم إذا قطعت فوصلت فقطعت قطعها الله، وإنني أردت أن أصله بعد قطعه لي، حتى إذا قطعني قطعه الله".

قالوا: فخرج علي بن إسماعيل حتى أتى يحيى بن خالد، فتعرف منه خبر موسى بن جعفر عليهما السلام ورفعاه إلى الرشيد وزاد عليه، ثم أوصله إلى الرشيد فسأله عن عمه فسعى به إليه وقال له: إن الأموال تحمل إليه من المشرق والمغرب، وأنه اشترى ضيعة سماها اليسيرة بثلاثين ألف دينار، فقال له صاحبها - وقد أحضره المال - لا آخذ هذا النقد، ولا آخذ إلا نقد كذا وكذا، فأمر بذلك المال فرد وأعطاه ثلاثين ألف دينار من النقد الذي سأل بعينه. فسمع ذلك منه الرشيد وأمر له بمائتي ألف درهم تسبباً على بعض النواحي، فاختار بعض كور المشرق، ومضت رسله لقبض المال وأسلم

ينتظرهم، فدخل في بعض تلك الأيام إلى الخلاء فزحر زحرة خرجت منها
حشوته كلها فسقط، وجهدوا في ردها فلم يقدرُوا، فوقع لما به، وجاءه المال
وهو ينزع، فقال: ما أصنع به وأنا في الموت؟

الرشيد يستأذن النبي (ص) في القبض على الامام الكاظم (ع):

وتتابع الرواية عينها: وخرج الرشيد في تلك السنة إلى الحج، وبدأ
بالمدينة فقبض فيها على أبي الحسن موسى عليه السلام. ويقال: أنه لما ورد
المدينة استقبله موسى بن جعفر في جماعة من الأشراف، وانصرفوا من
استقباله، فمضى أبو الحسن إلى المسجد على رسمه، وأقام الرشيد إلى الليل
وصار إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا رسول الله، إنني
أعذر إليك من شيء أريد أن أفعله، أريد أن أحبس موسى بن جعفر، فإنه
يريد التشتيت بين أمتك وسفك دماؤها. ثم أمر به فأخذ من المسجد.

وأمر القوم الذين كانوا مع قبة أبي الحسن أن يسلموه إلى عيسى بن جعفر بن
المنصور، - وكان على البصرة حينئذ - .

وروى المطهري أنهم جروه جراً من مسجد النبي (ص) فنظر إلى قبر
الرسول (ص) " السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا جداه أنظر أمتك
ماذا تفعل بأبنائك". (1).

وروى ابن شهر آشوب أنه لما دخل الرشيد إلى المدينة أمر بقبض
موسى بن جعفر وكان قائماً يصلي عند رأس النبي (ص) فقطع عليه صلته،

(1) سيرة الأئمة الأطهار، ص 146

وحمل وهو يبكي ويقول: اليك أشكو يا رسول الله (1).

وتتابع الرواية: فأدخل إليه فقيدته، واستدعى قبتين فجعله في إحداهما على بغل، وجعل القبة الأخرى على بغل آخر، وخرج البغلان من داره عليهما القبتان مستورتان، ومع كل واحدة منهما خيل، فافترقت الخيل فمضى بعضها مع إحدى القبتين على طريق البصرة، والأخرى على طريق الكوفة، وكان أبو الحسن عليه السلام في القبة التي مضى بها على طريق البصرة. وإنما فعل ذلك الرشيد ليعمي على الناس الأمر في باب أبي الحسن عليه السلام.

أحوال الامام الكاظم (ع) في سجن البصرة:

وفي سياق رواية المفيد عنها: سأل الامام (ع) الى عيسى بن جعفر المنصور فحبسه عنده سنة، وكتب إليه الرشيد في دمه، فاستدعى عيسى بن جعفر بعض خاصته وثقاته فاستشارهم فيما كتب به الرشيد، فأشاروا عليه بالتوقف عن ذلك والاستعفاء منه، فكتب عيسى بن جعفر إلى الرشيد يقول له: قد طال أمر موسى بن جعفر ومقامه في حبسي، وقد اختبرت حاله ووضعت عليه العيون طول هذه المدة، فما وجدته يفتر عن العبادة، ووضع من يسمع منه ما يقول في دعائه فما دعا عليك ولا علي ولا ذكرنا في دعائه بسوء، وما يدعو لنفسه إلا بالمغفرة والرحمة، فإن أنت أنفنت إلي من يتعلم مني وإلا خليت سبيله فإنني متخرج من حبسه.

(1) المناقب: ج4، ص1188.

روي: أن بعض عيون عيسى بن جعفر رفع إليه أنه يسمعه كثيراً يقول في دعائه وهو محبوس عنده: "اللهم إنك تعلم أنني كنت أسألك أن فرغني لعبادتك، اللهم وقد فعلت فلك الحمد".⁽¹⁾

وروي أن عيسى بن جعفر أقفل على الكاظم (ع) أبواب السجن فكان لا يفتحها إلا في حالتين: أحدهما في خروجه إلى الطهور والأخرى لاندخال الطعام عليه.

كما روي إقبال العلماء على الإمام الكاظم (ع)، كذلك الرواة كانوا يتصلون به من طريق خفي فاتصل به ياسين الزياتي وغيره.⁽²⁾

الإمام الكاظم (ع) في سجن الفضل بن الربيع ببغداد:

بمتابعة سياق رواية المفيد: وجه الرشيد من تسلم الإمام (ع) من عيسى ابن جعفر، وصير به إلى بغداد، فسلم إلى الفضل بن الربيع فبقي عنده مدة طويلة فأراده الرشيد على شيء من أمره فأبى.

أحوال الإمام الكاظم (ع) في سجن الفضل بن الربيع:

كما هو دأبه عليه السلام، كان متفرغاً للعبادة متوجهاً نحو ربه؛ طویل السجدة غزير العبرة، حتى كنت تحسبه ثوباً بالياً. فعلى رواية الفضل بن الربيع يقول: كنت أتفقد أبو الحسن موسى بن جعفر في الليل والنهار، فلم أجده في وقت من الاوقات إلا على الحال التي أخبرك بها، إنه يصلي الفجر فيعقب ساعة في دبر صلاته، إلى أن تطلع الشمس، ثم يسجد سجدة فلا يزال

(1) الفصول المهمة، ص 237.

(2) القرشي: ج 2، ص 466-467.

ساجداً حتى تزول الشمس، وقد وكل من يترصد له الزوال، فلست أدري متى يقول الغلام قد زالت الشمس إذ يثب فيبتدئ بالصلاة، من غير أن يجدد وضوءه. فأعلم أنه لم ينم في سجوده ولا أغمض.

فلا يزال كذلك إلى أن يفرغ من صلاة العصر، فإذا صلى العصر سجد سجدة فلا يزال ساجداً إلى أن تغيب الشمس، فإذا غابت الشمس وثب من سجدته فصلى المغرب من غير أن يحدث حدثاً. ولا يزال في صلاته وتعقبه إلى أن يصلي العتمة، فإذا صلى العتمة أظفر على شوي يؤتى به، ثم يجدد الوضوء، ثم يقوم فلا يزال يصلي في جوف الليل حتى يطلع الفجر، فلست أدري متى يقول الغلام إن الفجر قد طلع إذ قد وثب هو لصلاة الفجر، فهذا دأبه منذ حول إلي.

فقال له - والد عبد الله القروي - اتق الله، ولا تحدثن في أمره حدثاً يكون منه زوال نعمة. فقد تعلم أنه لم يفعل أحد بأحد بهم سوء إلا كانت نعمته زائلة.

فقال الفضل: قد أرسلوا إلي في غير مرة يأمروني بقتله، فلم أجبهم إلى ذلك، واعلمتهم أنني لا أفعل ذلك، ولو قتلوني ما أجبتهم إلى ما سألوني⁽¹⁾.

وقد مر منا في باب عبادته (ع) بأن هارون الرشيد كان يراقب الإمام (ع)، بنفسه ويتطلع إلى شؤونه، وعندما أطل من أعلى القصر على السجن فرأى ثوباً مطروحاً فسأل الفضل عن ذلك الثوب فأجابه: أن هذا موسى بن جعفر له في كل يوم سجدة بعد طلوع الشمس إلى وقت الزوال. فقال هارون:

(1) بحر الأنوار، ج 48، ص 210.

لما إن هذا من رهبان بني هاشم⁽¹⁾.

دعاء هزّ مناكب الصعب :

حَدَّثَ أَحْمَدُ بْنُ زِيَادٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَضْلِ، عَنْ أَبِيهِ الْفَضْلِ قَالَ:
كُنْتُ أَحْجَبَ الرَّشِيدِ، فَأَقْبَلَ عَلِيَّ يَوْمًا غَضِبَانًا وَبِيَدِهِ سَيْفٌ يَقْلِبُهُ، فَقَالَ لِي: يَا
فَضْلُ بَقْرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ "ص" لَنْ لَمْ تَأْتِنِي بِابْنِ عَمِي الْآنَ لِأَخْذِنَ الَّذِي
فِيهِ عَيْنَاكَ فَقُلْتَ: بَمَنْ أَجِينُكَ؟ فَقَالَ: بِهَذَا الْحِجَازِيِّ، فَقُلْتَ: وَأَيُّ الْحِجَازِيِّ؟
قَالَ: مُوسَى بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قَالَ الْفَضْلُ: فَخَفْتُ مِنَ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ أَنْ أَجِيءَ بِهِ إِلَيْهِ، ثُمَّ
فَكَّرْتُ فِي النِّقْمَةِ فَقُلْتُ لَهُ: أَفْعَلْ فَقَالَ: أَتَيْتَنِي بِسُوطَيْنِ وَهَسَارَيْنِ وَجَلَادَيْنِ،
قَالَ: فَأَتَيْتَهُ بِذَلِكَ وَمَضَيْتُ إِلَى مَنْزِلِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهِمَا
السَّلَامُ فَأَتَيْتُ إِلَى خَرِبَةٍ فِيهَا كُوخٌ مِنْ جَرَايِدِ النَّخْلِ فَإِذَا أَنَا بِغُلَامٍ أَسْوَدَ فَقُلْتُ
لَهُ: اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى مَوْلَاكَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَقَالَ لِي: لَجَّ فَلَيْسَ لَهُ حَاجِبٌ وَلَا
بُؤَابَ.

فَوَلَجْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَنَا بِغُلَامٍ أَسْوَدَ بِيَدِهِ مَقْصٌ يَأْخُذُ اللَّحْمَ مِنْ جَبِينِهِ
وَعَرْنَيْنِ أَنْفِهِ مِنْ كَثْرَةِ سُجُودِهِ فَقُلْتُ لَهُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ أَجِبْ
الرَّشِيدَ، فَقَالَ: مَا لِلرَّشِيدِ وَمَا لِي؟ أَمَا تَشْغَلُهُ نِقْمَتُهُ عَنِّي؟ ثُمَّ وَثَبَ مُسْرِعًا وَهُوَ
يَقُولُ: لَوْلَا أَنِّي سَمِعْتُ فِي خَبْرٍ عَنِ جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)
أَنْ طَاعَةَ السُّلْطَانِ لِلتَّقِيَّةِ وَاجِبَةٌ إِذَا مَا جِئْتَ فَقُلْتُ لَهُ: اسْتَعِدَّ لِلْعُقُوبَةِ يَا أَبَا

(1) عيون أخبار الرضا: ج 1، ص 88.

ابراهيم رحمك الله، فقال: عليه السلام أليس معي من يملك الدنيا والآخرة؟
ولن يقدر اليوم على سوء بي انشاء الله تعالى، قال الفضل بن الربيع: فرأيتُه
وقد أدار يده عليه السلام يلوح بها على رأسه عليه السلام ثلاث مرات.

فدخلت على الرشيد فإذا هو كأنه امرأة تكلى قائم حيران، فلما رأني قال
لي: يا فضل، فقلت: لبيك، فقال جئتني بابن عمي؟ قلت: نعم قال: لا تكون
ازعجته فقلت: لا قال: لا تكون أعلمته أنني عليه غضبان، فأنى قد هيجت
على نفسي ما لم أرد، ائذن له بالدخول، فأننت له، فلما رآه وثب إليه قائماً
وعانقه وقال له: مرحباً بابن عمي وأخي ووارث نعمتي ثم أجلسه على
فخذه، فقال له: ما الذي قطعك عن زيارتنا؟ فقال سعة مملكتك وحبك للدنيا،
فقال: أتوني بحقة الغالية فأتي بها فغلفه بيده ثم امر أن يحمل بين يديه خلع
وبدرتان دنانير فقال موسى بن جعفر عليهما السلام: والله لولا أنني أرى أن
أزوج بها من عزاب بني أبي طالب لئلا ينقطع نسله أبداً ما قبلتها، ثم تولى
عليه وهو يقول: الحمد لله رب العالمين.

فقال الفضل: يا أمير المؤمنين أردت أن تعاقبه فخلعت عليه واکرمته
فقال لي: يا فضل أنك لما مضيت لتجيتني به رأيت اقواماً قد احدثوا بداري
بأيديهم حراب قد غرسوها في اصل الدار يقولون: أن أذى ابن رسول الله
خسفنا به وأن احسن إليه انصرفنا عنه وتركناه. فتبعته عليه السلام فقلت لم
ما الذي قلت حتى كفيت أمر الرشيد؟ فقال دعاء جدي علي بن أبي طالب
كان إذا دعا به ما برز إلى عسكر الا هزمه ولا إلى فارس إلا قهره وهو
دعاء كفاية البلاء، قلت: وما هو؟ قال: قلت: "اللهم بك أساور وبك أحاور"

وبك أجاور وبك أصول وبك انتصر وبك أموت وبك أحيا، أسلمت نفسي
إليك وفوضت أمري إليك، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اللهم انك
خلقتني ورزقتني وسترتني عن العباد بلطف ما خسولتني وأغيتني اذا هويت
رددتني، وإذا عثرت قومتي، وإذا مرضت شفيتني، وإذا دعوت اجبتني يا سيدي
ارضى عني فقد أرضيتني" (1).

كبرياء الرشيد يتهدم أمام دعاء الكاظم (ع):

نكر عبد الله بن مالك الخزاعي - وكان على دار الرشيد وشرطته -
قال: أتاني رسول الرشيد في وقت ما جاعني فيه قط، فانتزعني من موضعي
ومنعني من تغيير ثيابي؛ فراعني ذلك منه؛ فلما صرت إلى الدار سبقني
الخادم فعرف الرشيد خبري؛ فأذن لي في الدخول عليه فدخلت ووجدته قاعداً
على فراشه؛ فسلمت (عليه) فسكت ساعة؛ فطار عقلي وتضاعف الجزع
علي؛ ثم قال: "يا عبد الله، أتدري لم طلبتك في هذا الوقت؟" - قلت: "لا والله
يا أمير المؤمنين" - قال: "إني رأيت الساعة في منامي كأن حبشياً قد أتاني
ومعه حرب، فقال لي: "إن خلقت عن موسى بن جعفر الساعة وإلا نحررتك
بهذه الحرب؛ فذهب وخل عه" - قال فقلت ثلاثاً: "يا أمير المؤمنين أطلق
موسى بن جعفر؟" - قال: "نعم، امض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر
وأعطه ثلاثين ألف درهم، وقل له: "إن أحببت المقام قبلنا فلك عندي ما
تحب، وإن أحببت الانصراف إلى المدينة فالإذن في ذلك إليك".

(1) المرجع السابق، ص 74 - 76.

قال: فمضيت إلى الحبس لأخرجه؛ فلما رأني موسى وثب إلي قائماً وظن أنني أمرت فيه بمكروه؛ فقلت: "لا تخف! فقد أمرني أمير المؤمنين بإطلاقك وأن أدفع لك ثلاثين ألف درهم، وهو يقول لك إن أحببت المقام قبلنا فلك ما تحب، وإن أحببت الانصراف إلى المدينة فالأمر في ذلك مطلق إليك؛ فأعطيته الثلاثين ألف درهم وخليت سبيله وقلت له: "رأيت من أمرك عجباً" - قال: "فإني أخبرك: بينا أنا نائم إذ أتاني النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا موسى، حبست مظلوماً، فقل هذه الكلمات فإنك لا تبيت هذه الليلة في الحبس" - فقلت: "بابي أنت وأمي ما أقول؟" - قال: "قل يا سامع الصوت ويا سابق الفوت ويا كاسي العظام لحماً ومنشرها بعد الموت؛ أسألك بأسمائك الحسنى وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون الذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين، يا حلماً ذا أناة لا يقوى على أناته، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً ولا يحصى عدداً فرج عني"، فكان ما ترى"⁽¹⁾.

دعاء تحسبه تنزيلاً من التنزيل أو قبساً من النور الحكيم. لقد جعل الله للحق على لسان الامام الكاظم(ع) سيفاً أردى به البغي وأهله. بوجيز عبارات البيان سجل الامام الكاظم(ع) مناراً من الأمن والاطمئنان تجدها في روضة تعالى الخالق. كما سجل عليه السلام وثيقة تاريخية عن جور وتعسف خلفاء عصره.

(1) مروج الذهب، ص 206-207 / مرآة الجنان: اليافعي، ج 1، ص 395 / وفيه
الأعيان: ابن خلكان، ج 5، ص 309.

أحوال الامام الكاظم (ع) في سجن الفضل بن يحيى:

العودة الى سياق رواية المفيد: فكتب الرشيد اليه (الفضل بن الربيع) بتسليمه إلى الفضل بن يحيى فتسلمه منه، وجعله في بعض حجر داره ووضع عليه الرصد، وكان عليه السلام مشغولاً بالعبادة يحيى الليل كله صلاة وقراءة للقرآن ودعاءً واجتهاداً، ويصوم النهار في أكثر الأيام، ولا يصرف وجهه من المحراب، فوسع عليه الفضل بن يحيى وأكرمه.

فاتصل ذلك بالرشيد وهو بالرقعة فكتب إليه ينكر عليه توسعته على موسى ويأمره بقتله، فتوقف عن ذلك ولم يقدم عليه، فاغتاز الرشيد لذلك ودعا مسروراً الخادم فقال له: أخرج على البريد في هذا الوقت إلى بغداد، وادخل من فورك على موسى بن جعفر، فإن وجدته في دعة ورفاهية فأوصل هذا الكتاب إلى العباس بن محمد ومرة بامثال ما فيه. وسلم إليه كتاباً آخر إلى السندي بن شاهك يأمره فيه بطاعة العباس بن محمد.

فقدم مسرور فنزل دار الفضل بن يحيى لا يدري أحد ما يريد، ثم دخل على موسى بن جعفر عليه السلام فوجده على ما بلغ الرشيد، فمضى من فوره إلى العباس بن محمد والسندي بن شاهك فأوصل الكتابين إليهما، فلم يلبث الناس أن خرج الرسول يركض إلى الفضل بن يحيى، فركب معه وخرج مشدوها دهشاً حتى دخل على العباس بن محمد، فدعا العباس بسياط وعقابين وأمر بالفضل فجرد وضربه السندي بين يديه مائة سوط، وخرج متغير اللون خلاف ما دخل، وجعل يسلم على الناس يميناً وشمالاً.

وكتب مسرور بالخبر إلى الرشيد، فأمر بتسليم موسى عليه السلام إلى السندي بن شاهك، وجلس الرشيد مجلساً حافلاً وقال: أيها الناس، إن الفضل بن يحيى قد عصاني وخالف طاعتي، ورأيت أن ألعنه فآلعه الله. فلعنه الناس من كل ناحية، حتى ارتج البيت والدار بلعنه.

وبلغ يحيى بن خالد الخبر، فركب إلى الرشيد فدخل من غير الباب الذي تدخل الناس منه، حتى جاءه من خلفه وهو لا يشعر، ثم قال له: التفت - يا أمير المؤمنين - إلي، فأصغى إليه فزعا، فقال له: إن الفضل حبث، وأنا أكفيك ما تريد، فانطلق وجهه وسر، وأقبل على الناس فقال: إن الفضل كان قد عصاني في شيء فلعنته، وقد تاب وأتاب إلى طاعتي فتولوه. فقالوا: نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت وقد توليناها.

ثم خرج يحيى بن خالد على البريد حتى وافى بغداد، فماج الناس وأرجفوا بكل شيء، وأظهر أنه ورد لتعديل السواد والنظر في أمر العمال، وتشاغل ببعض ذلك أياماً، ثم دعا السندي فأمره فيه بأمره فامتنله. وكما أشرنا " أن المدة التي قضاها الإمام (ع) في سجن الفضل كانت قصيرة جداً ذكر أنها كانت أياماً " (1).

الإمام الكاظم (ع) في سجن السندي بن شاهك:

وفي العودة إلى سياق رواية المفيد: وكان الذي تولى به السندي قتله عليه السلام سما جعله في طعام قدمه إليه، ويقال: أنه جعله في رطب لكل منه فأحس بالسم، ولبث ثلاثاً بعده موعوكاً منه، ثم مات في اليوم الثالث.

(1) القرشي: ج2، ص482.

ولما مات موسى عليه السلام أدخل السندي بن شاهك عليه الفقهاء ووجوه أهل بغداد، وفيهم الهيثم بن عدي وغيره، فنظروا إليه لا أثر به من جراح ولا خنق، وأشهدهم على أنه مات حتف أنفه فشهدوا على ذلك. وأخرج ووضع على الجسر ببغداد، ونودي: هذا موسى بن جعفر قد مات فانظروا إليه، فجعل الناس يتفرسون في وجهه وهو ميت، وقد كان قوم زعموا في أيام موسى أنه القائم المنتظر، وجعلوا حبسه هو الغيبة المذكورة للقائم، فأمر يحيى بن خالد أن ينادى عليه عند موته: هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنه لا يموت فانظروا إليه، فنظر الناس إليه ميتاً. ثم حمل فدفن في مقابر قريش في باب التبن، وكانت هذه المقبرة لبني هاشم والأشراف من الناس قديماً.

وروي: أنه عليه السلام لما حضرته الوفاة سأل السندي بن شاهك أن يحضره مولى له مدنيا ينزل عند دار العباس بن محمد في مشرعة القصب، ليتولى غسله وتكفينه، ففعل ذلك. قال السندي بن شاهك: وكنت أسأله في الإذن لي في أن أكفنه فأبى، وقال: "إنا أهل بيت، مهور نساءنا وحج ضرورتنا وأكفان موتانا من طاهر أموالنا، وعندني كفن، وأريد أن يتولى غسلني وجهازي مولاي فلان" فتولى ذلك منه⁽¹⁾.

(1) الارشاد، ص 237، ج 2/ مقال الطالبين: أبو الفرج الاصفهاني، ص 333/ الفصول المهمة: ص 236 بدأ الرواية مباشرة من أن الأموال تحمل إليه من جميع الجهات، ولم ينكر اسم الواسي/ الاتحاف بحب الأشراف، ص 153 مختصر/ أعلام الوري ساق الرواية من حين قبض الرشيد على الكاظم (عليه السلام)، ص 310/ مناقب آل بني طالب ساق الرواية إلى حين جاء النزاع علي بن إسماعيل، ص 1173، ج 4.

وفي رواية الكليني: أن محمد بن اسماعيل بن جعفر قدم الإمام (ع) يودعه وكان قد عزم الخروج إلى بغداد فقال للإمام (ع): أوصني.

فقال (ع): أوصيك أن تتقي الله في دمي.

فقال مجيباً له: من أراذك بسوء فعل الله به، وجعل يدعو الله على من يريد بسوء. ثم عاد فقبل رأسه فقال: يا عم أوصني: فقال أوصيك أن تتقي الله في دمي وكررها مرة ثالثة والإمام يقول: اتقي الله في دمي⁽¹⁾.

أحوال الإمام الكاظم (ع) في سجن السندي بن شاهك:

بعد رفض الفضل بن يحيى قتل الإمام الكاظم (ع) وبعد تعرضه لأذى وغضب الرشيد تولى الأمر والده يحيى بن خالد ونقل الكاظم (ع) إلى سجن السندي بن شاهك. فسجن الإمام الكاظم (ع) في المحبس المعروف بدار المسيب الواقع قرب باب الكوفة وفيه السدرة⁽²⁾ وفيه كانت وفاته (ع). وبأمر الرشيد ضيق السندي على الإمام (ع). قيده بثلاثين رطلاً من الحديد. فكان لا يخرج إلا للوضوء. ووكل به بشاراً مولاه وكان من أشد المبغضين لآل بني طالب، لكن حاله تبدل بعدما رأى من مكارم ومعاجز الإمام (ع)⁽³⁾.

لربهم آياتنا في الآفاق: من معاجزه (ع) في السجن:

عن أبو الأزهر ناصح بن علي البرجمي في حديث طويل: أنه جمعني مسجد بازاء دار السندي بن شاهك وابن السكيت، فتفاوضنا في العربية ومعنا:

(1) الكافي، ج 1، ص 485.

(2) عيون أخبار الرضا، ج 1، ص 92.

(3) القرشي: ج 2، ص 486 - 487.

رجل لا نعرفه، فقال: يا هؤلاء أنتم إلى إقامة دينكم أحوج منكم إلى إقامة السننكم. وساق الكلام إلى إمام الوقت وقال: ليس بينكم وبينه غير هذا الجدار قلنا: تعني هذا المحبوس موسى؟ قال: نعم، قلنا: سترنا عليك فقم من عندنا خيفة أن يراك أحد جليسا فنؤخذ بك.

قال: والله لا يفعلون ذلك أبداً والله ما قلت لكم إلا بأمره، وإنه ليرانا ويسمع كلامنا، ولو شاء أن يكون ثالثنا لكان، قلنا: فقد شئنا فادعه إلينا. فإذا قد أقبل رجل من باب المسجد داخلاً كانت لرويته العقول أن تذهل. فعلمنا أنه موسى ابن جعفر عليه السلام. ثم قال: أنا هذا الرجل، وتركنا، وخرجنا من المسجد مبادراً فسمعنا وجيباً شديداً. وإذا السندي بن شاهك يعدو داخلاً إلى المسجد معه جماعة فقلنا: كان معنا رجل فدعانا إلى كذا وكذا، ودخل هذا الرجل المصلي وخرج ذلك الرجل ولم نره، فأمر بنا فأمسكنا، ثم تقدم إلى موسى وهو قائم في المحراب فأتاه من قبل وجهه ونحن نسمع.

فقال: يا ويحك كم تخرج بسحرك هذا وحيلتك من وراء الأبواب والأغلاق والأقفال وأردك، فلو كنت هربت كان أحب إلي من وقوفك هنا أتريد يا موسى أن يقتلني الخليفة؟

قال: فقال موسى ونحن والله نسمع كلامه: كيف أهرب والله في أيديكم موقت لي يسوق إليها أقداره، وكرامتي على أيديكم في كلام له - قال: فأخذ السندي بيده ومشى ثم قال للقوم: دعوا هذين واخرجوا إلى الطريق فامنعوا أحداً يمر من الناس حتى أتم أنا وهذا إلى الدار⁽¹⁾.

(1) بحار الأنوار، ج 48، ص 237 - 238 / المناقب: ابن شهر آشوب، ج 4، ص 1165

إن هذا هو القصص الحق:

عن محمد بن الحسين بن أحمد الفارسي، ... عن بشار مولى السندي بن شاهك قال: كنت من أشد الناس بغضاً لآل أبي طالب، فدعاني السندي بن شاهك يوماً فقال لي: يا بشار إني أريد أن أئتمنك على ما أئتمني عليه هارون، قلت: إذن لا أبقى فيه غاية فقال: هذا موسى بن جعفر قد دفعه إلي وقد وكلتك بحفظه، فجعله في دار دون حرمة ووكلني عليه، فكنت أقفل عليه عدة أقفال، فإذا مضيت في حاجة وكلت امرأتي بالباب فلا تفارقه حتى أرجع.

قال بشار: فحول الله ما كان في قلبي من البغض حبا قال: فدعاني عليه السلام يوماً فقال: يا بشار امض إلى سجن القنطرة فادع لي هند بن الحجاج وقل له: أبو الحسن يأمرك بالمصير إليه، فإنه سينهرك ويصيح عليك فإذا فعل ذلك، فقل له: أنا قد قلت لك وأبلغت رسالته فإن شئت فافعل ما أمرني، وإن شئت فلا تفعل، واتركه وانصرف قال: فقلت ما أمرني وأقفلت الأبواب كما كنت أقفل وأقعدت امرأتي على الباب وقلت لها: لا تبرحي حتى أتيك.

وقصدت إلى سجن القنطرة فدخلت إلى هند بن الحجاج فقلت: أبو الحسن يأمرك بالمصير إليه قال: فصاح علي وانتهرني فقلت له: أنا قد أبلغتك وقلت لك فإن شئت فافعل، وإن شئت فلا تفعل، وانصرفت وتركت وجئت إلى أبي الحسن عليه السلام فوجدت امرأتي قاعدة على البام والأبواب مغلقة فلم أزل أفتح واحداً واحداً منها حتى انتهيت إليه فوجدت وأعلمته الخبر فقال: نعم قد جاءني وانصرف فخرجت إلى امرأتي فقلت لها

جاء أحد بعدي فدخل هذا الباب؟ فقالت: لا والله ما فارقت الباب ولا فتحت الأقفال حتى جئت.

قال: وروي لي علي بن محمد بن الحسن الأنباري أخو صندل قال: بلغني من جهة أخرى أنه لما صار إليه هند بن الحجاج قال له العبد الصالح عليه السلام عند انصرافه إن شئت رجعت إلى موضعك ولك الجنة وإن شئت انصرفت إلى منزلك فقال: أرجع إلى موضعي في السجن⁽¹⁾.
إن شاء جعل لك خيراً من ذلك:

روى الطبري في دلائله: ... حدثنا وكيع قال حدثنا الأعمش، قال: لحقت موسى بن جعفر كاظم الغيظ وهو في حبس الرشيد فرأيتَه يخرج من حبسه ويغيب ويدخل من حيث لا يرى⁽²⁾.

وعن الأعمش قال: رأيت موسى بن جعفر وقد أتى شجرة مقطوعة موضوعة فمسها بيده فأورقت ثم اجتنى منها ثمراً وأطعمني⁽³⁾.
وقال أبو جعفر حدثنا هشام بن منصور عن رشيق مولى الرشيد قال: وجه بي الرشيد في قتل موسى بن جعفر لأقتله فهز عصي كانت في يده، فلذا هي أفعى، وأخذ هارون الحمي. ووقعت الأفعى في عنقه حتى وجهه الي باطلاقه فأطلقت عنه⁽⁴⁾.

(1) بحار الأنوار، ج 48، ص 241

(2) دلائل الطبري، ص 155.

(3) المرجع نفسه، ص 155.

(4) المرجع نفسه، ص 155.

اتصال العلماء والاصحاب بالامام الكاظم (ع):

إن محاولة زج الإمام الكاظم (ع) في غياهب السجن والتضييق عليه محاولة أئمة هادفة إلى عزل الإمام (ع) عن محيطه وأشباعه واتباعه. بحيث يصبح الاتصال به معدوماً وبذلك يفقد الامام (ع) تدريجياً الطابع الشعبي الذي يتمتع به من جهة، ويأمن الرشيد الخطر المتأتي من شخص الإمام من جهة أخرى. ولكن من مثل الكاظم (ع) يأبى العيش في الضيم والشجى، فهبُّ عليه السلام يلج الغياهب، هب جليداً، شديد القوى، ذي مرة فاستوى يسوي نفوساً وعقولاً، يبني في هام النجوم مسالكاً، يبني في صفحات الامامة قصرًا مشيداً. فشمس طه على جبينه تلالاً، فتسابت العلماء تقبس من صفاء حلي انواره. جدت سيرها صوب منارة بيضاء غراء، تهدي إلى طريق المكرمات. فمن مثل الكاظم (ع) لا توهي الايام عزائمه فكان كالطود يحملها كريمٌ سيد.

الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه:

اتصل موسى بن إبراهيم المرزوي: بالكاظم (ع) وهو داخل السجن، وقد سمح له السندي بذلك لأنه كان معلماً لولده وقد الف كتاباً سمعه من الإمام (ع) وضعه تحت عنوان "مسند الإمام موسى بن جعفر" يحتوي "59 حديثاً" نذكر منها:

عن محمد بن خلف حدثنا موسى بن إبراهيم، حدثنا موسى بن جعفر | محمد عن ابيه عن جده قال: قال رسول الله (ص) "من أصبح من لئلاً وهمته غير الله فليس من الله".

وبنفس الاسناد عن الرسول الله (ص): أن العجب يفسد عمل سبعين سنة.

وبنفس الاسناد قال (ع) عن علي (ع): المصافحة أثبت للمودة.
قال (ع): أن الحسن والحسين (ع) كانا لا يقبلان جوائز معاوية.
قال (ع): قال رسول الله (ص): ثلاث لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم.
قال (ع): قال رسول الله (ص): أفضل أخلاق المؤمنين العفو.
قال (ع): قال رسول الله (ص): من عفا عن أخيه المسلم عفا الله عنه (1).

إنما يتذكر أولوا الألباب: أبو يوسف ومحمد بن الحسن:

لما حبس هارون موسى الكاظم (ع) دخل عليه في غلس الليل أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا أبي حنيفة وقد أرادا اختباره في بعض المسائل المهمة ليطلعا على مدى علمه. ولما استقر بهما المجلس جاء إلى الامام بعض الموظفين في السجن فقال له: إن نوبتي قد فرغت وأريد الانصراف، فإن كانت لك حاجة فامرني أن أتيك بها غدا، فقال (ع): ليس لي حاجة انصرف، فلما انصرف، التفت (ع) إلى أبي يوسف وصاحبه فقال لهما: "إنني لأعجب من هذا الرجل يسألني أن أكلفه حاجة يأتيني بها غداً إذا جاء وهو ميت في هذه الليلة" فأمسكا عن سؤاله، وقاما، وقد استولى عليهما الذهول وجعل كل واحد منهما يقول لصاحبه:

(1) حياة الامام موسى بن جعفر: القرشي، ج 2، ص 330 نقلاً عن النجاشي، ص 319.

أردنا أن نسأله عن الفرض، والسنة، فأخذ يتكلم معنا في علم الغيب!!
والله لنرسلن خلف الرجل من بيت علي باب داره لينظر ماذا يكون من
أمره؟ وأرسلا في الوقت شخصاً فجلس علي باب دار الرجل يراقبه فلما
استقر في مكانه سمع الصراخ والعيول قد علا من الدار، فسأل عن الحادث
فأخبر بأن الرجل قد توفي، فقام مبادراً وأخبرهما بالأمر، فتعجبنا من علم
الإمام (1).

رده (ع) علي كتاب علي بن سويد:

عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن إسماعيل بن مهرا، عن محمد
ابن منصور، عن علي بن سويد قال: كتبت إلى أبي الحسن موسى عليه
السلام وهو في الحبس كتاباً أسأله عن حاله وعن مسائل كثيرة فاحتبس
الجواب علي، ثم أجابني بجواب هذه نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله العلي العظيم الذي بعظمته ونوره
أبصر قلوب المؤمنين، وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره
ابتغى من في السماوات ومن في الأرض إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة،
والأديان المتضادة فمصيب ومخطيء، وضال ومهتد، وسميع وأصم، وبصير
وأعمى حيران فالحمد لله الذي عرف ووصف دينه محمداً صلى الله عليه
وسلم.

أما بعد فإنك امرؤ أنزلك الله من آل محمد بمنزلة خاصة، وحفظ مولد

(1) القرشي، ص 490-491/ الفصول المهمة، ص 238/ نور الأبصار، ص 166
الأتحاف، ص 154

ما استرعاك من دينه، وما ألهمك من رشدك وبصرك من أمر دينك (و) بتفضيلك إياهم وبردك الأمور إليهم كتبت تسألني عن أمور كنت منها في ثقة ومن كتمانها في سعة، فلما انقضى سلطان الجبابة، وجاء سلطان ذي سلطان العظيم، بفراق الدنيا المزمومة إلى أهلها، العتاة على خالقهم؛ رأيت أن أفسر لك ما سألتني عنه مخافة أن يدخل الحيرة على ضعفاء شيعتنا من قبل جهالتهم فاتق الله جل نكره وخص بذلك الأمر أهله، واحذر أن تكون سبب بلية الأوصياء، أو حارساً عليهم بإفشاء ما استودعتك واظهار ما استكتمت، ولن تفعل إن شاء الله.

إن أول ما انهي إليك أني أنعي إليك نفسي في ليالي هذه، غير جازع ولا نادم، ولا شاك فيما هو كائن، مما قد قضى الله جل وعز وحتم، فاستمسك بعروة الدين آل محمد، والعروة الوثقى الوصي بعد الوصي والمسالمة لهم والرضا بما قالوا ولا تلتمس دين من ليس من شيعتك، ولا تحبن دينهم فإنهم الخائنون الذين خانوا الله ورسوله وخانوا أماناتهم، وتدرى ما خانوا أماناتهم؟ أئتمنوا على كتاب الله فحرفوه وبدلوه، ودلّوا على ولاية الأمر منهم فانصرفوا عنهم، فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون.

وسألت عن رجلين اغتصبا رجلاً مالا كان ينفقه على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل وفي سبيل الله، فلما اغتصبا ذلك لم يرضيا حيث غصبا حتى حملاه إياه كرها فوق رقبتة إلى منزلها. فلما أحرزاه توليا إنفاقه أبلغان بذلك كفراً؟ فلعمري لقد نافقا قبل ذلك ورداً على الله جل وعز كلامه وهزءاً برسوله صلى الله عليه وسلم وهما الكافران عليهما لعنة الله والملائكة والناس

أجمعين، والله ما دخل قلب أحد منهما شيء من الإيمان منذ خروجهما من حالتيهما، وما ازدادا إلا شكا كانا خداعين مرتابين منافقين حتى توفتهما ملائكة العذاب إلى محل الخزي في دار المقام. وسألت عن من حضر ذلك الرجل وهو يغصب ماله ويوضع على رقبتة منهم عارف ومنكر، فأولئك أهل الردة الأولى ومن هذه الأمة فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وسألت عن مبلغ علمنا وهو على ثلاثة وجوه: ماض وغابر وحادث، فأما الماضي فمفسر وأما الغابر فمكتوب، وأما الحادث فقذف في القلوب ونقر في الأسماع وهو أفضل علمنا ولا نبي بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وسألت عن أمهات أولادهم فهن عواهر إلى يوم القيامة نكاح بغير ولي وطلاق لغير عدة، وأما من دخل في دعوتنا فقد هدم إيمانه ضلاله وبقينه شكه، وسألت عن الزكاة فيهم فما كان من الزكوات فأنتم أحق به لأننا قد أحلنا ذلك لكم من كان منكم وأين كان، وسألت عن الضعفاء فالضعيف من لم ترفع إليه حجة، ولم يعرف الاختلاف، فإذا عرف الاختلاف فليس بضعيف.

وسألت عن الشهادات لهم فأقم الشهادة لله عز وجل ولو على نفسك أو الوالدين والأقربين فيما بينك وبينهم، فإن خفت على أخيك ضيما فلا وادع إلى شرائط الله عز ذكره بمعرفتنا من رجوت إجابته، ولا تحضر حصن زنا ووال آل محمد ولا تقل لما بلغك عنا ونسب إلينا هذا باطل، وإن كنت تعرفنا منا خلافة فإنك لا تدري لما قلناه، وعلى أي وجه وصفناه آمن بما أخبرنا ولا تفش ما استكتمناك من خبرك إن من واجب حق أخيك أن لا تكتمه شيئا

تفعله به لأمر دنياه وآخرته، ولا تحقد عليه وإن أساء، وأجب دعوته إذا دعاك، ولا تخل بينه وبين عدوه من الناس وإن كان أقرب إليك منك، وعده في مرضه، ليس من أخلاق المؤمنين الغش، ولا الأذى ولا الخيانة، ولا الكبر، ولا الخنا، ولا الفحش ولا الأمر به، فإذا رأيت المشوه الأعرابي في جفل جرار فانتظر فرجك ولشيعتك المؤمنين، فإذا انكسفت الشمس فارفع بصرك إلى السماء وانظر ما فعل الله عز وجل بالمجرمين فقد فسرت لك جملاً جملاً وصلى الله على محمد وآله الأخيار (1).

عهده إلى الإمام الرضا (ع):

عن الحسين بن المختار قال: لما كان الإمام موسى في السجن خرجت لنا ألواح من عنده وقد كتب فيها "عهدي إلى أكبر ولدي" (2).

إنا كفييناك المستهزئين: محاولة الرشيد إسقاط الإمام الكاظم (ع) معنوياً:

لقد زاد ضيق السجن وقسوته من عزائم الإمام (ع)، زاد من صبره على المكاره فأمضى أيامه شاكراً حامداً، متفرغاً للعبادة، وكان السجن باب من أبواب النعم (ع)، يستحق عليه الشكر لله تعالى: حتى عرف عنه دعائه: "اللهم، أنك تعلم أنني كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك، اللهم وقد فعلت فلك الحمد"، وقد حاول الرشيد استغلال هذا الجانب العبادي، والروحانية اللامتناهية، جهد إلى إفراغها من محتواها الديني، جهد إلى اغتيال شخصية الإمام الكاظم (ع) بإسقاطه معنوياً من خلال نقض الفكرة القائلة بزهد الإمام

(1) بحار الأنوار، ج 48، ص 242 - 244.

(2) القرشي، ج 2، ص 493.

وبعده عن الدنيا وزخارفها. فالرشيد يعلم أن مجرد سماع الناس إقدام الكاظم (ع) على المذاذات كافياً بتحطيمه معنوياً واجتماعياً، بحيث تظهر الشكوك حول شخصية.

... قال العامري: إن هارون الرشيد أنفذ إلى موسى بن جعفر جارية خصيفة، لها جمال ووضاءة لتخدمه في السجن. فقال قل له "بل أنتم بهديتكم تفرحون" لا حاجة لي في هذه ولا في أمثالها، قال: فاستطار هارون غضباً وقال: ارجع إليه وقل له: ليس برضاك حبسناك، ولا برضاك أخذناك، واترك الجارية عنده وانصرف.

قال: فمضى ورجع ثم قام هارون عن مجلسه وأنفذ الخادم إليه ليستفحص عن حالها فرآها ساجدة لربها لا ترفع رأسها تقول: قدوس سبحانك سبحانك.

فقال هارون: سحرها والله موسى بن جعفر بسحره، علي بها، فأتي بها وهي ترعد شاخصة نحو السماء بصرها فقال: ما شأنك؟ قالت: شأني الشأن البديع إني كنت عنده واقفة وهو قائم يصلي ليله ونهاره، فلما انصرف عن صلاته بوجهه وهو يسبح الله ويقدهه قلت: يا سيدي هل لك حاجة أعطيكها؟ قال: وما حاجتي إليك؟ قلت: إني دخلت عليك لحوائجك قال: فما بال هؤلاء؟ قالت: فالتفت فإذا روضة مزهرة لا أبلغ آخرها من أولها بنظري، ولا أولها من آخرها، فيها مجالس مفروشة بالوشى والديباج، وعليها وصفاء ووصايف لم أر مثل وجوههم حسناً، ولا مثل لباسهم لباساً، عليهم الحرير الأخضر

والأكاليل والدر والياقوت، وفي أيديهم الأباريق والمناديل ومن كل الطعام، فخررت ساجدة حتى أقامني هذا الخادم فرأيت نفسي حيث كنت.

قال: فقال هارون: يا خبيثة لعلك سجدت ففمت فرأيت هذا في منامك؟ قالت: لا والله يا سيدي إلا قبل سجودي رأيت فسجدت من أجل ذلك فقال الرشيد: اقبط هذه الخبيثة إليك، فلا يسمع هذا منها أحد، فأقبلت في الصلاة، فإذا قيل لها في ذلك قالت: هكذا رأيت العبد الصالح عليه السلام فسئلت عن قولها قالت: إني لما عاينت من الأمر ناديتي الجواري يا فلانة أبعدي عن العبد الصالح، حتى ندخل عليه فنحن له دونك، فما زالت كذلك حتى ماتت، وذلك قبل موت موسى بأيام يسيرة⁽¹⁾.

وأسفاً على الرشيد فقد أخطأ الصواب والتوفيق، فما ذاع على لسان الجارية وموقفها العبادي أضاف وثيقة جديدة للتاريخ عن رفعة وسمو ومكانة هذا العابد المتبل؛ عن هذا النور المتألق المنبثق عن ذاك المصباح الدرّي، المنبثق عن مشكاة القداسة؛ حتى أن أخت السندي تبدي اجلاً واحتراماً لذلك العبير المنتشي بالورع والتقوى فتقول: "خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل".

وليمحص ما في قلوبكم : تميمات ذبلي على شفاه الرشيد:

حريٌ بالنفس المرملة، النفس التي استوت طبيعتها على الرمال، أن تظل ملعب أعاصير، لا تثبت على أمرها على حال. فهي تتزلق ولا تستقر، تظل لاهثة تدور بغیظها اللافح ثم لا تسكت إلا بعد أن ترسم معالم الفناء.

استدعى هارون الرشيد وزيره يحيى بن خالد فقال له: "يا أبا علي أما

(1) بحار الانوار، ج 48، ص 238 - 239 / المناقب، ج 4، ص 1165.

تري ما نحن فيه من هذه العجائب؟ ألا تدبر في أمر هذا الرجل تدبيراً تريحنا من غمه؟

فقال له يحيى بن خالد: الذي اراه لك يا أمير المؤمنين أن تمتن عليه وتصل رحمه فقد والله أفسد علينا قلوب شيعتنا (وكان يحيى يتولاه، وهارون لا يعلم)⁽¹⁾. فقال هارون: انطلق اليه واطلق عنه الحديد وابلغه عني السلام وقل له: يقول لك ابن عمك إنه قد سبق مني فيك يمين أني لا أخليك حتى تقر لي بالاساءة وتسالني العفو عما سلف منك، وليس عليك في اقرارك عار ولا في مسألتك إياي منقصة. وهذا يحيى بن خالد هو ثقتي ووزيرى وصاحب أمري فسله بقدر ما أخرج من يمين وانصرف راشداً.

قال محمد بن غياث: فأخبرني موسى بن يحيى بن خالد أن أبا إبراهيم قال يحيى: يا أبا علي أنا ميت، وإنما بقي من أجلي اسبوع، اكنم موتي وانتني يوم الجمعة عند الزوال. وصل علي أنت وأولياي فرادى وانظر إذا سار هذا الطاغية إلى الرقة وعاد إلى العراق لا يراك ولا تراه لنفسك. فإني رأيت في نجمك ونجم ولدك أنه يأتي عليكم فاحذروه.

ثم قال: يا أبا علي ابلغه عني يقول لك موسى بن جعفر: رسولي يأتيك يوم الجمعة فيخبرك ما ترى. وستعلم غدا إذا جائتتك بين يدي الله من الظالم والمعتدي على صاحبه والسلام.

(1) ما ذكر في الرواية أن يحيى كان يتولى الإمام الكاظم (ع) يدفع للتساؤل حيث أظهره روايات أن يحيى بن خالد هو الذي أشار على الرشيد تدبير أمر الكاظم وأنه يكفيه أمر فخرج إلى بغداد فدعا السندي فأمره بأمره وقد جعل سماً في طعامه فقدمه إليه. (المناقب لشهر آشوب، ص 1189، ج 4).

فخرج يحيى من عنده واحمرت عيناه من البكاء حتى دخل على هارون فأخبره بقصته وما ورد عليه. فقال هارون: أن لم يدع النبوة بعد أيام فما أحسن حالنا. فلما كان يوم الجمعة توفي أبو إبراهيم (ع) ⁽¹⁾.

اغتيال الإمام الكاظم (ع):

اتفق أكثر المؤرخون أن الإمام الكاظم (ع) مضى شهيداً مسموماً بإيعاز من الرشيد إلى السندي بن شاهك.

رواية المسعودي:

نكر المسعودي: حبس الغوي - أي الرشيد - في يد السندي بن شاهك، ولم يزالوا يوقعون الحيلة (أي البرامكة) حتى بعث الغوي إلى السندي يأمره أن يقتله بالسم، وأن يحضروه قبل ذلك العدول والقضاة حتى يروه، وكان الناس إذا دخلوا دار السندي رأوا أبا إبراهيم (ع)... وادخل السندي القضاة قبل موته بثلاثة أيام فأخرجهم إليهم وقال لهم: أن الناس يقولون إن أبا الحسن في يدي في ضنك وضرر. ها هو ذا صحيح لا علة به ولا مرض ولا ضرر.

فالتفت (ع) فقال لهم: اشهدوا على إني مقتول بالسم بعد ثلاثة أيام فانصرفوا.

ويتابع المسعودي: أن السندي اطعمه السم في رطب وأنه أكل منها عشر رطبات.

(1) بحار الأنوار، ج 48، ص 230.

فقال له السندي: تزداد.

فقال له: حسبك قد بلغت ما تحتاج إليه فيما أمرت به.

وكان السم مما يتلف بعد ثلاثة أيام، ثم احضر القضاة والعدول وأراهم إياه، فقال (ع): اشهدوا أنني صحيح الظاهر لكني مسموم سأحمر في هذا اليوم حمرة شديدة منكرة، وأصفر غدا صفرة شديدة منكرة، وأبيض بعد غد وأمضي إلى رحمة الله ورضوانه. فمضى (ع) في آخر اليوم الثالث من سنة 183هـ وكان سنه أربعاً وخمسين سنة.

وأخرجه السندي إلى مجلس الشرطة من الجسر ببغداد، وكشف وجهه ونادى عليه من أراد أن ينظر إلى موسى بن جعفر، قد مات حتف أنفه لا هو مسموم ولا هو مقتول، فليحضر من أراد ونظروا إليه ثم حمل واتبعه الناس حتى دفن في موضع كان ابتاعه لنفسه في مقابر قريش بمدينة السلام⁽¹⁾.
رواية نعمة الله الموسوي الجزائري:

قبض موسى بن جعفر ببغداد في حبس الرشيد، استشهد بعد مضي خمسة عشرة سنة من ملك هارون في رطب وقيل في طعام قدم إليه، وأنه لا شك أن الامام موسى بن جعفر كان سمّه هارون الرشيد⁽²⁾.
رواية ابن خلكان قيل أنه مات مسموماً⁽³⁾.

(1) اثبات الوصية: ص 212 - 213.

(2) الانوار النعمانية: ص 379.

(3) وفيات الأعيان، ج 5، ص 310.

رواية ابن شهر آشوب: بعد مضي خمسة عشر سنة من ملك الرشيد
استشهد في حبس الرشيد على يدي السندي بن شاهك سقاء السندي سماً في
رطب أو طعام آخر ولبث ثلاثاً بعده موعوكاً ثم مات. وكانت وفاته في
مسجد هارون الرشيد المعروف بمسجد المسيب وهو في الجانب الغربي من
باب الكوفة لأنه نقل إليه من دار تعرف بدار عمروية.

ولما مات أخرجه السندي ووضعه على الجسر ببغداد ونودي: هذا
موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنه لا يموت فانظروا إليه.
وقيل أنه نفر بالسندي فرسه نفرة وألقاه في الماء فغرق فيه وفرق الله
جموع يحيى بن خالد⁽¹⁾.

رواية ابن الصاغ المالكي:

لما بلغ الرشيد كتاب عيسى بن جعفر كتب إلى السندي بن شاهك أن
يتسلم موسى بن جعفر من عيسى، وأمره فيه بأمره، فكان الذي تولى
به السندي قتله أن جعل له سماً في طعام وقدمه إليه، وقيل في رطب
فأكل منه موسى بن جعفر (ع). ثم أنه أقام موعوكاً ثلاثة أيام ومات.

ولما مات موسى بن جعفر (ع) أدخل السندي بن شاهك (لعنه الله)
للقهاء ووجوه الناس من أهل بغداد وفيهم أبو الهيثم بن عدي وغيره ينظرون
إليه أنه ليس به أثر من جراح أو فعل أو خنق وأنه مات حتف أنفه، فأمر
يحيى بن خالد أن يوضع على الجسر ببغداد وأن ينادي هذا موسى بن جعفر

(1) المناقب، راجع ج 4، ص 1186 - 1189.

الذي تزعم الراقصة أنه لا يموت، فانظروا إليه ميتا فنظر الناس إليه ثم إنه حمل ودفن في مقابر قريش بباب التبن (1).

رواية الطبري:

وكان سبب وفاته أن يحيى بن خالد سمه في رطب وريحان أرسلهما إليه مسمومين بأمر الرشيد ولما سم وجه إليه بشهود حتى يشهدوا عليه بخروجه عن املاكه فلما دخلوا قال: يا فلان يا فلان سقيت السم في يومي هذا وفي غد يصار بدني ويحمار وبعد غد يسود وأموت فانصرف الشهود من عنده فكان كما كان، وتولى أمره ابنه علي الرضا (ع) (2).

السندي بن شاهك ومشاعر الذنب:

... عن سعد عن اليقطيني، عن الحسن بن محمد بن بشار قال: حدثني شيخ من أهل قطيعة الربيع من العامة ممن كان يقبل قوله قال: قال لي: قد رأيت بعض من يقرون بفضله من أهل هذا البيت فما رأيت مثله قط في نسكه وفضله قال: قلت: من؟ وكيف رأيت؟ قال: جمعنا أيام السندي بن شاهك ثمانين رجلا من الوجوه ممن ينسب إلى الخير، فأدخلنا على موسى بن جعفر فقال لنا السندي: يا هؤلاء انظروا إلى هذا الرجل هل حدث به حدث؟ فإن الناس يزعمون أنه قد فعل مكروه به ويكثرون في ذلك، وهذا منزله وفرشه

(1) الفصول المهمة، ص 237/الاتحاف: الشبراوي، ص 153/الارشاد:

المفيد، ص 242/مقاتل الطالبين: أبو الفرج الاصفهاني، ص 333.

(2) دلائل الامامة: ص 146.

موسع عليه غير مضيق ولم يرد به أمير المؤمنين سوءاً، وإنما ينتظره أن
يقم فيناظره أمير المؤمنين، وما هو ذا صحيح، موسع عليه في جميع أمره
فاسألوه.

قال: ونحن ليس لنا همٌ إلا النظر إلى الرجل، وإلى فضله فقال: أما ما
نكر من التوسعة وما أشبه ذلك فهو على ما ذكره غير أنني أخبركم يا أيها
النفر إني قد سقيت السم في تسع تمرات وإني أخضر غداً وبعد غد أموت.
قال: فنظرت إلى السندي بن شاهك يرتعد ويضطرب مثل السعفة، قال
الحسن: وكان هذا الشيخ من خيار العامة شيخ صديق، مقبول القول، ثقة ثقة
جداً عند الناس⁽¹⁾.

نعي الامام الكاظم (ع) نفسه، وطى الأرض له (ع):

... ثم إن سيدنا موسى عليه السلام دعا بالمسيب وذلك قبل وفاته بثلاثة
أيام وكان موكلاً به فقال له: يا مسيب فقال: لبيك يا مولاي قال: إني ظاعن
في هذه الليلة إلى المدينة، مدينة جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعهد
إلى علي ابني ما عهدته إلي أبي وأجعله وصيي وخليفتي، وأمره بأمري قال
المسيب: فقلت: يا مولاي كيف تأمرني أن أفتح لك الأبواب وأقفالها،
والحرس معي على الأبواب؟ فقال: يا مسيب ضعف يقينك في الله عز وجل
وفينا؟ فقلت: لا يا سيدي قال: فمه؟ قلت: يا سيدي ادع الله أن يثبتني فقال:
اللهم ثبته.

(1) بحار الانوار، ص 212 / عيون أخبار الرضا: ج 1، ص 91.

ثم قال: إني أدعو الله عز وجل باسمه العظيم الذي دعا به آصف حتى جاء بسرير بلقيس فوضعه بين يدي سليمان قبل ارتداد طرفه إليه حتى يجمع بيني وبين ابني علي بالمدينة، قال المسيب: فسمعتة عليه السلام يدعو ففقدته عن مصلاه، فلم أزل قائماً على قدمي حتى رأيتة قد عاد إلى مكانه وأعاد الحديد إلى رجليه فخررت لله ساجداً لوجهي شكراً على ما أنعم به علي من معرفته.

فقال لي: ارفع رأسك يا مسيب واعلم أنني راحل إلى الله عز وجل في ثالث هذا اليوم قال: فبكيت فقال لي: لا تبك يا مسيب فإن علياً ابني هو إمامك، ومولاك بعدي فاستمسك بولايته، فإنك لا تضل ما لزمته فقلت: الحمد لله.

قال: ثم إن سيدي عليه السلام دعاني في ليلة اليوم الثالث فقال لي: إني على ما عرفتك من الرحيل إلى الله عز وجل فإذا دعوت بشربة من ماء فشربتها، ورأيتني قد انتفخت وارتفع بطني، واصفر لوني، واحمر واخضر، وتلون ألوانا فخير الطاغية بوفاتي، فإذا رأيت بي هذا الحدث فإياك أن تظهر عليه أحداً، ولا على من عندي إلا بعد وفاتي.

قال المسيب بن زهير: فلم أزل أرقب وعده حتى دعا عليه السلام بالشربة فشربها ثم دعاني فقال لي: يا مسيب إن هذا الرجس المسندي بن شاهك سيزعم أنه يتولى غسلني، ودفني، وهيهات هيهات أن يكون ذلك أبداً فإذا حملت إلى المقبرة المعروفة بمقابر قريش فألحدوني بها ولا ترفعوا قبوري فوق أربع أصابع مفرجات ولا تأخذوا من تربتي شيئاً لتبركوا به، فإن كلف

تربة لنا محرمة إلا تربة جدي الحسين بن علي عليه السلام فإن الله عز وجل جعلها شفاء لشيعتنا وأوليائنا⁽¹⁾.

الامام الرضا (ع) يُغسل الامام الكاظم (ع) ويكفنه:

وتبين من الرواية التي اشرنا إليها عن المسعودي بأن الامام الرضا (ع) كان ينام كل ليلة على باب الامام الكاظم (ع) يفرش له في الدهليز، فمكث على هذه الحال أربع سنين وقال مسافر مولاه ولما كان ليلة من الليالي وقد فرشنا للإمام الرضا (ع) على عادته فابطأ عنا فلم يأت كما كان يأتي فاستوحش العيال وذعروا وتداخلهم من ابطائه وحشه حتى اصبحنا فإذا هو قد جاء وحضر الدار⁽²⁾.

ترتبط هذه الرواية بالحديث الذي ذكره المسيب بن زهير بأن الرضا (ع) حضر غسل تكفين الامام وتجهيزه. وهذا وليس بغريب على آل بيت النبوة وقد شهدنا صفحات مشرعة من معجزات الامام الكاظم (ع) آخرها طي الارض له في الليلة التي ذهب فيها إلى مدينة جده رسول الله (ص) وعودته إلى مكانه في السجن.

في رواية المسيب بن زهير أن الامام (ع) قال له: يا مسيب: أن هذا الرجل السندي بن شاهك سيزعم أنه يتولى غسلي ودفني، وهيئات هيئات أن يكون ذلك أبدا..

(1) بحار الأنوار، ج 48، ص 224/ دلائل الامامة: الطبري، ص 149 مع اختلاف في السرد.

(2) اثبات الوصية: المسعودي، ص 212-213/ بحار الأنوار، ج 48، ص 246

قال المسيب بن زهير : ثم رأيت شخصاً أشبه الأشخاص به عليه السلام جالساً إلى جانبه، وكان عهدي بسيدي الرضا عليه السلام وهو غلام فأرنت سؤاله فصاح بي سيدي موسى عليه السلام وقال لي: أليس قد نهيتك يا مسيب؟ فلم أزل صابراً حتى مضى، وغاب الشخص ثم أنهيت الخبر إلى الرشيد فوافي السندي بن شاهك فواته لقد رأيتهم بعيني وهم يظنون أنهم يغسلونه فلا تصل أيديهم إليه، ويظنون أنهم يحنطونه ويكفونونه وأراهم لا يصنعون به شيئاً، ورأيت ذلك الشخص يتولى غسله وتحنيطه وتكفينه وهو يظهر المعاونة لهم، وهم لا يعرفونه.

فلما فرغ من أمره قال لي ذلك الشخص: يا مسيب مهما شككت فيه فلا تشكن في فاني إمامك ومولاك، وحجة الله عليك بعد أبي يا مسيب مثلي مثل يوسف الصديق عليه السلام ومثلهم مثل إخوته حين دخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون. ثم حمل عليه السلام حتى دفن في مقابر قریش، ولم يرفع قبره أكثر مما أمر به ثم رفعوا قبره بعد ذلك وبنوا عليه⁽¹⁾.

(1) بحار الانوار، ج48، ص 225./ دلائل الامامة: الطبري، ص151.

الفصل الخامس: مسيرة الإمام الكاظم (ع) الجهادية

- على هامش المسيرة
- بين نهج الامام الكاظم(ع) والخلفاء العباسيون
- الإمامة هذا الشجى المعترض في الحلق
- جعفر مَلِك الرشيد فهو رهين عنده
- هارون في سمع التاريخ
- كاظم(ع) يجمع اليه الخمس ورشيد يجي اليه الخراج
- خراج مملكة الرشيد بين البدخ والترف
- هو الخيال هو الأسطورة
- من الخليفة الى من هم دونه: البرامكة
- من أين لك هذا
- هذا للبرامكة وللأئمة المصادرة
- النهج السياسي للإمام الكاظم(ع)
- الامام الكاظم(ع) ما بين الجهاد الصامت والجهاد الناطق
- هي شكوى واحدة
- وفاته (ع)
- الامام الكاظم(ع) مسجى على جسر الرصافة ببغداد
- وداع

مسيرة الإمام الكاظم (ع) الجهادية

على هامش المسيرة:

امتدت إمامة موسى بن جعفر الكاظم (ع) خمسة وثلاثين عاماً (148-183 للهجرة). وقد كانت لنا صفحات مشرعة عن سياسة الخلفاء العباسيين الذين عاصروهم الإمام الكاظم (ع)، سياسة تتالت فصولها مع كل منهم لتجد لها نهاية مع هارون الرشيد الذي تطالعك الروايات بالكثير عن شخصيته الموزعة بين الهدى والهوى. شخصية تحكمها ميول متعاكسة وعناصر متضادة.

في حين نجد هبأة حول الإمام الكاظم (ع)، والتراث الفكري الطافح بالتطلع غير المحدود إلى رؤى الآفاق المحمدية. ولعل السبب في ذلك شدة الرقابة والقسوة التي فرضها الخلفاء العباسيون على الإمام الكاظم (ع) وعلى شيعته وأصحابه. وقد يكون هناك سبب آخر في إحجام أصحاب الأقلام عن تسجيل الحقائق، هو التوجه إلى تسجيل ما يرضي الخلفاء وذلك زلفى إليهم. ولكن إذا ما تتبعنا أخبار التاريخ، وأخبار الرواة والنهج العام للإمام الكاظم (ع) والظروف التي مر بها عليه السلام، وإلى تتبع الأصول العامة لفكره ومبادئه، نستطيع أن نقف على المعالم الهامة في حياة هذا الإمام الذي شهدت إمامته التعسف والجور والظلم وسفك الدماء من بني العباس، كما شهدت العصر المائج في الوان الدنيا وزخارفها خاصة فترة خلافة هارون الرشيد الذي جنح إلى الظلمة المتجهم، إلى الغرائز العمياء التي كانت تخبط خبط

الطيش، وتسعى سعي العبث في أحشاء الليل.

بين نهج الإمام الكاظم (ع) والخلفاء العباسيون:

وأنت مع مسيرة الإمام الكاظم (ع) يطالعك اتجاهان على خط نقبض:
خط الإمام الكاظم (ع) المفعم بالصفاء والعبادة والمكارم، يطالعك إنسان سما
فوق الزمان؛ فالزمان يتصاغر عنده، لأنه عليه السلام بمغزاه أكرم من أن
يجيء في حدود الزمان. فالكاظم (ع) ليس من طبيعة هذا الزمن ولا من
حياته. أنت أمام إمام وعى حقيقته وسر وجوده، وعى النهج الملقى على
عائقته بحكم دوره إمام ابن إمام والد إمام؛ فكانت مسيرته (ع) انعكاساً للنهج
الرسالي المحمدي بالرغم من المحن التي ألمت به، فكان جهاده مريراً وقد
بلغ ذروته في عهد هارون الرشيد.

وخط الخلفاء العباسيين الذي اتسم بالقهر والغلبة والقسوة، والانبهار
بالمك، لقد كان لنا صفحات مشرعة مع الخلفاء العباسيين بدءاً من أولهم؛
أبي العباس السفاح القائل "أنا السفاح المبيح والثائر المبير"⁽¹⁾ إلى المنصور
القائل عند قتله أبا مسلم: "وإن من نازعنا عروة هذا القميص أوطأنا أم رأسه
في هذا الغمد"⁽²⁾ إلى وصية هارون لابنه المأمون: "والله يا بني لو نازعتني
هذا الأمر لأخذت الذي فيه عيناك، فإن الملك عقيم"⁽³⁾.

هذا الخط يطالعك زمن تحول مع خلفاء بني العباس إلى مادة صماء.

(1) البداية والنهاية، ج 10، ص 44 - 45/ تاريخ الطبري، أحداث سنة 132.

(2) البداية والنهاية، ج 10، ص 76.

(3) عيون أخبار الرضا: الصدوق، ج 1، ص 86.

طامسة، زمن شهد الإلحاح في اللهو والتترف، زمن تمخض فيه الجور والظلم عن نوائح تبكي في الظلام المجنح. وما هذا الظلم والجور وسفك الدماء إلا رعب وهول من ضياع سلطانهم امام ثورات التمرد التي شهدتها تلك الفترة من الخلافة خاصة بعدما تكشفت أهداف بني العباس، وتكشف البون الشاسع بين انطلاق الدعوة ونهايتها.

وسبباً آخر، وهو الأبرز؛ الخوف من الإمامة. لقد كانت الإمامة في نظر الخلفاء العباسيين أكثر مما كانت عند الأمويين. كانت شبحاً مرعباً، وطيفاً بغيضاً في أعينهم، وقد جهد كل منهم إلى اغتيالها باختلاق المعانير والأساليب التي تخوله تنفيذ هذا الاغتيال.

لقد كانت المواجهة آنذاك بين الإمام الكاظم (ع) والخلفاء العباسيين مواجهة بين الحق والباطل. مواجهة بين الدين والدنيا. وكان لنا صفحات عن سيرة الإمام الكاظم (ع) الذي ما عرفه التاريخ سوى العبد الصالح، زين المجتهدين، صاحب الدموع الغزيرة من خشية ربه، إنسان كنت تجسبه ثوباً مطروحاً من طول سجوده. ما عرفه التاريخ إلا من أهل الجود والمكرّمات والمعجزات، من أهل الجود في مواضع الجود، في مواضع قضاء حوائج الفقراء والمحتاجين والغارمين.

في المقابل كان لنا صفحات عن سيرة خلفاء بني العباس الذي بلغ السيل هام الزبي مع هارون الرشيد، في انغماسهم في القتل وسفك الدماء الى جانب انغماسهم في الملذات.

الإمامة هذا الشجى المعترض في الحلق:

مقولة تؤكد قول أحمد أمين "أنه قلما خلا خليفة عباسي من قتل إمام علوي"⁽¹⁾. مقولة طالما ردها أبو جعفر المنصور عن الإمام الصادق (ع)، وهي في حقيقة الأمر تخاطب الإمامة ومن يمثلها في كل زمان. قال المنصور: "هذا الشجى معترض في الحلق فلا أنا أبلعه ولا أنا لأفظه"⁽²⁾.

مقولة كانت تجيش في الصدر بدءاً من أبي العباس السفاح الذي سكت عن الإمام الصادق (ع) وعن بني طالب أثناء خلافته فلم يتعرض لهم بالقتل، هذا السكوت ما هو إلا بهلوانية فكرية قد لعبها أبي العباس، هو لعبة سياسية خفية ملؤها الخداع والمواربة أكثر منها ظاهرة خلقية. يكشف عنها قوله إلى بعض تقاته وقد خرج من عنده بنو الحسن: "قم بانزالهم ولا تأل في الطائفهم، واظهر الميل اليهم والتحامل علينا وعلى ناحيتنا وأنهم أحق بالأمر منا، كلما خلوت بهم أحصي لي ما يقولون وما يكون منهم في مسيرهم وفي مقدمهم"⁽³⁾.

وبقيت الإمامة مع المنصور مصدر رعب، مصدر رجحان غيظه وغضبه. كنت تراه كالأزي وقد اصطخبت أمواجه، استبتت به رعونته حتى بت لا تشم في سيرته إلا رائحة الدماء والغدر وقطع الرحم. عجباً؛ الإمامة التي تمثل الحق، بقيت حكاية الأمم المتجدد بين ضلوع بني العباس، وقد تحولت في حنايا المنصور إلى عاطفة مستكرهة مشبوبة عنيفة. ويتزايد هذا

(1) هارون الرشيد: ص 17.

(2) سيرة الأئمة الاطهار: مرتضى المطهري، ص 131.

(3) عصر المأمون: أحمد فريد الرفاعي، ج 1، ص 90.

الشعور كلما سمع نكر الإمامة أو من يمثلها أو يتبع خطاها، وقد تتبعنا قلقه من محمد، وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن حتى قتلتهما. حتى بتنا نسمع الاستنكار يتأتى من كل صوب: فمحمد بن عبد الله لما سمع قصيدة عبد الله ابن عمر العقيلي، بكى واستعبر وقال لعمه الحسن بن الحسن بن علي: "أتبكي علي بنى أمية، وأنت تريد بنى العباس؟ فقال والله يا عم لقد كنا نقمنا على بنى أمية ما نقمنا. فما بنو العباس إلا أقل خوفاً لله منهم. أن الحجة على بنى العباس لأوجب منا عليهم" ولقد كانت للقوم أخلاق ومكارم ليست لأبي جعفر (1).

وقال محمد بن عبد الله العلوي حين أمنه المنصور على نفسه: "أي أمان تعطيني أمان أبي هبيرة أم أمان عمك عبد الله، أم أمان أبي مسلم" (2).
على هذا النحو بقي المنصور يزار زئيراً كهزيم الرعد في الأرض العراء؛ ولم تهدأ ثورته ولم يستكن حتى أقدم على قتل الإمام الصادق (ع).
وبقي الشجى المعترض في الحلق:

وإن مضى الإمام الصادق (ع) بقي بروحه وفكره، بقي صدى الحق الذي صدح به ووطد معالمه من خلال جامعته العلمية، يستعاد مع ابنه الإمام الكاظم (ع)، وقد وعى المنصور أهمية دور الإمام الكاظم (ع) الذي إن لم يشهر السيف؛ فقد شهر سيفاً أقوى وأنفذ. لقد استطاع الإمام الكاظم (ع)

(1) عصر المأمون: ص 98/97.

(2) المرجع السابق، 99.

بنميره الأقدس أن يجري في عروق الأمة، يروى فيها الظما. استطاع أن ينفذ بوهج نوره في عقول الأمة. لقد وعى المنصور كل ذلك لكنه لم يتعرض للإمام الكاظم (ع): بل كنت ترى المنصور يلهث دوماً وراء نداء ماكر، تراه يسير كأنه في العماء، يتطاير في شبوب واستعار في أوار الحقد والغيط. وبقيت الإمامة الشجى المعترض في الحلق مع المهدي، وقد اعطى الإذن لنفسه بسجن الإمام الكاظم (ع)؛ فأوار الغيط والحقد من الإمامة بقي مستعراً في حنايا بني العباس، حتى بات جزءاً من كيانه، وبات الحق تائهاً ضائعاً لا يجد له كوة بين أضلعهم. ولكن الحق يابى إلا أن يكون له في ضمير الكون شاهد. فكانت رؤيا المهدي والتي لم تمهله حتى الفجر ليفرج عن الإمام الكاظم (ع).

ناهيك عن موسى الهادي وصرخته التي فلتت مذعورة تائهة، صرخ صرخة كمن صب على رأسه مذاب جمر، وهو يتوعد الإمام الكاظم (ع): "والله ما خرج حسين - صاحب فخ - إلا عن أمره، ولا اتبع إلا محبته، لأنه صاحب الوصية في أهل البيت. قتلني الله إن أبقيت عليه".⁽¹⁾

الإمامة في روع الرشيد قلق مهيض:

وأسوأ الخطوب وأخصب الشقاء أن يجمع التاريخ بين الإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع) وبين هارون الرشيد!

(1) الإمام موسى بن جعفر: القرشي، ج1، ص 472.

الإمام موسى الكاظم (ع) بسيرته المعطرة بعبق هو عبق التقوى؛ وعبير هو عبير الصدق، إمام تخال نفسك معه إنك في ليلة من ليالي القدر، إمام طبعت شخصيته من فرائد التاريخ، إمام يحدثك عنه محراب تجوهرت فيه قيم ما زالت الأجيال تحكي خبر طبيعتها وصقلها، قيم انتظمت من ذلك المحراب الأقدس، محراب النبوة، مهبط الوحي والتنزيل، إمام اجتمع المؤرخون على حقيقة شخصيته العابقة بالورع والتقوى، عن مقابلته الإساءة بالعفو أو بكظم الغيظ بلا شكوى.

نعم إنه لأسوأ الخطوب وأخصب الشقاء أن تجتمع هذه الشخصية الكريمة، مع هارون الرشيد الذي استفاضت الروايات حول شخصيته الموزعة بين الهدى والهوى. روايات في تناقضها تضعك تحت إلحاح التساؤلات الحيرى: فانت إمام الخليفة العابد الزاهد الذي يصلي مائة ركعة يومياً، خليفة يحج عاماً ويغزو آخر، ويتصدق من صلب ماله بألف درهم في كل يوم⁽¹⁾. وتارة إمام خليفة صريع الهوى واللذة والنشوة، يتهافت على اللهو يسرف أسرافاً لم يعرفه خليفة قبله⁽²⁾. يشاركه هذا الأسراف جعفر بن يحيى البرمكي الذي نكره المؤرخون؛ كان مسرفاً على نفسه غارقاً في بحر الملذات والمعاصي⁽³⁾. وقد بلغ من الرشيد حالة انفرد بها حتى أن الرشيد

(1) مقدمة ابن خلدون: ص 233 / تاريخ الخلفاء السيوطي، ص 284 / تاريخ بغداد، ج 14، ص 7.

(2) هارون الرشيد: أحمد أمين، ص 186.

(3) تاريخ الذهبي: أحداث، 181 - 190، ص 99.

كان لا يصبر عنه. وقد كان يجلس معه في حلة واحدة قد اتخذ لها جيبان⁽¹⁾.
ونكر الجهشياري أن الرشيد كان يسمى جعفرأ أخى ويدخله معه في ثوبه⁽²⁾.
وتارة أنت أمام خليفة غازيا يتولى قيادة الصانفة والشاتية⁽³⁾.

ومن تناول سيرة الرشيد صورته بالخليفة الباذخ المسرف في الترف،
وأحياناً الخليفة المحارب القوي العضال، والخليفة الحذر الذي يبث شبكة من
الجواسيس ليعرف أمور الناس وأحوالهم. ويتمثل بشكل الخليفة الورع الناسك
الذي تسقط المواعظ عبرته، يحج عاماً ويغزو آخر طوال حياته. ثم يخلو
بنفسه فينهمك بالملذات والمجون⁽⁴⁾ يرقص بحضرته مئة من الجواري مرة
واحدة في أحسن هيئة، يتمتع بالنبيذ والشراب.

جعفر مَلِك الرشيد؛ فهو رهين عنده

قيل: إن جعفر بن يحيى البرمكي جلس يوماً للشرب وأحب الخلوة
فأحضر ندماءه الذين يأنس بهم وجلس معهم، وقد هيء المجلس ولبسوا
الثياب المصبغة. وكانوا إذا جلسوا في مجلس الشراب واللهو لبسوا الثياب
الحمرة والصفرة والخضر. ثم إن جعفر بن يحيى تقدم إلى الحاجب ألا يأنس
لأحد من خلق الله تعالى سوى رجل من الندماء كان قد تأخر عنهم اسمه عبد
الملك بن صالح. ثم جلسوا يشربون ودارت الكاسات وخفت العيdan.

(1) العصر العباسي الأول، عبد العزيز الدوري ص. 158

(2) المرجع السابق: ص 166 / راجع الوزراء والكتاب: الجهشياري: ص 158

(3) هارون الرشيد: أحمد أمين، ص 187.

(4) عصر المأمون: أحمد فريد رفاعي، ج 1، ص 116 .

وكان رجل من أقارب الخليفة يقال له عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله ابن العباس، وكان شديد الوقار والدين والحشمة، وكان الرشيد قد التمس منه أن ينادمه ويشرب معه، وبذل له على ذلك أموالاً جلييلة فلم يفعل، فاتفق أن هذا عبد الملك بن صالح حضر إلى باب جعفر بن يحيى ليخاطبه في حوائج له، فظن الحاجب أنه هو عبد الملك بن صالح الذي تقدم جعفر بن يحيى بالإذن له وألا يدخل غيره، فأذن الحاجب له، فدخل عبد الملك بن صالح العباسي على جعفر ابن يحيى. فلما رآه جعفر كاد عقله يذهب من الحياء، وفتن أن القضية قد اشتبهت على الحاجب بطريق اشتباه الاسم، وفتن عبد الملك بن صالح أيضاً للقصة وظهر له الخجل في وجه جعفر بن يحيى. فانبسط عبد الملك وقال: لا بأس عليكم، أحضروا لنا من هذه الثياب المصبغة شيئاً. فأحضر له قميص مصبوغ، فلبسه وجلس يباسط جعفر بن يحيى ويمارحه، وقال: اسقونا من شرابكم، فسقوه رطلاً. وقال: ارفقوا بنا فليس لنا عادة بهذا. ثم باسطهم ومارحهم، وما زال حتى انبسط جعفر بن يحيى وزال انقباضه وحيأوه، ففرح جعفر بذلك فرحاً شديداً وقال له: ما حاجتك؟ قال: جنّت، أصلحك الله، في ثلاث حوائج أريد أن تخاطب الخليفة فيها، أولها أن علي ديناً مبلغه ألف ألف درهم أريد قضاءه، وثانيها أريد ولاية لابني يشرف بها قدره، وثالثها أريد أن تزوج ولدي بابنة الخليفة فإنها بنت عمه وهو كفاء لها.

فقال له جعفر بن يحيى: قد قضى الله هذه الحوائج الثلاث، أما المال

ففي هذه الساعة يحمل إلى منزلك، وأما الولاية فقد وليت ابنك مصر، وأما الزواج فقد زوجته فلانة ابنة مولانا أمير المؤمنين على صداق مبلغه كذا وكذا، فانصرف في أمان الله .

فراح عبد الملك إلى منزله فرأى المال قد سبقه. ولما كان من الغد حضر جعفر عند الرشيد وعرفه ما جرى، وأنه قد ولاه مصر وزوجه ابنته، فعجب الرشيد من ذلك وأمضى العقد والولاية، فما خرج جعفر من دار الرشيد حتى كتب له التقليد بمصر وأحضر القضاة والشهود وعقد العقد. (1)

هارون في سمع التاريخ:

يقول ميور في كتابه عن الخلافة: "أن مكانة هارون الرشيد وابنه المأمون في التاريخ لها أسمى مكانة بلغها الخلفاء العباسيون وإن هارون لقمين أن يكون في الذروة مع الخيرة من أفاضل ملوك أسرة بني أمية، لولا شائبة القساوة المنطوية على الختل التي وصمت سيرته جمعاء.

لقد كان الرشيد في قصوره محوطاً بضروب الرفاهية والرغد. وكان ملكاً في مكارمه وجوده. ومع ذلك قد ترك خزائن عامرة بلغت تسعمائة مليون (900.000.000) جمعت بوسائل التعسف وعدم التدقيق" (2).

وقال الطقطقي: "دولة الرشيد من أحسن الدول وأكثرها وقاراً ورونقاً وأوسعها رقعة مملكة. جبي الرشيد معظم الدنيا" (3).

(1) الفخري في الآداب السلطانية: أبي الطقطقي، ص 205.

(2) عصر المأمون: أحمد فريد رفاعي، ص 134/135.

(3) الفخري في الآداب السلطانية، ص 195.

سنة 175 للهجرة بايع الرشيد بولاية العهد لابنه محمد ولقبه الأمين وله يومئذ خمس سنين لحرص زبيدة على ذلك فقال الذهبي: فكان هذا أول وهن جرى في دولة الإسلام من حيث الإمامة، ثم بايع لابنه عبدالله من بعد الأمين سنة 182 للهجرة ولقبه المأمون وولاه ممالك خراسان بأسرها ثم بايع لابنه القاسم من بعد الأخوين سنة 186 ولقبه المؤتمن وولاه الجزيرة والثغور وهو صبي. فلما قسم الدنيا بين هؤلاء قال بعض العقلاء: لقد ألقى بأسهم بينهم، وغائلة ذلك تضر بالرعية⁽¹⁾.

كاظم (ع) يجمع إليه الخمس ورشيد يجي إليه الخراج:

قرأنا عن صرار موسى (ع) التي كانت بين المائتي دينار والثلاثمائة دينار، وإن من وصلته صرة موسى (ع) يستغني أبداً. صرار كانت توزع على الفقراء والمحتاجين والغارمين وأبناء السبيل. حيث أن أغلبية الناس كانت تعاني من الضيق والحرمان؛ لقد أفرزت الخلافة العباسية مجتمعاً طبقياً رهيباً، غني فاحشاً وفقير مدقماً. وقد اعطى ابي العتاهية في شعره صورة عن الوضع الاجتماعي الاقتصادي في قصيدة وجهها إلى عاهل بغداد.

من مبلغ عني الامام نصائحاً متوالية

إني أرى الاسعار أسعار الرعية غالية

وأرى المكاسب نذرة وأرى الضرورة فاشية

وأرى غموم الدهر رائحة تمر وغادية

(1) تاريخ الخلفاء: السيوطي ص 286.

وأرى اليتامى في البيوت الخالية
من بين راجٍ لم يزل يسمو اليك وراجية.
يشكون مجهدة بأصوات ضعاف عالية
يرجون رفقك كي يروا مما لقوه العافية
من مصيبات جوعٍ تمسي وتصبح طاوية
من للبطون الجائعات وللجسوم العارية
ألقيت أخباراً إليك من الرعية شافية⁽¹⁾

لقد كان الإمام الكاظم (ع) آنذاك أباً لأكف الجود لكنه في حدود ما رسمته الشريعة الإسلامية، ولم يسمعا التاريخ تجاوز الإمام الكاظم (ع) حدود الشريعة في الانفاق.

تلك الاموال كانت تحمل إليه عليه السلام من شيعته المنتشرة في أقطار العالم الإسلامي، عن طريق الاصحاب والوكلاء ذوي الثقة الكبيرة، على الرغم من الظروف الضاغطة والرقابة الشديدة. ومن جملة من كان يرسل الاموال إلى الامام الكاظم (ع)، علي بن يقطين، وزير هارون الرشيد، لقد كان علي بن يقطين من اتباع الإمام الكاظم (ع) ومن شيعته كان له دور مهم إلى درجة أن الإمام الكاظم (ع) ضمن له الجنة.

فقد روى عبد الله بن يحيى الكاهلي: كنت عند أبي إبراهيم (ع) إذ أقبل علي بن يقطين، فالتفت أبو الحسن إلى أصحابه، فقال: من سره أن يرى رجلاً من أصحاب رسول الله (ص) فلينظر إلى هذا المقبل. فقال له رجل من

(1) الإمام موسى بن جعفر: القرشي، ج2، ص159.

للقوم هو إذن من أهل الجنة؟ فقال أبو الحسن (ع): أما أنا فأشهد أنه من أهل الجنة⁽¹⁾.

وعن محمد بن مسعود عن الحسن بن عبد الرحيم قال: قال أبو الحسن (ع) لعلي بن يقطين "أضمن لي خصلة أضمن لك ثلاثاً. فقال علي: جعلت فداك وما الخصلة التي أضمنها لك؟ وما الثلاث اللواتي تضمنهن لي؟ فقال أبو الحسن (ع): الثلاث التي أضمن لك أن لا يصيبك حر الحديد أبداً بقتل ولا فاقه ولا سقف حبس.

وسأل علي وما الخصلة التي أضمنها لك؟ فقال تضمن لي أن لا يأتيك ولي أبداً إلا أكرمه.

فضمن له علي الخصلة، وضمن له أبو الحسن الثلاث⁽²⁾.

- روى عبد الله بن إدريس عن ابن سنان: "حمل الرشيد في بعض الايام إلى علي بن يقطين ثياباً أكرمه بها، وكان من جعلتها دراعة خز سوداء من لباس الملوك متقلة بالذهب. فأنفذ علي بن يقطين جل تلك الثياب إلى موسى بن جعفر، وأنفذ في جعلتها تلك الدراعة، وأضاف إليها مالا كان عنده على رسم له، فيما يحمله من خمس ماله⁽³⁾.

روى الحسن.. عن شعيب العرقوبي قال: "بعثت مولاي إلى أبي الحسن

(1) مجمع الرجال: علي القهبائي، ص 235، ج 4.

(2) المرجع السابق، 237/ راجع اختيار معرفة الرجال للطوسي، ص 729 علي بن يقطين.

(3) الارشاد: المفيد، ج 2، ص 225/ نور الابصار: الشبلنجي، ص 165/ الخرائج والجرائع، ص 334.

ومعه مائتي دينار وكتبت معه كتاباً... (1).

- وعن محمد بن الحسين عن علي بن جعفر بن ناجية أنه كان اشترى طيلساناً طرازياً أزرق بمائة درهم، وحمله معه إلى أبي الحسن الأول (ع). وكننت أخرج أنا وعبد الرحمن بن الحجاج وكان قيماً لأبي الحسن. فبعث بما كان معه... (2)

- وعن الاصبغ بن موسى ونكر حديثاً مضمونه: أن رجلاً بعث معه مائة دينار إلى أبي ابراهيم (ع) فعدّها في الطريق فإذا هي تسعة وتسعون، فوضع فيها ديناراً من عنده. إلى أن قال: أن فلاناً مولاك بعث إليك معي بشيء فقال: هات. فناولته الصرة. قال: صبها فصبيتها، فنشرها بيده وأخرج ديناري منها. ثم قال: بعث الينا وزنا لا عدداً (3).

- وعن اسماعيل بن سالم قال: بعث الي علي بن يقطين واسماعيل بن أحمد وقالوا لي: خذ هذه الدينانير فأت الكوفة والحق فلاناً فاستصحبه واشترى راحلتين وأمضيا بالكتب وما معكما من مال، فادفعا إلى موسى بن جعفر (4). وقد جهد من كان يترصد حركات الإمام الكاظم (ع) ومواقفه، بالتزلف إلى الرشيد بالسعاية عن الامام الكاظم (ع) الذي غدا روحانية ندية في ذلك من حوله، ملأ قلوبهم بخيوط نوره الأقدس. تلك الوشائيات جعلت من الرشيد

(1) دلائل الامامة: الطبري: ص 163.

(2) ثبات الهداة، ج 5، ص 531.

(3) ثبات الهداة، ج 5، ص 557.

(4) المرجع السابق، ص 559.

يدور حول ذاته الهادرة كحجر الرحي الدائرة على نفسها، فقد روي مرفوعاً إلى الامام موسى بن جعفر (ع) أنه قال: "لما دخلت على الرشيد سلمت عليه، فرد علي السلام ثم قال: يا موسى خليفتان يجبي إليهما الخراج؟" (1).
خراج مملكة الرشيد بين البذخ والترف:

تساءل المؤرخ الفرنسي اندريه كلو: من أي تأتي الاموال الضخمة لكي تغطي سخاء الخليفة، والترف المبالغ فيه للنساء والرجال على حد سواء؟ كيف تستطيع أميرة عباسية أن تطرز بابوجها بالاحجار الكريمة، وتملاً فم شاعر باللؤلؤ؟ هل جاءت هذه الاموال والمبالغ الخيالية من الغزوات والغنائم خلال الفتوحات؟ وهذه موارد محدودة ولم تستمر طويلاً؟ أم من عوائد التجارة؟ - ورغم أن البلاط كان يحاول تطويرها فإنها بعيدة من أن تسد مصاريف القصر.

إذن ليس أمام القصر سوى مصدر واحد، معين لا ينضب، يغرف منه بدون كلل أو ملل، ألا وهو الشعب، يذله ليبتر منه الاموال اللازمة لهذا الترف" (2).

وفي مقولة الطقطقي جواب لهذا التساؤل: "جبي هارون الدنيا كلها" (3)
ذكر القلقشندي: كانت خلافة هارون في غاية العظمة والفخامة حتى

(1) عيون أخبار الرضا: الصدوق، ج 1، ص 78.

(2) هارون الرشيد ولعبة الأمم: ص 55.

(3) الفخري في الألب السلطانية، ص 195.

يحكى أنه كان يستلقي على قفاه وينظر إلى السحابة الحاملة للمطر ويقول:
أذهبى إلى حيث شئت يأتيني خراجك⁽¹⁾.

هذه الإيرادات كانت مصدرها من خراج الاراضي وعشورها، والزكاة،
والجزية، واعشار السفن. وأخماس المعادن، وضرائب الملاحات والأجام
ومال القطائع والمراعي وغلة دار الضرب، والمراصد، والضياح⁽²⁾.
هو الخيال، هو الاسطورة:

إن كان المنصور اعطى في يوم واحد عشرة ملايين درهم، فرقها في
أعمامه ووجوه قواده - وهذا ما عرف بالجود السياسي ليقطع ألسنتهم عن
مقاومته، هذا على بخل المنصور أبي جعفر الدوانيقي، الذي قيل فيه: "سبحان
من ابتلى أبا جعفر بالفقر في مملكته"⁽³⁾ - فالرشيد وزع في يوم واحد
1.350.000 دينار. وطرب يوماً فنثر على الناس 6.000.000 درهم. وقد
سبقه أخوه الهادي وكان قد أعطى عبد الملك صاحب شرطة أبيه مالا أرسله
على 400 بغل موقرة دراهم⁽⁴⁾.

وقدرت غلة الخيزران في العام 160.000.000 درهم وذلك نحو نصف
خراج المملكة العباسية لذلك العهد⁽⁵⁾.

(1) مآثر الانافة، ج 1، ص 194.

(2) تاريخ التمدن الاسلامي: جرجي زيدان، ج 2، ص 75.

(3) تاريخ الخلفاء السيوطي: ص 267.

(4) تاريخ التمدن الاسلامي، ج 5، ص 138.

(5) المرجع السابق، ج 2، ص 130.

وبلغ عطاء طبيب الرشيد جبريل بن بختيشوع في السنة 4.900.000 درهم من الرشيد، وآل بيته وممن حوله⁽¹⁾.

ومن الطبيعي أن يتبع هذا الثراء سعة في الانفاق، والانغماس في الترف والتنعيم في المعيشة فيتأنقوا من الطعام والشراب والسماع وغيرها من الملذات.

فقد ذكر من مظاهر البذخ والترف أنه بلغ عدد الستائر في واحد من قصور الرشيد 38.000 ستارة قسم منها مطرز بالذهب تمثل أشكالاً مختلفة من المزهريات والقبيلة والخيول والجمال والأسود والطيور بألوان زاهية، والقسم الآخر يمثل اشكال لأشجار ونباتات جميلة مطرزة بالذهب. أما السجاد يغطي كل الممرات بدءاً من الابواب إلى الصالات حيث يمر عليها وفود الملوك والباطرة. فإنها مصنوعة من كتان طبرستان ودابك، وكان هذا السجاد مصنوعاً للعرض لا لتطأه الاقدام، وقد بلغ عددها 22.000 قطعة ما عدا تلك المفروشة في الغرف وصلالات الاستقبال⁽²⁾.

وما نكر عن زبيدة وهذا غيظ من فيض: أنها أول من اتخذ القباب من الفضة والابنوس والصندل وكلايبها من الذهب والفضة مليئة بالوشى والسمور والديباج وانواع الحرير الأحمر والاصفر والأخضر والأزرق⁽³⁾.

وقدر ما خلفه المنصور في بيت ماله 600.000.000 درهم و 14.000.000 دينار علماً أنه انفق على بغداد 4.833.000 درهم. وثروة

(1) هارون الرشيد: عبد الجبار الجومري، ج1، ص 305 نقلاً عن طبقات الاطباء، ج1، ص 136

(2) هارون الرشيد ولعبة الأمم: ص 34.

(3) تاريخ القمن الاسلامي، ج 5، ص 127.

المنصور تعد قليلة أمام ما خلفه الرشيد في بيت المال عند وفاته قدرت بـ 900.000.000 درهم ونيفاً⁽¹⁾. وكانت غلة الخيزران عندما ماتت الف الف وستين ألف ألف درهم⁽²⁾.

من الخليفة إلى من هم دونه: البرامكة

من الطبيعي إذا بلغت الدولة قمة جاهها وثروتها؛ وانغمس الملك في الترف، وتقاعد عن مباشرة شؤون الملك بنفسه - كما كان الحال مع الرشيد الذي تنازل طوعاً عن ادارة خلافته إلى يحيى بن خالد البرمكي - أن يتحول النفوذ والسيطرة إلى المحيطين به، يستأثرون بالأموال يجمعون ما استطاعوا، يسرفون ويبزخون على ما تقتضيه أحوالهم واطوارهم.

وأول من ناله الثراء الاسطوري هم البرامكة اللذين دام عهدهم سبعة عشر عاماً، إلى تاريخ نقمة الرشيد عليهم. لقد بلغوا من الثراء ما يعجز الخيال عن وصفه. فقد بلغت موارد يحيى بن خالد وابنه جعفر في السنة 20.000.000 دينار، ولما نكبوا قبضت اموالهم فبلغ مقدار ما قبض 30.676.000 دينار، سوى الضياع والدور والرياشي⁽³⁾.

روي أنه لما قدم الفضل من خراسان فجعل يصل الرجل بالآل الف وبالخمسماية الف⁽⁴⁾.

(1) المرجع السابق، ج 2، ص 39/38.

(2) مروج الذهب، ج 4، ص 197.

(3) تاريخ التمدن الإسلامي، ج 5، ص 119 نقلاً عن العقد الفريد، ج 3، ص 22.

(4) تاريخ الطبري، مجلد 7، ص 211.

وروى أنه وجد لجعفر بن يحيى بركة في داره التي في سوقة جعفر
فيها أربعة آلاف دينار، وزن كل دينار مئة دينار ودينار، وعلى كل دينار من
أحد جانبيه:

واصفر من ضرب دار الملوك يلوح على وجهه جعفر
وفي الجانب الآخر:

يزيد على مئة واحداً إذا ناله معسر بيسر⁽¹⁾

وقد وصل من ثراء البرامكة أن قال الرشيد لأحد أتباعه: "انظر إلى
البرامكة أغنيانهم وافقرنا أولادنا وأغفلنا أمرهم"⁽²⁾.

والبرامكة هم من أسرة فارسية. كانت من بيوتات بلخ، وكان جد
برمك من مجوس بلخ. كان يخدم النوبهار، والنوبهار كما ذكر ابن خلكان،
معبد للمجوس بمدينة بلخ توجد فيه النيران. وكان الموكل بسدائنه يدعى
البرمك، وهذا سمة عامل لكل من ولي سدائنه. ومن أجل ذلك سميت
البرامكة لأن خالد بن برمك من ولد من كان على هذا البيت⁽³⁾. وبعد وفاة
خالد بن برمك ظهر ابنه يحيى؛ وكان سيداً صائب الآراء، حسن التدبير قربه
المهدي وعهد إليه تربية ابنه هارون، وفي سنة 163 ولى المهدي ابنه
هارون المغرب كله واندريجان وارمينية وجعل يحيى على ديوان رسائله⁽⁴⁾.

(1) البرامكة: هول جونت فرج، ص 65/ الوزراء والكتاب للجيشياري، ص 192.

(2) المرجع السابق، ص 66.

(3) البرامكة: هولو جونت فرج، ص 9.

(4) الكامل في التاريخ: ابن الاثير، ج 3، ص 651.

وبعد وفاة المهدي بقي يحيى في وظائفه السابقة له وكان دوراً بارزاً في حفظ ولاية العهد لهارون الرشيد؛ الذي عمد أخوه الهادي إلى خلعه والمبايعة لابنه جعفر. حتى أن الهادي أمر أن لا يسار قدام الرشيد بحربة. فاجتنبه الناس وتركوه فلم يكن احد يجترئ أن يسلم عليه أو يقربه⁽¹⁾.

وكان الرشيد قد طاب نفساً بالخلع فقال له يحيى: لا تفعل. فقال الرشيد: ليس يترك لي الهنيء والمريء؟ فقال له يحيى: وأين هذا من الخلافة⁽²⁾. ولما ولي هارون الخلافة جعل الامور كلها إلى يحيى بن خالد وقلده الوزارة ودفع إليه خاتمه وكان يقول له "أبي" ولقد ابناه جعفر المغرب كله من الانبار إلى أفريقية، ولقد ابناه الفضل المشرق كله من النهروان إلى أقصى بلاد الترك⁽³⁾.

وأصبح البرامكة كما يصفهم المؤرخون: "أن دولة البرامكة كانت غرة في وجهه الدهر، وتاجاً على مفرق العصر، ضربت بمكارمها الامثال، وشدت إليها الرحال، ونيطت بها الآمال. وبذلت لها الدنيا افلاذ اكبادها، ومنحتها أوفر اسعادهاء، فكان يحيى وبنوه كالنجوم زاهرة، والبحور زاخرة السيول دامغة، والغيوث ماطرة. اسواق الادب عندهم فائقة ومراتب نوي الحرمات عندهم عالية والدنيا لهم في أيامهم عامرة وأبهة الملك ظاهرة.."⁽⁴⁾. وقيل فيهم: أن أيامهم عرس وسرور دائم لا يزول. وكان الرشيد يقول

(1) مقدمة ابن خلدون، ص 224/223.

(2) تاريخ الطبري: مجلد 7، ص 169.

(3) الوزراء والكتاب: الجهشيارى، ص 146.

(4) الفخري في الاداب السلطانية: ابن الطقطقي، ص 197.

لجعفر بن يحيى: ويحك جعفر أنه ليس في الأرض طلعة أنا بها أنس وإليها أميل، وبها أشد استماعاً وانساً مني برويتك⁽¹⁾.

وذكر ابن خلدون: "أما نكب البرامكة ما كان من أمرهم من استبدادهم على الدولة واحتجانهم (احتجن المال إذا ضمه واحتواه وخص به نفسه) أموال الجباية؛ حتى أن الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل إليه. فغلبوه على أمره وشاركوه في سلطانه، ولم يكن له معهم تصرف في أمور ملكه... واستولوا على القرى والضياح من الضواحي والامصار"⁽²⁾.

ويذكر الطبري أن الرشيد وليّ الفضل نفقات العامة والخاصة بادوريا والكوفة وهي خمسة طساسيج (ناحية)، فأقبلت حاله تمنى إلى سنة 187هـ⁽³⁾.

ولما مات محمد بن سليمان بالبصرة وجه الرشيد إلى حمل ما خلفه فأصابوا له ستين ألف ألف، فحملوها مع ما حمل من الكسوة والفرش والدقيق والدواب من الخيل والابل والطيب والجواهر. ولما صارت في السفن. أخبر الرشيد بذلك. فأمر أن يدخل جميع ذلك في خزائنه إلا المال فإنه أمر بصكاك فكتبت للندماء والمغنين ولم تدر في الديوان واصطفى ضيعة يقال لها بنر شيد بالأهواز لها غلة كبيرة⁽⁴⁾.

(1) مروج الذهب، ص 246، ج 4.

(2) راجع مقدمة ابن خلدون، ص 230 وما بعده.

(3) تاريخ الطبري، مجلد 7، ص 194.

(4) المرجع السابق، ص 193.

من أين لك هذا؟

نكر المؤرخ الفرنسي اندريه كلو: "أن المنصور كان أكبر حكام المسلمين، كان صارماً في مسألة استحصال الضرائب. وكان النقل جائماً على كاهل الفقراء والفلاحين حيث سهولة السيطرة عليهم ومحاصرتهم. وفي عهد الخليفة السخي المهدي ورغم التطور الزراعي في عهده إلا أن الوضع المعاشي للفلاح تدهور كثيراً. أما البرامكة فأنهم لم يفعلوا شيئاً لمعالجة الوضع الاقتصادي، فقد كان هم الوزير اللامع يحيى البرمكي ينصب في إرضاء الخليفة وتغذية خزينة الدولة وخزينة الخليفة بالمال. بالإضافة إلى تطوير ثروته، وثروات العائلة البرمكية. فمثلاً كان لا يتورع عن مصادرة الأراضي ليسجلها باسم الخليفة أو باسم أحد أفراد عائلته بل كل الأملاك والعقارات المهجورة أو المتروكة كاليوت والكاكين والأراضي العائدة لأعداء الدولة والإسلام تؤول ملكيتها إلى الخليفة وعائلته"⁽¹⁾.

ويرى ليفي ديلافيدا Levi Della Vida أن النظام الإداري الذي جرى عليه العباسيون هو في جوهره نظام الأمويين، واستمرت النظم الأموية في الضرائب والإدارة المحلية والجيش والدواوين في العهد العباسي⁽²⁾.

نكر الطبري؛ عقد الفضل بن يحيى لإبراهيم بن جبريل على سجستان، فلما حمل خراجها وهبه له وزاده خمسمائة ألف درهم. وكان إبراهيم على

(1) هارون الرشيد ولعبة الأمم، ص 58/57.

(2) العصر العباسي الأول: عبد العزيز الدوري، ص 55.

شرطة بني العباس وحرسه فوجهه إلى كابل فافتتحها وغنم غنائم كثيرة. وقال الفضل بن العباس بن جبريل: وصل إلى إبراهيم في ذلك الوجه سبعة آلاف ألف. وكان عنده من مال الخراج أربعة آلاف ألف درهم. فلما قدم بغداد وبني داره في البغيين (وهي قطيعة ببغداد) استزار الفضل ليرى نعمته عليه وأعد له الهدايا والطرف وأتية الذهب والفضة وأمر بوضع الأربعة آلاف في ناحية الدار.

فلما قعد الفضل بن يحيى قدم إليه الهدايا والطرف فأبى أن يقبل شيئاً وقال له: لم أتك لأسلبك.

فقال: أنها نعمتك أيها الأمير. قال: ولك عندنا مزيد. قال: لم يأخذ من جميع ذلك إلا سوطاً سجزياً وقال هذا من آلة الفرسان. فقال: هذا المال من مال الخراج. فقال هو لك. فأعاد عليه: فقال: أمالك بيت يسعه. فسوغه ذلك فأنصرف⁽¹⁾.

على هذا النحو كانت سياسة الخلافة؛ اضطهاداً وتعذيباً واکراهياً في سبيل تحصيل الخراج والاموال حتى أصبحت شكوى الناس في كل اتجاه. فقد روى: أنه لما كان الفضل بن يحيى والياً على خراسان كتب صاحب البريد إلى الرشيد كتاباً يذكر فيه أن الفضل يتشاغل بالصيد واللذات عن التطرق إلى أمور الرعية⁽²⁾.

كذلك كان علي بن عيسى الوالي على خراسان. كان يفكر في استغلال

(1) تاريخ الطبري، مجلد 7، ص 210.

(2) عصر المأمون، ج 1، ص 140.

هذه المقاطعة لمصالحه. كان يبطش بكل من يعارضه ويسلب أموال السكان بالعنف والقوة ليرسلها إلى بغداد. وبلغ الظلم في عهده إلى درجة أدت إلى رفع الشكوى مباشرة إلى الخليفة⁽¹⁾.

وفي عصر الرشيد ثار العرب القاطنون في شرق الدلتا في منطقة الحوف إثر فرض ضريبة على الأراضي المستصلحة، حوصر فيها الوالي وقتل، عندئذ أرسل الرشيد قوات بقيادة هرثمة بن أعين، انطلقت من سوريا فسحق المتمردين.

أما في خراسان وإيران الغربية فإنه يضاف إلى هذا الاستياء والامتعاض أسباب أخرى ناتجة عن العنف والقسوة في هذه الأقاليم التي انطلقت منها الثورة التبشيرية، وتنامي المعتقدات المحلية، فكانت حركة المقنع وحركة المحمرة والخرمية القريبة من المازودية⁽²⁾.

هذا للبرامكة وللائمة المصادرة:

كتب أبو جعفر إلى عيسى بن موسى: من لقيك من آل بني طالب فاكتب اسمه، ومن لم يلقك فاقبض ماله. فقبض عين أبي زياد. وكان جعفر بن محمد تغيب عنه.

فلما قدم أبو جعفر كلمه جعفر وقال: مالي.

قال: قبضه مهديكم⁽³⁾.

(1) هارون الرشيد ولعبة الأمم، ص 80.

(2) المرجع السابق، ص 60/59.

(3) تاريخ الطبري، مجلد 6، ص 507.

ولقى الإمام جعفر بن محمد أبا جعفر فقال: يا أمير المؤمنين رد علي قطعيتي عين أبي زياد أكل من سعفها. قال: أيأي تكلم بهذا الكلام والله لازهقن نفسك.

قال لا تعجل علي قد بلغت ثلاثا وستين وفيها مات أبي وجدي علي بن أبي طالب وعلي كذا وكذا، إن ربك بشيء أبدأ، وإن بقيت بعدك إن ربك الذي يقوم بعدك. ولم يرد أبو جعفر عين أبي زياد حتى مات فردها المهدي علي ولده⁽¹⁾.

فلا بدع، أن ينهج هارون بعده، سيرة أجداده، خاصة أنه وعى تماماً بقلبه كما في حسه، بأن هناك حقيقة واضحة وآية بينة عن رسول الله (ص) - تمنع عليه حياة هو ارتضاها - يعلم أن هناك آية تملأ الكيان وتهز الأركان، آية يعلم الرشيد مكانتها وأحقيتها بالأمر بعد رسول الله (ص)، تلك الحقيقة عبر عنها لابنه المأمون بقوله عن الكاظم (ع) "هذا إمام الناس وحجة الله على خلقه وخليفته على عباده، أنا إمام الجماعة في الظاهر والقهر. وموسى بن جعفر إمام حق والله يا بني إنه لأحق بمقام رسول الله (ص) مني ومن الخلق جميعاً"⁽²⁾.

وفي سياق الرواية عينها ولما أراد الرشيد الرحيل من المدينة إلى مكة أمر بصرة سوداء فيها مائتا دينار ثم أقبل على الفضل بن الربيع. فقال له:

(1) المرجع السابق، ص 529.

(2) عيون أخبار الرضا: ج 1، ص 85.

أذهب بهذه الصرة إلى موسى بن جعفر وقل له: يقول لك أمير المؤمنين:
نحن في ضيقة وسيأتيك برنا بعد الوقت.

فقلت (والحديث للمأمون) في صدره فقلت: يا أمير المؤمنين تعطي
إبناء المهاجرين والانصار وسائر قریش وبني هاشم ومن لا تعرف حسبه
ونسبه خمسة آلاف دينار إلى ما دونها، وتعطي موسى بن جعفر وقد اعظمته
وأجلته مائتي دينار أخس عطيته أعطيتها أحداً من الناس؟

فقال (الرشيد): أسكت لا أم لك، فإني لو اعطيت هذا ما ضمنته له ما
كنت امنت أن يضرب وجهي غدا بمائة ألف سيف من شيعته ومواليه، وقرر
هذا وأهل بيته اسلم لي ولكم من بسط ايديهم وأعينهم⁽¹⁾.

وفي رواية انه وشي غلام لعلي بن يقطين، عليه إلى الرشيد قائلاً: أنه
يقول بإمامة موسى بن جعفر ويحمل إليه ماله في كل سنة.. فاستشاط الرشيد
غضباً وقال لأكشفن عن هذه الحال وأمر بإحضار علي بن يقطين⁽²⁾.

النهج السياسي للإمام الكاظم (ع)

النصر والهزيمة لا ينبعان من فراغ بل هما تابعان لهدف الإنسان
والقدرة على تحقيق هذا الهدف، فبحسب الهدف الذي يرسمه الإنسان وقدرته
على تحقيق هذا الهدف يكون النصر أو الهزيمة⁽³⁾.

(1) المرجع السابق، ص 86.

(2) اعلام الوری: الطبرسي، ص 302.

(3) الشهادة في فكر الإمام الخميني: ص 19.

وبتأمل يسير في مسيرة الإمام الكاظم (ع) يتضح مدى الانتصار الذي حققه عليه السلام؛ هذا الانتصار تجلى في ذاك الصمود في وجه أقطاب الظلم والجور؛ فسود الليالي ما كانت تحمله عليه السلام إلا على الحمد والرضا؛ لعلمه عليه السلام بأن من يطلب الأمر الجليل يقتوي على خطوب الليالي والنوى والنواب، فكيف وإن كان الأمر رضوان الخالق وحفظ رسالته؟؟

فالكاظم (ع) أطل من أفق النبوة حاملاً مشعل الإمامة، تفرع من ذرية لها في ميادين الجهاد عُلّا، من ذرية لم تعرف في ميادين الجهاد كلاً، الجهاد في صون الرسالة المحمدية؛ حمايتها من برائن الفساد والانحراف. أطل الإمام الكاظم (ع) بصبر وعزم وإقدام في أمة استولى عليها جمودها، أمة كاد يواربها خمودها، أطل عليه السلام في أمة نزل بها الخطب العصيب فهدها؛ فكان عليه السلام ثبيراً في الرواسي عمودها. فقام عليه السلام يرد عن هذه الأمة حادثات جل عبوها، يوقد فيها نار عزم وهمة، يزيح عنها رقودها؛

وقد نهج عليه السلام سياسة عزٍ نظيرها تمثلت في حفظ مسيرة الإنسان التكاملية؛ من خلال تبيان الأطروحة الإسلامية الصحيحة، في مجتمع تعرض لمسح عقائدي، توجه عليه السلام إلى اعداد مجتمع يستطيع الإنسان فيه أن يطوي مسيرته التكاملية في جميع أبعادها. وإلى ترسيخ وإعادة احياء ما اندثر من معالم الرسالة.

فقد اتسم عصر الإمام الكاظم (ع) بموجات صارخة من الإتجاهات العقائدية والنزعات الشعبوية والعنصرية والمذاهب الدينية؛ لقد أدت الفتوحات الإسلامية إلى تداخل الثقافات والأفكار والمعتقدات الدينية فيما بينها؛ كما أدى انفتاح الإسلام على العلوم والمعارف والأخذ منها، إلى إحداث انقلاب فكري في المجتمع الإسلامي، فظهرت المذاهب الفقهية، والفرق الدينية، مما أدى إلى بروز أسواق لمعركة عقائدية حامية؛ فحفلت النوادي بالمناظرات، وبالمباحث الكلامية خاصة فيما يتعلق بالخالق وصفاته، ومسألة خلق القرآن إلى جانب مسألة القضاء والقدر، والجبر والاختيار. والجدير بالذكر أن بني العباس أعطوا الحرية لهذا الانتشار ضمن خطة معينة تتوافق مع مصالحهم. فقد ظهرت فئة عرفت باسم المتكلمين كان بحثهم في العقائد وأصول الدين. وأخطر الدعوات التي ظهرت في ذلك العصر، الدعوة الإلحادية، الزنادقة وهم ينكرون الله والأديان. "وقد أعطيت لهم الحرية بغض النظر عن سبب هذه الحرية حتى في مكة والمدينة كانوا يجلسون ويدلون بأقوالهم"⁽¹⁾. ومن الزنادقة برز المانوية: وهي ترجع إلى مؤسسها ماني بن فاتك الحكيم. ترى أن العالم مركب من أصلين قديمين أزليين: الظلمة والنور⁽²⁾. هذه الفرقة تتبعتها الخليفة العباسي المهدي وبعده الهادي. وظهر بخراسان المقنع الذي قال بالتناسخ وكان يقول أن الله خلق آدم فتحول في صورته ثم في صورة نوح وهكذا هلم جراً إلى أبي مسلم الخراساني ثم تحول إلى بني

(1) سيرة الأئمة الأطهار: مرتضى المطهري ص 122.

(2) الملل والنحل الشهرستاني ص 209.

هاشم، وهاشم في دعواه هو المقنع واجتمع إليه خلق كثير وتحضوا بقلعة بسنام⁽¹⁾.

وأرسل المهدي إليهم معاذ بن مسلم، ولما أيقن المقنع الهلاك جمع نساؤه وأهله فأضرم ناراً عظيمة وأحرق جميع ما في القلعة من دابة وثوب ومَتَاع، ثم جمع نساؤه وأولاده وقال لأصحابه : من أحب أن يرتفع معي إلى السواد فليلق نفسه معي في النار، وألقى بنفسه مع أهله ونسائه وخواصه فاحترقوا. ودخل العسكر القلعة فوجدوها خالية⁽²⁾.

كما ظهرت المزدكية: أصحاب مزدك الذي حلل الفساد وأباح الأموال وجعل الناس شركاء فيهم كاشتراكهم في الماء والنار والكلاء. وحكى عنه أنه أمر بقتل الأنفس ليخلصها من الشر ومزاج الظلمة⁽³⁾.

إلى جانب الزرادشتية والسيسانية، والبهافرديية وهي صنف من المجوس ظهرت أيام أبي مسلم⁽⁴⁾.

وقد تصدى الإمام الكاظم (ع) وأصحابه لتلك الانحرافات، وعلى طليعة الأصحاب هشام بن الحكم. وهو من كبار المتكلمين والمناظرين، انقطع إلى الإمام الصادق (ع)، وبعده إلى الإمام الكاظم (ع). قال ابن النديم في ترجمته: "إنه من متكلمي الشيعة وممن فتق الكلام في الإمامة، وهذب المذهب

(1) العصر العباسي الأول: عبد العزيز الدوري، ص 123 - 126

(2) الفخري في الآداب: ابن الطقطقي، ص: 180

(3) الملل والنحل: ص 213.

(4) المرجع السابق: ص 202.

والنظر، وكان حاذقاً بصناعة الكلام⁽¹⁾.

تلك المناظرات كشفت النقاب عن زيف الخلفاء العباسيين وادعاءهم نظرية الحق الإلهي في الملك، مما دفع بهؤلاء إلى التصدي للإمام الكاظم (ع) وإلى أصحابه بالاضطهاد والتكيل، ومنعواهم من الكلام في مجال العقيدة، مما استدعى الإمام الكاظم (ع) في أيام المهدي أن بعث إلى هشام أن يكف عن الكلام نظراً لخطورة الموقف على هشام. فكف هشام عن ذلك حتى مات المهدي⁽²⁾.

نظرية بني العباس في الحق الإلهي في الملك:

لقد أضفى خلفاء بني العباس على خلافتهم سمات القداسة، وأن سلطتهم مستمدة من الله تعالى.

خطب المنصور ببغداد في يوم عرفة ومما قال: "يا أيها الناس إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه وتسديده، وأنا خازنه على فيئه، أعمل بمشيئته، وأعطيه بإذنه، قد جعلني الله عليه قفلاً، إذا شاء أن يفتحني لأعطياتكم وقسم فينكم وأرزاقكم فتحني، وإذا شاء أن يقفلني أقفلني"⁽³⁾.

وهنا مكنم الخطر، عندما يبرر الإنسان ظلمه للناس واستحواذه عليهم بأنه مخول من الله، والأكثر خطورة أن تعطي هذه النظرية الإذن للانحراف والانتشار.

(1) الإمام موسى بن جعفر الكاظم: القرشي، ج 2، ص 341.

(2) حياة الإمام موسى بن جعفر: القرشي ج 2 ص 110 .

(3) تاريخ الطبري مجلد 7 ص 71.

ذكر الذهبي أن الرواندية ظهرت في العام 141 للهجرة. وهم على ما ذكره أبو الحسن المدائني قوم من خراسان على رأي أبي مسلم صاحب الدعوة، يقولون فيما زعم بتناسخ الأرواح، فيزعمون أن روح آدم (ع) حلت في عثمان بن نهيك، وأن المنصور هو ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم وأن الهيثم بن معاوية هو جبريل. قال: فاتوا قصر المنصور فجعلوا يطوفون به ويقولون هذا هو قصر ربنا.

وروى المدائني عن أبي بكر الهذلي قال: إني لواقف بباب القصر إذا أُطِيعَ رجل إلى المنصور فقال: هذا رب العزة الذي يرزقنا ويطعمنا. قال: فحدثت المنصور بعد ذلك.

فقال: يا هذلي يدخلهم الله النار في طاعتنا فنقلتهم، أحب إلينا من أن يدخلهم الله الجنة في معصيتنا⁽¹⁾.

ولما بويع الرشيد بالخلافة، أعلن يوسف بن القاسم بن صبيح خطاباً جاء فيه "... إن الله عز وجل استأثر بخليفته موسى الهادي الإمام فقبضه إليه، وولى بعده رشيداً مرضياً... وهو أمتعته الله بالنعمة وحفظ له ما استرعاه إياه من أمر الأمة، وتولاه بما تولى أوليائه وأهل طاعته - يعدكم من نفسه الرأفة بكم والرحمة بكم من الجائزة مما أفاء الله على الخلفاء مما في بيوت الأموال...⁽²⁾.

(1) تاريخ الإسلام، أحداث (141-160) ص 6/5

(2) تاريخ الطبري: مجلد 7، ص 188.

خطاب يطالعك أن الرشيد أكد على سلطته المطلقة، تلك السلطة المستمدة من الله، الواجب طاعتها لما لها وعليها من حقوق. لقد غاب عن الرشيد بأن الخلافة الإسلامية هي العدل، الحق وانصاف المظلوم والضعيف والسهر على الرعية، والرأفة والرحمة بها ؛ في حين تمخضت سيرته عن الظلم والجور والإنشغال عن الرعية إلا بما يتلاءم مع أهوائه ورغباته السلطوية خاصة مع بني طالب: فقد ذكر العتبي: كان هارون الرشيد يقتل أولاد فاطمة وشيعتهم⁽¹⁾.

وقال الشاعر أبو العطار:

يا ليت جور بني مروان عاد لنا يا ليت عدل بني العباس في النار⁽²⁾

لقد اشاع الرشيد أنه ظل الله في الأرض وهو الإمام الواجبة طاعته، وأطلق على نفسه أمير المؤمنين. فأخذ يرتدي في كل مناسبة دينية بردة النبي (ص)، يمسك بيده السيف للرمز إلى أنه خليفة رسول الله (ص) وقوة الله في الأرض. لقد جعل الرشيد من شخصية الخليفة مؤسسة دينية واجبة الدفاع عن الإسلام ونشر تعاليمه ولكن في الحدود التي تتلاءم مع أفكاره وتطلعاته. فقد شرع منذ بداية حكمه في إضفاء الطابع الإسلامي على مؤسسات الدولة. إذ منح رجال الدين مكانة عالية فأهتم بهم كثيراً⁽³⁾.

(1) الحياة السياسية للإمام الرضا: جعفر مرتضى العاملي، ص 43.

(2) العصر العباسي الأول: عبد العزيز الدوري، ص 53..

(3) هارون الرشيد ولعبة الأمم: اندريه كلو، ص 30.

فتاوى على ما يوافق المراد:

وكان قاضي الرشيد أبا يوسف يعقوب بن إبراهيم الكوفي، الذي رقي إلى رتبة قاضي القضاة، وهي رتبة لم تعرف قبلاً. وقد ذكر ابن العماد الحنبلي عن يحيى الينسابوري أنه قال: سمعت أبا يوسف يقول عند وفاته "كل ما أفتيت به فقد رجعت عنه إلا ما وافق السنة. وقال الفلاس: أبو يوسف صدوق كثير الغلط وذكر المؤرخون أن له استحسانات يخالف فيها وروي أنه توفي وله سبعمائة ركاب ذهب⁽¹⁾.

والجدير بالذكر أن أبو يوسف القاضي هو الذي دافع عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع) أمام الهادي، وهذا غضب الهادي الذي كان يتوعد ويهدد بقتل الامام (ع).

ومن المسائل التي كان يفتي بها ما رواه المسعودي: كانت أم جعفر كتبت مسألة إلى أبي يوسف تستفتيه فيها. فأفتاها بما يوافق مرادها على حسب ما أوجبته الشريعة عنده، وأداه إجتهاده إليه. فبعثت إليه بحق فضة فيه حقاق فضة. وفي كل حق لون من الطيب وجام ذهب فيه دراهم وجام فضة فيه دنانير وغلمان وتخوت من ثياب وحمار وبغل⁽²⁾.

ونكر السيوطي: اخرج عن اسحاق بن راهوية قال: دعى الرشيد أبا يوسف ليلاً فأفتاه. فأمر له بمائة ألف درهم. فقال له أبو يوسف: إن رأى أمير المؤمنين أمر بتعجيلها قبل الصبح.

(1) شذرات الذهب، ص 299 - 301.

(2) مروج الذهب، ج 4، ص 199.

فقال: عجلوها. فقال بعض من عنده أن الخازن في بيته، والأبواب مغلقة.

فقال أبو يوسف: فقد كانت الأبواب مغلقة حين دعاني. ففتحت⁽¹⁾.
وقد ذكر السلفي في الطيوريات بسنده عن ابن المبارك قال: لما أفضت الخلافة إلى الرشيد وقعت في نفسه جارية من جوارى المهدي. فراودها عن نفسها، فقالت: لا أصلح لك، إن أباك قد طاف بي، فشغف بها، فأرسل إلي أبي يوسف، فسأله اعندك في هذا شيء؟ فقال: يا أمير المؤمنين أو كلما أدعت أمة شيئاً ينبغي أن تصدق، لا تصدقها فإنها ليست بمأمونة.

قال ابن المبارك: فلم أدر ممن أعجب: من هذا الذي قد وضع يده في دماء المسلمين وأموالهم يتخرج عن حرمة أبيه، أو من هذه الأمة التي رغبت بنفسها عن أمير المؤمنين. أو من هذا فقيه الأرض وقاضيها! قال اهتك حرمة أيتك، واقضى شهوتك، وصيره في رقبتى⁽²⁾.

قال عبد الكريم عن أبي العوجاء عندما أيقن أنه مقتول: أما والله لئن قتلتموني لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال وأهل فيها الحرام والله لقد فطرتكم في يوم صومكم، وصومتمكم يوم فطركم⁽³⁾.

أمام هذا الواقع الذي يشوبه الخلل والانحلال توجه الإمام الكاظم (ع) في مساره التبليغي الرسالي، يصحح المعارف والأحكام الإسلامية، هباً عليه

(1) تاريخ الخلفاء، ص 291.

(2) تاريخ الخلفاء: السيوطي، ترجمة هارون الرشيد.

(3) تاريخ الطبري، مجلد 7، ص 36.

السلام كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف. يفتح أمام الناس ما أنغلق، يدفع جيوشات الأباطيل وصولات الاضاليل. هبّ عليه السلام داعياً يفلل نسيجاً عقده موجات ونزعات عقائدية تضج فيها المصالح والأهواء. لقد نجح(ع) في تهذيب المعارف الإسلامية من الشوائب والأدران وما علق عليها من الأفكار والمعتقدات الزائفة فتصدى للفرق المنتشرة آنذاك. ومدى نجاح الإمام الكاظم (ع) في مسيرته البنائية تتجلى في اتساع قاعدة أصحابه التي وصلت كما في تعداد الشيخ الطوسي إلى 269 صحابياً وإمراً تدعى سعيدة⁽¹⁾ ونكر القرشي 319 من أصحاب ورواة الإمام الكاظم (ع)⁽²⁾.

هؤلاء الأصحاب انتشروا في كافة الاقطار الإسلامية كدعاة يؤدون عن الإمام الكاظم (ع). فكانوا لا ينطقون إلا بلسانه، وقد نجحوا في تبليغ رسالة الكاظم (ع) في ظروف من التقية التي انتهجها الإمام (ع)، تركوا أثراً قيمة بل حفظوا تراث الإمام الكاظم (ع)، حيث انهم كانوا إذا نطق الإمام (ع) بكلمة أو أفتى بموضوع بادروا إلى تدوين ذلك⁽³⁾.

بالمقابل عمدت الخلافة العباسية إلى تصفية الفكر المعارض لسياستها واراتها؛ هذا الفكر المتمثل بالائمة عليهم السلام الذين رفضوا أي مساومة، فاتجه الخلفاء إلى تنشيط حركة العلوم الإسلامية من فقه وحديث وتفسير بهدف شغل الناس عن افكار الائمة (ع). فقد ذكر المؤرخون أن بعض

(1) رجال الطوسي: أصحاب الإمام موسى بن جعفر (ع).

(2) حياة الامام موسى بن جعفر: ج 2، ص 221 - 375.

(3) المرجع السابق، ص 223 نقلاً عن الانوار البهية للقمي، ص 91.

الخلفاء العباسيين عمد إلى حمل القضاة على السير وفق رغباتهم ليعطوا أعمالهم صبغة شرعية، حتى امتنع كثير من الفقهاء على تولي القضاة خشية أن يحملهم الخليفة على الافتاء بما يخالف الشريعة الاسلامية؛ فقد اعتذر أبو حنيفة النعمان عن تولي هذا المنصب في عهد المنصور وقال له: اتق الله ولا ترع في أمانتك إلا من يخاف الله، والله ما أنا مأمون الرضا، فكيف أكون مأمون الغضب؟⁽¹⁾. وقد روى أن ابي جعفر المنصور عهد إلى الامام مالك وهو أحد المذاهب الأربعة أن يضع كتاباً في الفقه يحمل الناس على العمل به قهراً فامتنع مالك من ذلك أولاً؛ ثم أجابه أخيراً بعد الضغط فوضع الموطأ⁽²⁾.

وكان الرشيد يأمر عامله على المدينة بأن لا يقطع أمراً دون أن يأخذ رأي مالك، كما كان يجلس على الأرض لاستماع حديثه. وكان له سودان قيام على رأسه⁽³⁾.

في بعض احتجاجات الامام الكاظم (ع)

ومن احتجاجات الإمام الكاظم (ع)، يبين صفات الله عز وجل، عن الحسن بن عبد الرحمن الحماني قال (ع): لا جسم، ولا تحديد، وكل شيء سواء مخلوق، وإنما تكون الأشياء بارادته ومشينته من غير كلام ولا تردد في نفس، ولا نطق بلسان⁽⁴⁾.

(1) تاريخ الإسلام: حسن إبراهيم حسن، ج 2، ص 291.

(2) حياة الامام موسى بن جعفر: القرشي، ج 2، ص 166 نقلاً عن شرح الموطأ للزرقاني، 8/1

(3) المرجع السابق، ص 166.

(4) الاحتجاج: الطبرسي، ج 2، ص 155.

وعن يعقوب بن جعفر عن أبي إبراهيم (ع) أنه قال: لا أقول أنه قائم فازيله عن مكان، ولا أحده بمكان يكون فيه، ولا أحده أن يتحرك في شيء من الأركان والجوارح، ولا أحده بلفظ شق فم. ولكن كما قال عز وجل: "إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون" بمشيئة من غير تردد في نفس، صمداً فرداً لم يحتج إلى شريك يدير له ملكه، ولا يفتح له أبواب علمه⁽¹⁾.

وعن يعقوب بن جعفر الجعفري أيضاً عن أبي إبراهيم موسى (ع) قال: نكر عنده قوم زعموا: أن الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا. فقال: إن الله لا ينزل، ولا يحتاج أن ينزل، إنما منظره في القرب والبعد سواء، لم يبعد منه بعيد، ولا يقرب منه قريب، ولم يحتج إلى شيء بل يحتاج إليه كل شيء وهو ذو الطول لا إله إلا هو العزيز الحكيم⁽²⁾.

وسأل محمد بن الحسن أبا الحسن موسى (ع) بمحضر من الرشيد وهم بمكة. فقال له: أيجوز للمحرم أن يظل عليه محمله؟

فقال له موسى (ع): لا يجوز له ذلك مع الاختيار.

فقال له محمد بن الحسن: أيجوز أن يمشي تحت الظلال مختاراً؟
فقال له: نعم.

فتضحك محمد بن الحسن من ذلك.

فقال له أبو الحسن موسى (ع): اتعجب من سنة النبي وتستهزئ بها؟ أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كشف ظلالة في إحرامه، ومشى تحت

(1) الاحتجاج: الطبرسي، ج 2، ص/156.

(2) الاحتجاج: الطبرسي، ج 2، ص/156.

الظلال وهو محرم. أن احكام الله لا تقاس. فمن قاس بعضها على بعض فقد ضل عن السبيل. فسكت محمد بن الحسن لا يرجع جواباً⁽¹⁾.

الإمام الكاظم (ع) ما بين الجهاد الصامت والجهاد الناطق:

في مقولة للإمام الخامنئي: يجب علينا أن ننظر إلى حياة الأئمة (ع) كأسوة وقدوة نقتدي بها في حياتنا، لا لمجرد تكريات قيمة وعظيمة حدثت في التاريخ. وهذا لا يتحقق إلا بالاهتمام والتركيز على المنهج والاسلوب السياسي من سيرة هؤلاء العظماء... ومسيرة الأئمة (ع) واحدة استمرت 250 عاماً ابتداءً من سنة 11 هـ.ق إلى 260 هـ.ق، انتهت بانتهاء الغيبة الصغرى للإمام الحجة (ع)، على الرغم من الاختلاف الظاهري بين سيرهم (عليهم السلام)⁽²⁾.

خمسة وثلاثون عاماً من إمامة الإمام الكاظم (ع)، سنوات حفلت بالتعليم الأيديولوجي البناء، اعوام تبنى فيها الإمام الكاظم (ع) مسألة الإمامة، والحفاظ على معالمها وقديستها، من التشويه والزيغ، خاصة وأن الخلفاء العباسيين تسروا بنظرية الحق الإلهي في الحكم؛ لقد جهد عليه السلام إلى إزاحة تلك الاستار الصنيفة، وتصحيح مسار الامامة، وتبيان ومفاهيمها ومناهجها المرتبطة بالدعوة المحمدية، من حيث أنها امتداد لتلك الدعوة المباركة؛ الإمامة التي عينت بالكتاب والنص. فقد ورد في الآية الكريمة:

(1) المرجع السابق، ص 168.

(2) الدروس العظيمة من سيرة أهل البيت، ص 143 / 144.

{إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون} (المائدة: 55).

وقد اجمعت التفاسير على أن الآية الكريمة نزلت في علي بن أبي طالب (ع) عندما تصدق بخاتمه على المسكين وهو في الصلاة بمحضر في الصحابة⁽¹⁾.

أخرج الترمذي عن زيد بن أرقم قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما"⁽²⁾.

لقد توجه الإمام الكاظم (ع) إلى تصحيح الخواء العقائدي في الفرق المنحرفة عن خط الإسلام كالزندقة والملحدة وتلك القائلة بالغلو والتجسيم وغيرها.. كما توجه الإمام الكاظم (ع) واتباعه تجاه الواقع الاجتماعي المزري للناس الذين تأثروا بمظاهر البذخ والترف. لقد شهد الإمام (ع) مدى انغماس الناس وخضوعهم للجو الفاسد الذي عكسه سلوك الخلفاء العباسيين، وأجهزة الحكم، لدرجة أنهم غرقوا إلى الازقان في المستنقع الآسن. والأخطر من هذا؛ أن المدينة كانت موطناً لفنون الدلال والغناء.

فابراهيم الموصلية مغني هارون الرشيد، تعلم فن الغناء على رجل أخذ

(1) المراجعات: عبد الحسين شرف الدين: تحقيق: محمد جميل حمود، ص 125.

(2) المرجع السابق، ص 96.

أصوات الغناء عن أهل الحجاز⁽¹⁾. كما اشتهرت مولدات المدينة بالدلال والميل إلى السرور والفكاهة والمجون، وبحسن الاستعداد للنبوغ في الغناء، وعرفت مولدات مكة بدقة المعصم والمفصل والعيون الناعسة.. والمثل الأعلى للجارية كما يقول أبو عثمان الدلال أمة تكون من أصل بربري، فارقت بلادها في التاسعة من عمرها. مكثت ثلاث سنين في المدينة، ومثلها في مكة، ثم رحلت إلى العراق في السادسة عشرة من عمرها لتتقف بثقافتها، فإذا بيعت في الخامسة والعشرين كانت قد جمعت من جودة الأصل، ودلال المدينيات، ورقة المكيات، وثقافة العراقيات⁽²⁾.

وقد روي أن الرشيد كان يرسل المغنيات الى الطائف وعلى نحو خاص الى المدينة المنورة المعروفة بمدارس الفن والغناء والموسيقى⁽³⁾.

وقد تمثل نهج الإمام الكاظم (ع) تارة بسياسة التقية - فالتقيه شكلت نموذجاً من النماذج التي مارسها الإمام (ع) في تلك المرحلة الزمنية التي اشتدت فيها الضغوط، واختنقت فيها الانفاس. لقد واجه الامام (ع) هذا المد والجزر بعزيمة وتماسك، كان عليه السلام - بحكم موقعه كإمام - أن يعبد السبل أمام اتباعه، يذكي روح الأمل في عزائمهم. هناك رواية تبين مدى الضغط الذي تعرض له الإمام (ع): حيث بقي ولفترة متخفياً عن أنظار الحكومة آنذاك، وكان هارون وازلامه يبحثون عنه. ولم يستطيعوا أن يجدوه.

(1) تاريخ الاسلام، حسن إبراهيم حسن، ص 407، ج 2.

(2) هارون الرشيد: أحمد أمين، ص 86.

(3) هارون الرشيد ولعبة الامم: اندريه كلو، ص 38.

وكان الخليفة يقبض على بعض الافراد ويعذبهم ليعترفوا ويخبروه عن مكان الإمام (ع).

وهذا لأول مرة يحدث هذا الأمر في حياة الائمة (ع)، وقد نقل ابن شهر آشوب في بعض المناقب ما يفيد ما نكر حيث قال "دخل موسى بن جعفر (ع) بعض قرى الشام مستنكراً هارباً"⁽¹⁾.

ومن سياسة التقية إنه كان (عليه السلام) ينفي وبشدة أمام الخليفة قيامه بأي نشاط ضد الجهاز الحاكم وذلك في كل مرة كان يتعرض فيها (ع) للاستجواب، كما في جوابه (ع) على سؤال للرشيد، : "يا موسى بن جعفر خليفتان يجبي اليهما الخراج؟".

فقال (ع): يا أمير المؤمنين أعيدك بالله أن تبؤ بإثمي وإثمك. فتقبل الباطل من اعدائنا علينا⁽²⁾.

لقد انتهج (ع) التقية في المواقف التي ترتبط مباشرة بمصالح أصحاب الحاجات من الفقراء والضعفاء الذين غفلت عنهم أجهزة الحكم والخلفاء. فحين شكى علي بن يقطين - وزير هارون الرشيد - إلى الامام الكاظم (ع)، عدم رضاه عن ذاته بأنه يعمل مع هارون الرشيد، وذلك كما جاء في رواية عن محمد بن اسماعيل بن مزار عن بعض أصحابه: أنه لما قدم أبو ابراهيم موسى بن جعفر (ع) العراق. قال له علي بن يقطين: أما ترى حالي وما أنا فيه؟

(1) الدروس العظيمة من سيرة أهل البيت: الخامنئي، ص 169.

(2) الاحتجاج: الطبرسي، ج2، ص161.

فقال (الإمام ع): يا علي إن الله تعالى أولياء مع أولياء الظلمة ليدفع بهم عن أوليائه وأنت منهم يا علي⁽¹⁾.

ومع هذا لم يسلم الإمام الكاظم (ع) من بطش الجهاز العباسي الحاكم، وكذلك لم يسلم أتباعه، فمنهم من قتل، ومنهم من شرد بعيداً عن الديار، ومنهم من قيد بالاعلال. حتى وصل الأمر إلى استدعاء الإمام (ع) وتهديده وسجنه، حتى مضى عليه السلام شهيداً مسموماً في سجن هارون الرشيد.

أمثلة الحق في الجهاد الناطق:

لقد كان للإمام الكاظم (ع) إلى جانب سياسة التقية مواقف من الصلابة والمواجهة الصريحة مع الخليفة نفسه، خاصة في المسائل التي ترتبط بالعقيدة والإمامة. فهناك مواقف في الحياة تأبى عليك الضيم، مواقف تبقى في صحف العلا نكرى، وتحى بعدك الذكرى. هي مواقف الحق والدفاع عنه. لكن عذراً!! فالحق لا يرتضي إلا منازله، لا يرتضي سوى إنسان ريان من كل مجد ومن كل شرف. إنسان جلدٌ على الأهوال مصطبرٌ، إنسان كبرى المصاعب عنده صغرى.

والحق ارتضى الإمام الكاظم (ع)، فالكاظم (ع) آية لها فوق هامات الحق منازل. فانطلق (ع) حاملاً لواء الحق، يركب الصعاب، يجلي زيف ما خط في سفر بني العباس قسراً. هب عليه السلام ناهضاً ينير ليلاً أيل أكن، يعيد للتاريخ ذكرى جدود لها في جوانب الكون نور، نور أنار من الألباب ما

(1) مجمع الرجال: علي القهستاني، ص 237، ج 4

كان مظلماً. هب عليه السلام غير هباب ل خليفة أو سلطان. فمن يرتجي
غايات الحق والهدى يخوض نجي الليل لا يرهب الردى ولا يرتقب فجراً.
فالإمام الكاظم (ع) في مفاخرته مع الرشيد في مسجد النبي (صلى الله
عليه وآله وسلم) كما ذكرنا ونعيد للذكرى: حج الرشيد فأتى قبر النبي (صلى الله
عليه وآله وسلم) زائراً وحوله قریش ورؤساء القبائل، ومعه موسى بن جعفر.
فقال: السلام عليك يا رسول الله يا ابن عم، افتخاراً على من حوله.
فقال موسى: السلام عليك يا أبت. فتغير وجه هارون الرشيد وقال هذا
هو الفخر يا أبا الحسن حقاً⁽¹⁾.

هذه الرواية تطالعك مواجهة صريحة مع الخليفة نفسه، أنها ترتبط
بموقع الإمامة مباشرة، لقد هدف الإمام (ع) الى تسجيل موقف للتاريخ عن
الحق المستلب، يسجل وثيقة للمحيط القريب منه وللأجيال على مر العصور
عن الوقائع والأحداث الدائرة آنذاك؛ لقد أحيا الإمام الكاظم (ع) ومن مسجد
النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مباشرة مسألة الإمامة، لقد أظهر عليه السلام
للملا مكانته وقربه من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنه أحق بالخلافة بناءً
لنص الكتاب والسنة.

هذا الموقف أخرج الرشيد أمام الجمهور الغفير الذي يحيط به، شعر أنه
أخطأ التوفيق، فاجتهد فكره سريعاً ليتكشف عن قرار بغيض هو اعطاء
الأمر بسحب الإمام الكاظم (ع) من المسجد واعتقاله، هذا القرار سجل وثيقة

(1) وفيات الأعيان: ابن خلکان، ج 5، ص 309/ تاريخ بغداد، ج 13، ص 32.

دامغة على مستوى الاضطهاد والتعسف والجور الذي يتعرض له الإمام
الكاظم (ع) من الخليفة هارون الرشيد نفسه.

ما الفخر الحق في بُرد الغنى:

دخل الإمام الكاظم (ع) على هارون في بعض قصوره فسأله هارون
بعد أن اسكرته نشوة الحكم قائلاً: ما هذه الدار؟

فأجابه الإمام (ع): هذه الدار دار الفاسقين. قال تعالى: {سأصرف عن
آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق، وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها، وإن
يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ذلك
بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين} (الاعراف: 146).

فقال هارون: دار من هي؟

قال الإمام (ع): هي لشيعتنا فترة ولغيرهم فتنة.

قال: فما بال صاحب الدار لا يأخذها.

فقال (ع): أخذت منه عامرة ولا يأخذها إلا معصورة.

قال: فأين شيعتك.

فقرأ ابو الحسن (ع): {لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين

منفكين حتى تأتيهم البينة} (البينة: 1).

قال: فنحن كفار؟

قال (ع): لا ولكن كما قال تعالى: {الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا

قومهم دار البوار} (ابراهيم: 28)

فغضب عند ذلك، وغضب عليه⁽¹⁾.

رواية تطالعك بموقف شكل وثيقة مضافة إلى سجل التاريخ، وثيقة سجل فيها الإمام الكاظم (ع) على الباطل بطلانه. وشيد للحق أركانه، تطالعك بموقف طافح بكبرياء فخر الحق وقد جاء ناطقاً على لسان الإمام الكاظم (ع). لقد وضع الإمام الكاظم (ع)، هارون أمام ذاته الهاوية في لذات الحياة وزهوها، حتى أنسته سوء العواقب. أيقظ الإمام الكاظم (ع) الرشيد من غفلة العجب والكبر وقد زاغت به عن مورد الرشد. نبه الامام الكاظم (ع)، هارون على أن العلياء والفخر ليس في بُرد الغنى، والعدل يأبى أن يعيش المرء في دعة يجني الثمار، ويجتلي الزهر.

"فدك" قصص الحق المغتصب:

قال هارون الرشيد للإمام موسى الكاظم (ع): حد فدكاً حتى أردتها اليك.
فأبى الإمام (ع) حتى ألح عليه الرشيد فقال الإمام:
لا أخذها إلا بحدودها.

قال: ما حدودها

قال: وإن حددتها لم تردّها.

قال: بحق جدك إلا ما فعلت.

قال: أما الحد الأول فعدن.

فتغير وجه الرشيد وقال إيها!!

(1) بحار الانوار: المجلسي، ص 156، ج 48.

قال: والحد الثاني سمرقند.

فأربد وجهه

قال: والحد الثالث افريقية.

فأسود وجهه وقال: هيه!

قال: والرابع سيف البحر لما يلي الجزر وارمينية.

قال الرشيد: فلم يبق لنا شيء فتحول إلى مجلسي.

قال موسى: قد أعلمتك أنني إن حددتها لم تردّها⁽¹⁾.

فدك، ما هي فدك؟؟ هي حكاية الظلم، هي قصص الحق المغتصب، هي

الاستلاب الصريح لحق النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وأسوأ الخطب أن هذا

الاستلاب تم تحت شعار الدين وبناء لشهادة اعرابي بائل على عقبه⁽²⁾.

فدك في التاريخ:

هي قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة فيها عين فوه

ونخل كثير⁽³⁾. وكان وكيل فاطمة على فدك يجيء لها غلتها البالغة كل سنة

أربعة وعشرين ألف دينار أو سبعون ألف دينار⁽⁴⁾. وفدك كانت خالصة

(1) بحار الأنوار: ج 48، ص 144/ المناقب: ج 4، ص 1183/ تذكرة الخواص: الجوزي، ص 314.

(2) الاحتجاج الطبرسي، ص 122 (هذا ما قاله الإمام علي (ع) في حواره مع بكر وهو يطالبه باسترجاع فدك إلى السيدة فاطمة (ع)).

(3) معجم البلدان الحموي، ص 417 - 418، مجلد 3، ج 6.

(4) وفاة الصديقة الزهراء: عبد الرزاق المقرم، ص 72.

لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب⁽¹⁾. فكانت نحلة من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى ابنته السيدة فاطمة (ع)، وقد استفاضت الروايات حول ملكية السيدة فاطمة (ع) لفدك منذ عهداً بيها (صلى الله عليه وآله وسلم)⁽²⁾: عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزل قوله تعالى: { وآت ذا القربى حقه } (الاسراء 26) أعطى رسول الله فاطمة فدكاً⁽³⁾.

وبعدما بويع لأبي بكر في سقيفة بني ساعدة، وبعدما استقام له الأمر على جميع المهاجرين والأنصار. بعث إلى فدك من أخرج وكيل فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فجاءت عليها السلام إلى أبي بكر تطالبه بها⁽⁴⁾.

وأبى أبي بكر رد فدك على فاطمة وألحث السيدة فاطمة على مطالبته بحقها. وأبى بكر يخلق التبريرات بأنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة⁽⁵⁾.

وخرجت فدك عن كونها "شيئاً" معيناً لتصبح "معنى" له أبعاده الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية. لقد أصبحت فدك قضية كبرى، أصبحت

(1) شرح النهج، ابن أبي الحديد، ج 16، ص 210.

(2) راجع في هذا الخصوص دراسة تحليلية في أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد، محمد جميل حمود، ج 1، ص 246-314.

(3) الاحتجاج للطبرسي، ج 1، ص 122/ مقتل الحسين: الخوارزمي، ج 1، ص 70/ كنز العمال، ج 2، ص 158/ شواهد التنزيل: الحسكاني، ج 1، ص 438-445.

(4) الاحتجاج للطبرسي، ج 1، ص 119.

(5) شرح النهج: ابن أبي الحديد، ج 16، ص 218.

فكرة ومبدأ. لم تعد ارثاً يتوارثه الابناء. بل أصبحت تراثاً. أصبحت مجموعة أفكار وآراء ومعتقدات تتناقلها الاجيال. غدت الاطار المعنوي لكل واقعة ظلم، حكاية لكل استلاب، لكل مظهر من مظاهر الاضطهاد.

وبقيت فدك الحق المُستلب، فبعدها وصلت الخلافة إلى عثمان بن عفان قرب ابن عمه مروان بن الحكم - طريد رسول الله ولعيته - إلى المدينة ووهبه خمس أفريقية وفيه حق الله ورسوله، وأقطعه "فدك"⁽¹⁾.

وينكر ابن أبي الحديد أنه لما وُلِّي الأمر معاوية بن ابي سفيان أقطع مروان بن الحكم ثلثها بعد موت الحسن بن علي (ع)، وخلصت كلها إلى مروان بن الحكم أيام خلافته. فوهبها لعبد العزيز ابنه، فوهبها عبد العزيز لابنه عمر بن عبد العزيز، فلما ولي الخلافة كانت أول ظلامة ردها.

ولما ولي يزيد بن عاتكة قبضها، فصارت في أيدي بني مروان كما كانت يتداولونها، حتى انتقلت الخلافة عنهم، فلما ولي أبو العباس السفاح ردها على عبد الله بن الحسن بن الحسن، ثم قبضها أبو جعفر لما حدث من بني الحسن ما حدث، ثم ردها المهدي ابنه على ولد فاطمة (ع). ثم قبضها موسى بن المهدي وهارون أخوه. فلم تزل في أيديهم حتى ولي المأمون فردها على الفاطميين⁽²⁾.

(1) معالم المدرستين: مرتضى العسكري، ج2، ص180/ وسائل الشيعة: الحر العاملي، مقدمة التحقيق، ص32/ السنن الكبرى، البيهقي، ج6، ص301/ تاريخ مدينة دمشق: ابن عساکر، ج45، ص179.

(2) شرح النهج: ابن أبي الحديد، ج16، ص216.

لقد بين الامام الكاظم (ع) بأن فدك ليست قطعة ارض من تراب ونخل، فدك هي قضية الحق المستلب، قضية الإمامة المنتزعة، فكانت قوة مواجهة الإمام (ع) مع الرشيد بمقدار قوة المبدأ الذي يطرحه عليه السلام، المبدأ الذي تجوّف وضاع معناه أمام جبروت السلطة. لقد أكد الإمام الكاظم (ع) في هذا الحوار على أن الحق لا يفنى، لا يضيع في متاهات الظلم. بين عليه السلام بأنه إذا اعتدي على الحق في ظلمة الليل الأليل، فله في ضمير الكون خير شاهد. وكفى بالخليفة شاهداً على حق السيدة فاطمة عليها السلام، المغتصب. ولكن ما الحيلة مع خليفة إذا دعاه الهدى ألوى به الصمم؟؟

وجودك ذنب!!

هذا ما كان يردده هارون الرشيد للإمام الكاظم (ع): "وجودك ذنب" يكفي أن الإمام موجود حتى يعتبره هارون مذنباً فعندما كان يسأله الإمام (ع) عن السبب، فاي ثورة قام بها وماذا فعل؟ لم يكن لدى هارون جواب لكن لسانه حاله يقول: وجودك ذنب⁽¹⁾.

ورواية صفوان الجمال أحد اتباع الإمام الكاظم (ع) شهادة حق على هلع الرشيد، تريك حالة الرشيد في جنونه وشروده وهو ينتفض كطير ذبيح، يغلي مثل المرجل في احتدامه. لقد كبر على الرشيد هذا التأثير الأخاذ للإمام الكاظم (ع) على أصحابه وأتباعه حتى باتوا لا ينطقون إلا بلسانه، لا يأمرون إلا بأمره:

(1) سيرة الأئمة الأطهار: مرتضى المطهري، ص 152.

كان صفوان الجمال يمتلك مركزاً لتأجير وسائل النقل التي كانت في ذلك الزمان الجمال، وكان جهاز الخلافة يطلب منه حمل ونقل الاحمال. وفي يوم اراد هارون السفر إلى مكة فطلب لوازم الحمل والنقل من صفوان، فعقد عقد الإجارة. فجاء صفوان إلى الإمام الكاظم (ع) وأخبره بذلك. فقال له الإمام (ع) لماذا أجرت جمالك لهذا الرجل الظالم الجائر؟

قال: أجرته حيث لم يكن سفره معصية بل كان سفر حج، سفر طاعة. وإلا لم أكن لأؤجره.

فقال عليه السلام: أخذت مالك أم لا؟ وهل بقي من الاجرة شيء أم لا؟ قال: نعم بقي.

فقال عليه السلام: أسأل قلبك، الآن حيث أجرته جمالك ألا تحب أن يبقى هارون - ولو هذه المدة - في الدنيا حياً حتى يأتي ويعطيك الأجرة. فقال: نعم.

فقال عليه السلام: فأنت راضٍ ببقاء هذا الظالم بهذا المقدار، وهذا نيب. فخرج صفوان وكانت له سوابق مع هارون، وفجأة ينتشر الخبر أن صفوان باع جماله مرة واحدة. وتخلي عن هذا العمل. ثم ذهب إلى الذي عقد معه عقد الإجارة على الجمال لهارون وقال له: إني أفسخ العقد لأنني لا أريد أن أقوم بهذا العمل بعد الآن. وحاول أن يأتي باعذار شتى.

وصل الخبر إلى هارون فطلبه. وعندما حضر سأله ما الأمر؟ فقال: لقد عجزت ولم يعد هذا العمل ملائماً لي، فرأيت أن أختار عملاً غيره. فقال هارون: اصدقني الخبر لماذا بعت.

قال: ما قلته هو الصدق.

قال: لا، أنا أعلم ما القضية، علم موسى بن جعفر أنك أجرتني. وقال لك هذا خلاف الشرع - لا تنكر - وأقسم بالله لولا ما لدينا من سوابق كثيرة في هذه السنين الطويلة مع عائلتك لأمرت أن تعدم ها هنا⁽¹⁾.

لقد شعر الرشيد في حسه الذي قيل عنه لامع، أن الظواهر والمقدمات تشير إلى أن الأمة وجدت في الإمام الكاظم (ع) ينبوعاً دينياً، وملاذاً من بني العباس. ومن الطبيعي أن يعطي هذا الشعور المترع بالغیظ والحقد والبغض الدفين، أن يعطي لتلك الشخصية الخاوية، الأذن للغضب على أن يستفحل ويعلن عن ذاته على أنه قوة. فيهدد الرشيد ويتوعد صفوان بالاعدام الفوري لولا تلك السوابق الكثيرة.

مواقف تنبئك عن حقائق جهد الرشيد أن يحوها بأساليب الخداع والمواربة، فالإمامة ما زالت أطياً مرعبة. فكان في كل أونة يسمع فيها صدى أي حركة للإمام الكاظم (ع) يهب كالإعصار الذي يقتلع ما يعترضه، يأخذ ما اقتلعه بعيداً، يعلو به، وفجأة يرمي به في فضاء الهاوية. والدليل على شدة رعبه وغليان صدره تسليم الخلافة إلى البرامكة. وذلك خشية من الأئمة عليهم السلام؛ حتى وجد نفسه على شفا جرف هارٍ وقد أحس بإفلات زمام الأمور منه مما دفعه إلى النعمة على البرامكة ونكبتهم وقتل جعفر أقرب

(1) سيرة الأئمة الاطهار: مرتضى المطهري، ص 152.

المقربين منه وحزاً رأسه وصلبه. ولهذه النكبة أسباب متعددة لسنا الآن بصددھا.

لقد استطاع الإمام الكاظم (ع) بالرغم من تلك المواقف والظروف الضاغطة و الرقابة الشديدة؛ وظروف الأسر؛ أن يحقق نجاحاً بارزاً في المحافظة على دوره كإمام معصوم، حفظ الانجازات التي حققتها حركة الأئمة (ع) في خلال الفترات السابقة. لقد اجتازت الإمامة مع الامام الكاظم مرحلة خطيرة ومعقدة. لقد اثبت الكاظم(ع) الى من حوله والى الخليفة نفسه أن الامامة ثابتة الأصول والعقائد، ترتبط في جذورها وعمقها مع تاريخ الدعوة الرسالية وبصاحب الدعوة. هذا الثبات جعل منه (ع) نقطة استقطاب لمن حوله وأن يكون الفكر النابض الاصلاحى في كل مجالات الحياة، وسجن الامام الكاظم(ع) واغتياله بالسّم خير دليل على مدى نجاح الامام الكاظم(ع) في مسيرته الجهادية من خلال التنظيم الايديولوجى الرسالى الذى انتهجه عليه السلام.

هي شكوى واحدة:

لقد جد بالجور صرف الزمن، بلغ السيل هام الزبي وجاز الظلم. لكن مثل الامام الكاظم (ع) له آيات صبر تحتذى وإن طال الثواء على الضراء والضيم. فالصبر في غمرات الخطب مُبلغةً للقصد ومن رجا أن يكون الحق غايته يصبر على الهول. وإن دعاه الردى لم تثبه الهمم

لقد سجن الرشيد الامام الكاظم(ع) في داج من الظلم. ظنا منه أن السجن يوهي عزائمهم. فقد غاب عن هارون أن الليث ليث وإن حبس في قفص، والسيف سيفاً وإن تغمده في جفن.

لعمري ما كان السجن إلا منزلة علا بها الكاظم (عليه السلام) شرفاً، وإن تجرع فيه علقم المحن. فسجين المجد يغضي على الألم، يخوض أمواج العنا، لا يهاله بحر مزيد بالخطب، ولا لظى شر هارون المحتدم.

من مثل الإمام الكاظم (ع) يلاق المنايا وهو ممتنع، لا يشكو نازلة، وأن كانت دهياء دهماء توهم طاقة الهمم. أربع سنوات كابد عليه السلام في سجن هارون مكبلاً. عركت الليالي بهولها عظامه. لَكُمْ حَفَّةٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ رِزءٌ، وكم نابيه شجن، فما وهن عليه السلام من حادث مهما جل خطبه، ولا لان في يوم الشدائد عوده. إنما كان نوراً لألاءاً، حامداً لله كما وقب ليل وغسق، وكلما لاح نجم وخفق. فله صبرُ الامام الكاظم (ع)، فما لاقاه من قهر ومن جور يهز الرواسيا، لكن أبي الورع والتقوى لم تسمع له شكوى، إلا كلمات نظمها في عبارتين ارسلها لهارون:

"لن ينقضي عني يوم من البلاء

إلا انقضى معه عنك يوم من الرخاء
حق نمضي جميعاً الى يوم ليس فيه انقضاء
هناك يخسر المبطلون".

بضع كلمات إذا أخذت في معانيها تقرأك الإمام الحر الأبي، فيا أبناء
المعالي، ويا حماة الرسالة، عهدي أن توقظكم كلمات هي عظة تعلم الحر أن
الحق لا يرتضي إلا منازلته. وأن الحق هو عند ذاك الإمام الكاظم العلم.
ويا هارون الرشيد، وعهدي إن كنت رشيداً، أن توقظك كلمات الامام
موسى بن جعفر (ع)، كلمات تذل لها شمم الجبال وتضرع. فما هي إلا
صيحة إن لم تجب داعيها فسوف تلاق شر مندم. وأسفي عليك رشيداً لم تكن
برشيد، فانه أولى بك واعلم.

تاريخ وفاته (ع):

استشهد الإمام الكاظم (ع) لخمس بقين من رجب في العام 183 وهو
المشهور. وله من العمر خمسة وخمسون عام⁽¹⁾. وقيل بوفاته لست خلون من

(1) الفصول المهمة، ص 238/ المناقب: ابن شهر اشوب، ج 4، ص 1186/ وفيات
الاعيان: ابن خلكان، ج 5، ص 310/ الانوار النعمانية: نعمة الله الموسوي
الجزائري، ص 379/ اثبات الوصية: المسعودي، دون تحديد الشهر، ص 213/
مرآة الجنان: اليافعي: ص 394، ج 1، دون تحديد الشهر، اعلام الوري:
الطبرسي، ص 294/ عيون أخبار الرضا: الصدوق، ج 1، ص 92/ تاريخ بغداد،
ج 13، ص 33/ الاتحاف بحب الاشراف: الشيرازي، ص 155.

رجب من سنة 183 للهجرة⁽¹⁾ ومنهم من قال بوفاته في رجب عام 184 للهجرة⁽²⁾. الى قائل بوفاته عام 188 للهجرة⁽³⁾.

الامام الكاظم (ع) مسجى على جسر الرصافة ببغداد:

وروي أن الإمام (ع) بقي ثلاثة أيام لم يوار جثمانه الشريف⁽⁴⁾، ملقى على جسر الرصافة تنتظر إليه العامة، وبعدها شيع عليه السلام بموكب مهيب ودفن في مثواه الأخير في مقابر قریش بمدينة السلام بباب التبن.

روى الصدوق مرفوعاً إلى عبد الله الصيرفي عن أبيه قال: توفي موسى بن جعفر (ع) في يد السندي بن شاهك، فحمل على نعش ونودي عليه: هذا إمام الرافضة فاعرفوه.

فلما أتى به مجلس الشرطة أقام أربعة نفر، فنادوا: ألا من أراد أن يرى الخبيث ابن الخبيث فليخرج.

وخرج سليمان بن أبي جعفر الجعفري من قصره إلى الشط فسمع الصياح والضوضاء فقال لغلمانه ولولده: ما هذا؟ قالوا: السندي بن شاهك ينادي على موسى بن جعفر (ع) على نعشه.

(1) الكافي: الكليني، ج 1، ص 476/ الارشاد: المفيد، ص 215/ المناقب ابن شهر آشوب، ج 4، ص 1186.

(2) دلائل الامامة الطبري، ص 146.

(3) تنكرة الخواص: ص 314 ونكر أنه قيل بوفاته 183 للهجرة كما نكر أنه بقي مسجوناً سبع سنوات.

(4) حياة الامام موسى بن جعفر القرشي، ص 523 نقلا عن عمدة الطالب، ص 185.

فقال لولده وغلمايه: يوشك أن يفعل هذا به في الجانب الغربي، فإذا عبر به فانزلوا مع غلمانكم فخذوه من أيديهم. فإن مانعوكم فاضربوهم وخرقوا ما عليهم من السواد. فلما عبروا به نزلوا إليهم فأخذوه من أيديهم وضربوهم وخرقوا عليهم من سوادهم. ووضعوه في مفرق أربعة طرق وأقام المنادي ينادي: ألا ومن أراد أن يرى الطيب ابن الطيب موسى بن جعفر (ع) فليخرج. وحضر الخلق وغسل وحنط بحنوط فاخر وكفنه بكفن فيه حبرة استعملت له بألفين وخمس مائة دينار عليها القرآن كله، واحتفى ومشى في جنازته متسلبا مشقوق الجيب إلى مقابر قریش فدفنه هناك. وكتب بخبره إلى الرشيد. فكتب الرشيد إلى سليمان بن جعفر وصلتك رحم يا عم وأحسن الله جزاك والله ما فعل السندي بن شاهك لعنه الله تعالى ما فعله عن أمرنا⁽¹⁾.

(1) عيون أخبار الرضا، ج 1، ص 93.

وداع

سيدي مع كل راكات الدمع، ومع لظى الجور المسبوك، طويت
معك صفحات مضيئة، نشرت لي منها في حس قلبي نوار زهر وملاًباً من
شذاك... عقدت لي في دنيا حياتي عزّ فخر وبهجة من عبق ذكراك... فيها
انذا سيدي أسرع الخطى بأمل المشتاق ابتغي سر اللقاء... تناهت مشاشقي
إلى روعة مجدك فعطفاً من علاك...

في خضم الكون عرض نجم، شعاعه معقل النور والوحي.
مر كسهم النور يضيء سبل الجهاد والصبر والنصر..
وفي لحظة هوى النجم، غدرت فيه ليالي الرشيد.
فالرشيد بكل وفي العهد شيمته الغدر..

ها هو الكاظم (ع) على جسر الرصافة مسجى
فيا لها من مصيبة حرقت فاطمة وأشجت حيدرا
أيا جسر الرصافة! أقبلت الكاظم على ترابك مسجى؟
أقبلت الكاظم ضحية! وقد كان قبلة للصلاة والإبا؟
ويا ديار الرصافة وبغداد هيا اندي وانثري الدمع على الثرى.
فيا لهفي على ذاك المسموم على جسر الرصافة ظل ثلاثة لم يقبرا
لهفي عليه ملقى على الجسر، تظنه داود في المحراب حين تسورا

لهفي على المسجى فوق الجسر، كأنه ذو النون وقد نبذ بالعرا
لهفي على الصريع المسموم، كأنه قمر هوى من أوجه فتكوراً
لهفي على تلك الشفاه الذبلي، وقد كانت بذكر الله معطرة.
من لي بأن أفدي الكاظم بمهجتي، أقدم له حبة مقلتي، اجعل مدفنه
الشريف المحجرا.

سقاك الله هارون جرّع الحمام كما سقيت الامام ابن النبي المطهرا
وسندي ما أحرك الموت يوماً فكان أمرك مقدراً
سيدي يا ابن الكرام، يا ابن فاطمة إن في مقلتي دمعاً إذا يجري
حديثكم جرى، فيا سيدي، يا ابن الاكارم يا ابن الصادق والباقر وزين
العابدين وابن اصحاب الكساء. يا سيدي يا ابا الاكارم الرضا والجواد
والهادي والعسكري والمهدي عترة النبي (ص) أولي النهى. أعوذ بكم من
ذنوب اثقلت ظهري عسى بولايتكم أن تغفرا..

فيا ساداتي بكم نجاتي في الحياة من الكرب والاذى، ومن الجحيم إذا
وردت المحشرا. سيدي إن غبت، ما غاب وجه نورك، فهاذا الرضا ما زال
طيب شذاك به يسري بين الوري، سرت نسمة الرضوان بين ضلوعه
فجاء منارة الذكر والهدى...

فسلام عليك سيدي، سلام قلب أمل بك الفوز عند الله في رضوانه،

وسلام إلى ابائك الميامين وإلى ابيك المرتضى (ع) وإلى أمك فاطمة
الزهراء (ع) التي مضت قهراً، وإلى جدك المصطفى (ص)، وسلام إلى
الحسين (ع) الذي بكته السماء نجياً أحمرأ، وسلام إلى الحسن (ع) الذي
سُمّ ظلماً فدرى به الخطيم فتحطماً. وسلام إلى المفارق رأسه جسمه
العباس (ع) قطع الكفين، مَنْ أباه يسقي الكوثرأ. وسلام إلى زينب (ع)
التي أنت لفراتهما الجمرات والصفاء والمرورة وزمزم كلٌ عليها تكدرأ. فسلام
عليكم ساداتي كلما ذكر السلام وكلما كرّ الصباح على الدجى وتكورا،
سيدي أنا رِقْ استجار عطفكم وشفاعتكم، اللهم فاكتبني معهم يوم
حشري، وآخر دعوانا أنا الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- 1- القرآن الكريم.
- 2 - الأئمة الاثنا عشر: ابن طولون، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار بيروت، 1958
- 3- الأئمة الاثنا عشر: عادل الأديب: الدار الاسلامية، ط 3، 1985.
- 4- أبهى المداد في شرح مؤتمر بغداد: محمد جميل حمود، مركز العترة للدراسات والبحوث، ط1، 2002.
- 5- الاتحاف بحب الاشراف: عبد الله الشيراوي الشافعي، دار النخائر للمطبوعات، قم، ايران.
- 6- آثار أهل البيت في تطور المجتمع الإنساني يوسف جعفر سعادة، مؤسسة ام القرى للتحقيق والنشر، بيروت، ط 1، 1422هـ.
- 7- إثبات الهداة: محمد بن الحسن الحر العاملي، ج 5، منشورات دار الكتب الاسلامية، طهران، 1399ق.م.
- 8- اثبات الوصية: المسعودي، دار الاضواء، بيروت، ط 2، 1988.
- 9- الاحتجاج: الطبرسي، شركة الكتبي للطباعة والنشر، بيروت، 1993.
- 10- أخبار الدولة العباسية عن مخطوط من مكتبة مدرسة ابي حنيفة، تحقيق عبد العزيز الدوري، دار الطليعة للنشر، بيروت، ط 2، 1997.
- 11- الاخبار الطوال الدينوري، منشورات الشريف الرضي، ط 2، تحقيق المنعم عامر.
- 12- اختيار معرفة الرجال: الطوسي مؤسسة آل البيت (لأحياء التراث تصحيح وتعليق ميرداماد الاستربادي).
- 13- الإرشاد: المفيد، مؤسسة آل البيت، لأحياء التراث.
- 14- أصول العقيدة: محمد سعيد الطبطبائي الحكيم، مؤسسة الحكمة للثقافة الاسلامية، النجف، ط 2، 2007.
- 15- أصول الكافي: الكليني، دار الكتب الاسلامية، طهران، ط 3، 1388.

- 16- أعلام الوري: الطبرسي، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف، 1970، ط 3.
- 17- اعلما أني فاطمة: عبد الحميد المهاجر، دار الكتاب والعترة ، ط1، 1993
- 18- أعيان الشيعة، محسن الامين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.
- 19- الاغانى: ابو الفرج الاصفهاني، دار الثقافة، بيروت، اشرف عبد الستار أحمد الفرج، ط 8، 1990.
- 20- الإمام الحسن بن علي ، ريحانة رسول الله ، زينب محمد عيسى، صادر عن جمعية السيدة زينب الخيرية، ط1، بيروت 2007
- 21- الامام الحسين: عبد الله العلي، دار مكتبة التربية، بيروت، 1986.
- 22- الامام الصادق: حسين الحاج حسن، دار المرتضى، بيروت، ط 1، 1997.
- 23- الامام الصادق: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993.
- 24- الامام علي بن محمد الهادي: زينب محمد عيسى، صادر عن جمعية السيدة زينب الخيرية، ط 1، 2006.
- 25- الامام الكاظم، مؤسسة البلاغ، ايران، ط 2، 1988.
- 26- الامام علي بن الحسين: زينب محمد عيسى، صادر عن جمعية السيدة زينب الخيرية، ط 1، 2000.
- 27- الامام محمد بن علي الباقر: زينب محمد عيسى، صادر عن جمعية السيدة زينب الخيرية، ط 1، 2002.
- 28- الامام محمد بن علي الجواد: زينب محمد عيسى، صادر عن جمعية السيدة زينب الخيرية، ط 1، 2005.
- 29- الامام موسى الكاظم: نبيل علي صالح، مركز الغدير للدراسات الاسلامية.
- 30- الامام موسى بن جعفر الكاظم (ع)، ومدرسة أهل البيت في مرحلة الاكتمال، زهير غزاوي، دمشق، 2000.

- 31- الامامة والسياسة: ابن قتيبة الدينوري، انتشارات الشريف الرضي، 1413هـ.
- 32- الامامة وأهل البيت: محمد بيومي، طهران مركز الغدير للدراسات الاسلامية ط2
1995.
- 33- الأنوار البهية: عباس القمي، مؤسسة النشر الإسلامي، ط1، 1417 هـ.
- 34- أنوار التنزيل: البيضاوي، مؤسسة شعبان، بيروت.
- 35- الانوار النعمانية: نعمة الله الموسوي الجزائري، مطبعة شركة جاب ايران.
- 36- إني فاطمة: زينب محمد عيسى، صادر عن جمعية السيدة زينب الخيرية، ط 1،
2004.
- 37- أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف، محمد باقر الصدر، دار المعارف للمطبوعات،
بيروت، 1990
- 38- بحار الأنوار المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، 1983.
- 39- بحث حول الإمامة: كمال الحيدري، دار الصادقين، قم، ط1، 1999.
- 40- بحوث في الولاية: محمد جميل حمود، مخطوط
- 41- البدء والتاريخ: 1896، باريس.
- 42- البداية والنهاية: ابن كثير، دار التراث العربي، طبعة أولى، 1988.
- 43- البرامكة في ظلال الخلفاء: محمد أحمد برانق، دار المعارف، مصر.
- 44- البرامكة: هوكو جونت فرج، دار الفكر العربي، بيروت، ط 1، 1990.
- 45- بصائر الدرجات: حسن بن سليمان الحلبي، انتشارات الرسول، أحمد المصطفى، ط1،
قم، 1950.
- 46- البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت.
- 47- التاج في اخلاق الملوك: الجاحظ، تحقيق أحمد زكي باشا، المطبعة الاميرية،
القاهرة، ط 1، 1914.

- 48- تاريخ الاسلام: الذهبي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط 1، 1997، بيروت.
- 49- تاريخ الاسلام: حسن ابراهيم حسن، دار احياء التراث العربي، ط 7، 1964.
- 50- تاريخ التمدن الاسلامي: جرجي زيدان، تعليق حسني مؤنس.
- 51- تاريخ الخلفاء السيوطي: تحقيق محمد فخر الدين عبد الحميد، منشورات الشريف الرضي، ط 1، 1411.
- 52- تاريخ الطبري.
- 53- تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت.
- 54- تاريخ بغداد: الخطيب، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1997.
- 55- تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، دار الفكر، بيروت 1415 هـ.
- 56- التتمة في تواريخ الائمة، تاج الدين بن علي الحسيني العاملي، دار الكتب الاسلامية، بيروت، 1992.
- 57- تحف العقول: الحسن بن علي بن شعبة الحراني.
- 58- التخلف الاجتماعي: مصطفى حجازي معهد الانماء العربي، ط 3، بيروت 1984.
- 59- تذكرة الخواص: ابن الجوزي، مؤسسة اهل البيت، بيروت.
- 60- تفسير الميزان: الطبطبائي.
- 61- الثاقب في المناقب: الطوسي، تحقيق نبيل رضا علوان، مؤسسة انصارين للطباعة والنشر، ط 3، 1419.
- 62- الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين: ابن دقماق، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 2007.
- 63- حب الحسين: زينب محمد عيسى، صادر عن جمعية السيدة زينب الخيرية، ط 1، 2003.

- 64- حق اليقين في معرفة أصول الدين: عبد الله شبر، دار الأضواء، ج1، ط1، 1983.
- 65- حلية الأولياء: الأصفهاني، دار الكتب العلمية، ج3، بيروت.
- 66- حياة الإمام محمد الباقر: باقر القرشي.
- 67- حياة الامام الحسن بن علي: باقر القرشي، مطبعة الآداب، ط3، النجف.
- 68- حياة الامام موسى بن جعفر، باقر شريف القرشي، دار البلاغة، بيروت، ط 1، 1993.
- 69- حياة الحيوان: كمال الدين الدميري، دار احياء التراث العربي، بيروت.
- 70- الحياة السياسية للإمام الرضا (ع): جعفر مرتضى العاملي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، ط 2، 1367هـ.
- 71- الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت: رسول جعفريان، دار الحق، ط1، بيروت، 1994.
- 72- الخرائج والجرائح: الرنداوي، مؤسسة الإمام المهدي، ط1، قم، المطبعة العلمية، 1409 هـ.
- 73- خطوط عامة من سيرة الأئمة (ع)، الامام الخامنئي، مركز الامام الخميني الثقافي، بيروت، ط 1، 2004.
- 74- خلفاء بني العباس والمغول اسقطوا بغداد، حسن شبر، دار الملاك ، بيروت ، ط 1، 2001.
- 75- الدر الثمين/ محسن الأمين، مطبعة منيمنة الحديثة.
- 76- الدر المنثور: السيوطي، مكتبة المرعشي النجفي، قم، ايران، 1404.
- 77- الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم: جمال الدين الشامي، مؤسسة النشر الاسلامي، ط1، 1420هـ.ت.
- 78- الدروس العظيمة من سيرة أهل البيت: الامام الخامنئي، مركز بقية الله الاعظم (ع) للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1999.

- 79- دروس تربوية من وحي النهضة الحسينية، حسن طراد، دار الزهراء، بيروت، ط 1، 2004.
- 80- دلائل الامامة: الطبري، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت.
- 81- دور أئمة أهل البيت(ع) في الحياة السياسية، عادل الاديبي، دار التعارف، بيروت 1988
- 82- رجال الطوسي منشورات الرضي ، قم المطبعة الحيدرية، ط 1، 1961.
- 83- روضة الواعظين: النيسابوري، منشورات الشريف الرضي، ط1، 1966.
- 84- سكينه بنت الحسين: زينب محمد عيسى، صادر عن جمعية السيدة زينب الخيرية، ط 1، 2001.
- 85- السفن الكبرى، البيهقي، دار الفكر
- 86- سيرة الأئمة الاثني عشر: هاشم معروف الحسيني، منشورات الشريف الرضي، ط 1، 1409هـ.
- 87- سيرة الأئمة الاطهار: مرتضى مطهري، ترجمة مالك وهبي، دار الهادي، بيروت، ط 2، 2000.
- 88- سيرة الأئمة: مهدي البيشواتي، مؤسسة الإمام الصادق، قم.
- 89- شبهة إلقاء المعصوم(ع) نفسه في التهلكة ودحضها: محمد جميل حمود: نشر مركز العترة للدراسات والبحوث ط1 2003 بيروت.
- 90- شذرات الذهب: ابن العماد الحنبلي، دار احياء التراث العربي، بيروت.
- 91- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار: بن حنيفة النعمان، منشورات دار الثقليين، بيروت 1994
- 92- الشهادة في فكر الإمام الخميني، مركز الامام الخميني الثقافي، بيروت، ط 3، 2006.
- 93- شواهد التنزيل الحسكاني، تحقيق محمد باقر المحمودي، طهران، ط 1، 1990.
- 94- الصحيح من سيرة النبي الأعظم: جعفر مرتضى العاملي، دار السيرة، ط4، بيروت.

- 95- الصراط المستقيم: البياضي، المكتبة المرتضوية.
- 96- صفوة الصفوة: الجوزي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط2، بيروت 1992
- 97- صلح الحسن: راضي آل ياسين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط1، بيروت 1992
- 98- الصواعق المحرقة: ابن حجر، مكتبة القاهرة.
- 99- طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، عبد الرحمن الكواكبي، تقديم ودراسة اسعد السحمراني، دار النفائس، بيروت، ط 3، 2006.
- 100- ظلامه الزهراء: علي الأحمد الميانجي المركز الاسلامي للدراسات، ط1، 2003
- 101- ظلامه الزهراء: علي الاحمد الميانجي، المركز الاسلامي للدراسات، ط 1، 2003.
- 102- العباس بن علي، زينب محمد عيسى، صادر عن جمعية السيدة زينب الخيرية، ط 1، 1999.
- 103- العبر في خبر من عبر: الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 1.
- 104- العصر العباسي الأول: عبد العزيز الدوري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2006.
- 105- عصر المأمون: أحمد زيد رفاعي، مطبعة دار الكتب المصرية، ط 3، 1928.
- 106- العصمة: علي أبو الحسن، دار المحة البيضاء، بيروت، ط1، 2003.
- 107- العصمة: كمال الحيدري، بقلم محمد القاضي، مطبعة ستاره، ط1، 1997.
- 108- العقد الفريد: محمد عبد ربه دار احياء التراث العربي بيروت ط1 1989.
- 109- علل الشرائع: الصدوق، منشورات الأعلمي للمطبوعات، ط1، بيروت 1984 .
- 110- علم نفس النمو في ظل المنهج الاسلامي، وفاء عيسى، زينب عيسى، صادر عن جمعية السيدة زينب الخيرية.
- 111- عوالم العلوم والمعارف والاحوال، الامام موسى بن جعفر (ع)، عبد الله البحراني، نشر مدرسة الامام المهدي (ع) مطبعة أمير، ط 1، 1409هـ.

- 112- عيون أخبار الرضا: أبو جعفر الصدوق، انتشارات المكتبة الحيدرية، ط 1، مطبعة شريعت، 1425هـ.ق.
- 113- فاطمة بهجة قلب المصطفى: أحمد الهمداني، مؤسسة النعمان، بيروت، 1990.
- 114- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي، دار بيروت للطباعة والنشر، 1980.
- 115- فلك في التاريخ: محمد باهر الصدر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت 1990
- 116- الفصول المهمة: ابن الصباغ المالكي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- 117- فضائل الخمسة في الصحاح والسنة: الفيروز آبادي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط7 بيروت 1413هـ
- 118- الفوائد البهية: محمد حمود العاملي، مركز العترة، للدراسات والبحوث، طبعة أولى، 1998.
- 119- في نور محمد: فاطمة الزهراء عبد الفتاح عبد المقصود، دار الزهراء، بيروت، ط 2، 1991.
- 120- قانتنا كيف نعرفهم: محمد هادي الحسيني الميلاني، ط 2، 1413
- 121- القطرة من بحار مناقب النبي والعترة: أحمد المستنيط، مكتبة نينوى، ط2، طهران.
- 122- القول الفصل بحرمة الغناء في العرس: محمد عبد الحسين حمود، دار المنهل اللبناني، بيروت، ط 1، 2005.
- 123- الكامل في التاريخ: ابن الأثير، مطبعة صادر، 1966.
- 124- كشف الغمة في معرفة الأئمة: الإربلي، مطبعة النجف، النجف الأشرف، 1385
- 125- الكشكول فيما جرى على آل الرسول: حيدر بن علي الحسيني، منشورات الرضى، قم، ط2.
- 126- كفاية الأثر: علي بن محمد بن علي الخزاز القمي، مطبعة الخيام، قم، 1401 هـ.

- 127- كلمات مكنونة من علوم أهل الحكمة والمعرفة: تصنيف الكاشاني، مؤسسة جاب انتشارات فراهاني، طهران.
- 128- كنز العمال: مؤسسة الرسالة، بيروت 1993.
- 129- لسان العرب: ابن منظور.
- 130- لماذا زينب: زينب محمد عيسى، صادر عن جمعية السيدة زينب الخيرية، ط 1، 1998.
- 131- ما ورثه العامة في مناقب أهل البيت: حيدر علي بن محمد الشرواني، تحقيق محمد الحنون، مطبعة المنشورات الاسلامية، 1414 هـ.
- 132- مآثر الإنافة: القلقشندي، عالم الكتب، بيروت.
- 133- مجمع الرجال، علي القهياتي، منشورات مطبوعاتي، 1384 هـ.
- 134- مجموعة نفيسة في تاريخ الأئمة: عدد من علماء الشيعة، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، مطبعة الصدر.
- 135- محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية: الدولة العباسية، محمد الخضري، مكتبة للتجارة الكبرى، مصر، ط 9، 1959.
- 136- مختصر تفسير ابن كثير: الصابوني، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.
- 137- مدينة معاجز: هاشم البحراني، تحقيق علاء الدين الاعلمي، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط 1، 2002.
- 138- المراجعات: عبد الحسين شرف الدين، تحقيق محمد جميل حمود، منشورات مؤسسة الأعلمي، ط 1، بيروت، 1996.
- 139- مرآة الجنان: اليافعي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط 2، 1970.
- 140- مروج الذهب: المسعودي، تحقيق شارل بلا منشورات الشريف الرضي، مطبعة شريعت ايران، ط 1، 1422 هـ.
- 141- المصابيح في إثبات الإمامة: الكرمانلي، منشورات حمد، ط 1، بيروت، 1969

- 142- معادن الحكمة: الكاشاني، مؤسسة النشر الإسلامية، ط2، قم.
- 143- معالم المدرستين: مرتضى العسكري، مطبعة مؤسسة النعمان 1990
- 144- معجم البلدان: الحموي، دار احياء التراث العربي، بيروت.
- 145- مقاتل الطالبين: أبي الفرج الأصفهاني، تحقيق أحد صقر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط3، 1998.
- 146- مقاتل الطالبين: ابي الفرج الاصفهاني.
- 147- مقتل الحسين: الخوارزمي، تحقيق محمد السماوي، منشورات مكتبة المفيد. قم
- 148- مقدمة ابن خلدون، لجنة البيان العربي، تحقيق عبد الواحد وافي، 1957.
- 149- الملل والنحل: الشهرستاني، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، 2006.
- 150- من حياة أهل البيت: محمد علي التسخيري، التعاونية الثقافية للمجمع العلمي لأهل البيت، ط1، 1416 هـ.
- 151- مناقب آل بني طالب، بن شهر آشوب، دار المرتضى، بيروت، ط1، 2007.
- 152- المنتظم في تاريخ الملوك والامم: ابن الجوزي، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 153- منتهى الآمال في تواريخ الائمة والال: عباس القمي، الدار الإسلامية، بيروت، 1994.
- 154- موسوعة المصطفى والعترة، حسين الشاكري، ط1، 1419 نشر الهادي.
- 155- النزاع والتخاصم: المقرئزي الشافعي، مكتبة الأهرام، مصر.
- 156- نهج البلاغة: ابن ابي الحديد، دار احياء التراث العربي، 1959.
- 157- نور الابصار: الشبلنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978.
- 158- هارون الرشيد ولعبة الأمم: اندريه كلو، ترجمة صادق عبد المطلب الموسوي، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط1، 2005.

159- هارون الرشيد: أحمد امين، دار الهلال بمصر.

160- هارون الرشيد: عبد الجبار الجومرد، المكتبة العمومية، بيروت.

161- الوزراء العباسيون: محمد أحمد برانق، المطبعة النموذجية العلمية الجديدة، لجنة البيان العربي.

162- وسائل الشيعة: الحر العاملي، مؤسسة آل البيت، قم 1414 هـ.

163- وفاة الصديقة الزهراء: عبد الرزاق القرم، مؤسسة الوفاء، ط1، بيروت 1983

164- وفيات الأعيان: ابن خلكان، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

165- وقعة الطف: ابي مخنف لوط بن يحيى الأزدي، مؤسسة النشر الاسلامي، ط 1، 1367 هـ.

166- ينابيع المودة: القندوزي، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

الفهرست

الصفحة

- الإهداء: 3
- دعاء وتوسل: 5
- راحات دمع: 7
- سلام: 8
- مقدمة: 10
- الفصل الأول: طيبة رَوْح النبوة وروح الإمامة 19
- في ولادة الإمام موسى بن جعفر(ع) 21
- طيبة رَوْح النبوة وروح الإمامة 27
- النسيم الشذا يروي طيب صفاته: مناقب الإمام موسى بن جعفر..... 29
- في فضائله(ع)..... 29
- في عبادته(ع) 33
- في جوده(ع)..... 38
- في علمه(ع)..... 41
- من دُر علم الإمام(ع) علم اللغات..... 43
- من طور سينين نور فطنته(ع)..... 44
- غوامض فكره تحكي الدراري..... 47
- في مكارم أخلاقه(ع)..... 56
- هذي ثمار نواله وأخلاقه(ع) 56

- 58 - النسيم الشذا يروي خلقه السامي (ع)
- 59 - في كراماته (ع)
- 59 - ذا ابن أبي تراب
- 61 - لمثله تليق المكرمات
- 63 - في معجزاته (ع)
- 63 - معجزة جرت من عين حكمته
- 65 - معجزة تنال بها الأمان والأمانى
- 67 - معجزة عجز الفهم عن تصورها
- 69 - ومن كل منقبة بالفضل معجزة
- 71 **الفصل الثاني: هذا الدر من ذاك العباب: في رحاب الإمامة**
- 73 - تعريف الإمامة
- 75 - مستلزمات الإمامة
- 76 - أركان الإمامة
- 87 - النص على إمامة موسى بن جعفر (ع)
- 93 **الفصل الثالث: بنو العباس والخلافة**
- 95 - بدايات الثورة
- 105 - طلائع أبي العباس (السفاح)
- 107 - بهلوانية بني العباس
- 109 - خلافة أبي العباس السفاح
- 119 - خلافة أبي جعفر المنصور

- خلافة المهدي 138
- خلافة موسى الهادي 148
- خلافة هارون الرشيد 157
- الفصل الرابع: الإمام الكاظم (ع) مع خلفاء عصره 177**
- الامام الكاظم(ع) وأبو العباس السفاح 179
- الامام الكاظم(ع) وأبو جعفر المنصور 179
- الامام الكاظم(ع) والمهدي 183
- الامام الكاظم(ع) وموسى الهادي 188
- الامام الكاظم(ع) وهارون الرشيد 191
- على هامش اعتقال الامام الكاظم(ع) وسجنه 202
- اعتقال الامام الكاظم(ع) وسجنه 208
- أحوال الامام الكاظم(ع) في سجن البصرة 212
- أحوال الامام الكاظم(ع) في سجن الفضل بن الربيع 213
- أحوال الامام الكاظم(ع) في سجن الفضل بن يحيى 219
- أحوال الامام الكاظم(ع) في سجن السندي بن شاهك 220
- اغتيال الامام الكاظم(ع) 235
- السندي بن شاهك ومشاعر الذنب 238
- نعي الامام الكاظم(ع) نفسه وطى الأرض له(ع) 239
- الامام الرضا(ع) يغسل الامام الكاظم(ع) ويكفنه 241

243	الفصل الخامس: مسيرة الإمام الكاظم (ع) الجهادية
245	- على هامش المسيرة
246	- بين نهج الامام الكاظم (ع) والخلفاء العباسيون
248	- الإمامة هذا الشجى المعترض في الحلق
252	- جعفر ملك الرشيد فهو رهين عنده
254	- هارون في سمع التاريخ
255	- كاظم(ع) يجمع اليه الخمس ورشيد يجي اليه الخراج
259	- خراج مملكة الرشيد بين البذخ والترف
260	- هو الخيال هو الأسطورة
262	- من الخليفة الى من هم دونه: البرامكة
266	- من أين لك هذا؟
268	- هذا للبرامكة وللأئمة المصادرة
270	- النهج السياسي للإمام الكاظم(ع)
282	- الامام الكاظم(ع) ما بين الجهاد الصامت والجهاد الناطق
297	- هي شكوى واحدة
298	- وفاته (ع)
299	- الامام الكاظم(ع) مسجى على جسر الرصافة ببغداد
301	- وداع
305	المصادر والمراجع:
317	المحرمات:

مكتبة بيت الحكمة
مؤسسة السيد هبة الدين الحسيني

البيروت
الطبعة الأولى: ١٩٩١ - ١٩٩٢
الطبعة الثانية: ١٩٩٣ - ١٩٩٤